الجامعة الأردنية
كلية الاداب
قسم اللغة العربية

صورة المرأة الأردنية في الرواية الأردنية
(١٩٤٨ ـ ١٩٨٥)

اعداد
أروى عبدالله فارس عبيدات

٣٥٢/٦٦ أ

باشراف
الأستاذ الدكتور محمود السمرة

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية سنة

١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـــر وتقديـــــر

يسعدني أن أتقدم بعظيم شكرى وامتناني لأستاذى الفاضل الأستـــاذ الدكتور محمود السمرة اعترافا مني بفضله ، فالقلم يعجز عن تصوير جهـــده ودعمه المستمر لي طيلة الفترة السابقة ، مما شحذ همّتي ، وبثّ في نفســـي الأمل ، وأنار طريق البحث العلمي أمامي ، مما جنبني أخطاءً ما كنـــت لأتخلص منها لولا عنايته ورعايته وتوجيهه ، فان كنت قد أصبت فهـــذا جهده قد ظهر ، وان كنت قد أخطأت فهذا يعود إليّ . وسأبقى دومـــا عاجزة عن ردّ شيء يسير من فضل أستاذى علـــيّ .

واتقدم بالشكر لكل من الأساتذه ابراهيم العجلوني وأحمد شركـــس وخالد الكركي وسحبان خليفات وسمير قطامي لما بذلوه من جهد في توجيهـــي وارشادى باقتراحاتهم التي كان لها الأثر في خروج البحث على هذه الصورة .

ولا أغفل عن شكر السيدة بثينة جردانه التي وضعت تحت تصرفي مكتبتهـــا وأفادتني باقتراحاتهـــا .

وكل التقدير للقائمين على مكتبة أمانة العاصمة ، ورابطة الكتاب الاردنيـــين ، ومدرسة بدر الثانوية ، الذين لم يوفروا جهداً في مساعدتي ودعمي لإنهاء هـــذه الدراســـة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المحتويات

ـ المقدمة	أ ـ ج
ـ تمهيد : صورة المرأة في الرواية قبل عام ١٩٤٨	١ ـ ٩
ـ الفصل الاول : واقع المرأة الأردنية في المجتمع	١٠ ـ ٢١
ـ الفصل الثاني : صورة المرأة في الرواية منذ عام ١٩٤٨	
وحتى عام ١٩٨٥ :	٢٢ ـ ١٤١
أولا : صورة المرأة في الرواية منذ عام ١٩٤٨	
وحتى عام ١٩٦٧	٢٣ ـ ٥٧
١ـ صورة المرأة في الريف	٢٤ ـ ٢٥
٢ـ صورة المرأة في المدينة :ـ	٢٥ ـ ٤٥
أ ـ صورة المرأة في الطبقة الفقيرة	٢٥ ـ ٢٨
ب ـ صورة المرأة في الطبقة الوسطى	٢٨ ـ ٣٦
جـ ـ صورة المرأة في الطبقة الارستقراطية	٣٦ ـ ٤٥
٣ـ صورة المرأة الفلسطينية	٤٦ ـ ٤٨
٤ـ صورة المرأة المنحرفة	٤٩ ـ ٥٢
٥ـ الصورة غير المألوفة للمرأة	٥٣ ـ ٥٧
ثانيا : صورة المرأة في الرواية منذ عام ١٩٦٨	
وحتى عام ١٩٨٥	٥٨ ـ ١٤١
١ـ صورة المرأة في الريف	٥٩ ـ ٨٧
٢ـ صورة المرأة في المدينة :	٨٨ ـ ١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ ـ صورة المرأة في الطبقة الفقيرة ٨٨ ـ ٩٣
ب ـ صورة المرأة في الطبقة الوسطى ٩٤ ـ ١٠٥
جـ ـ صورة المرأة في الطبقة الارستقراطية ١٠٦ ـ ١١٧

٣ ـ صورة المرأة الفلسطينية ١١٨ ـ ١٢٢
٤ ـ الصورة غير المألوفة للمرأة ١٢٣ ـ ١٣٣
٥ ـ صورة المرأة الجديدة

ـ الفصل الثالث : دراسة فنية للرواية ١٤٢ ـ ١٩١

ـ المضامين والشخصيات ١٤٤ ـ ١٦٤

١ ـ وضع العربي المغترب في الخليج ١٤٤ ـ ١٥٠
٢ ـ الواقع الفلسطيني بعد نكبة عام ١٩٤٨ ١٥١ ـ ١٦١
٣ ـ الصراع بين القديم والحديث ١٦١ ـ ١٦٤
٤ ـ التفاوت الطبقي وآثاره ١٦٣ ـ ١٦٤

ـ الخلفية المكانية ١٦٥ ـ ١٧٠
ـ البناء ١٧١ ـ ١٩١

أ ـ البناء الهرمي :

ـ الطريق الى بلحارث ١٧١ ـ ١٧٥
ـ بيت الأسرار ١٧٥ ـ ١٧٨
ـ المخافر ١٧٩ ـ ١٨١
ـ المتميز ١٨١ ـ ١٨٣

ب ـ البناء المسطح :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ وقـــت ١٨٤ ـ ١٨٦

جـ ـ البناء الدائـــرى

ـ براري الحمّـــى ١٨٦ ـ ١٩١

ـ الخاتمـــة ١٩٢

ـ المصادر والمراجـع ١٩٣ ـ ٢٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــــــة

يقصد هذا البحث الى دراسة صورة المرأة الاردنية في الرواية الاردنية التي يتوافر فيها الحد الأدنى من البناء الفني [1]، وكان اختيار الرواية ميدانا للبحث دون الفنون الأدبية الاخرى ، لأن الكاتب الروائي يملك من حرية التعبير ما لا يتاح للشاعر أو كاتب القصة القصيرة ، ولقناعتي بأنها من أكثر الفنون الادبية في تصوير الواقع أو استشراق المستقبل من خلال كشفها لعلل الظواهر " لأن الفن للروائي هو فن السبر أو كشف الاسرار " [2].

أما الدوافع التي حدت بي الى دراسة هذا الموضوع فتعود الى مايلي :

١. انشغال نفسي واهتمامي منذ وقت طويل بقضية المرأة ، وحقيقة التغير الذى طرأ على وضعها .

٢. رغبتي بمعرفة مدى تطور الرواية الاردنية وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة ، ومدى نجاح المؤلف في التعبير فنيا عن المرأة وقضاياها .

٣. اغفال الدارسين دراسة المرأة في الادب بعامة وفي الرواية بخاصة . غير أن هناك دراستين تناولتا هذه الظاهرة تناولاً سريعاً : أولاهما : دراسة عبد الله رضوان " المرأة في القصة المحلية " ، وقد تتبع فيها صورة المرأة في القصة

---

(١) ترتب على دراسة صورة المرأة الأردنية أن أبعدت من البحث الروايات التي كانت بيئتها غير أردنية مثل روايات غالب هلسا : "البكاء على الاطلال" و"الضحك" ، والخماسية "وثلاثة" وجوه لبغداد . وروايتي جورج سليم شتيوى : "صراخ في أعماق الأجل" ، وآلام السنين" ، ورواية مؤنس الرزاز" أحياء في البحر الميت" . وأبعدت الروايات التاريخية مثل رواية روكس العزيزى" ابناء الغساسنة وابراهيم باشا" ، ورواية عبد الحميد الأنشاصي " المجد المنحوت" . وأبعدت الروايات التي اتكأت على المرأة كرمز مثل رواية عيسى الناعورى" مارس يحرق معداته ، ورواية قاسم توفيق "مارى روز تعبر مدينة الشمس" ، ورواية سالم النحاس" أوراق عاقر " .

(٢) ر.م. البيرس، تاريخ الرواية الحديثة، ترجمة جورج سالم، منشورات عويدات ط١ ،بيروت ١٩٦٧ ، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصيرة" دون اهتمام كبير بجماليات الاعمال المقدمة "[1]. ويلاحظ أن الدراسة، إلى جانب إغفال المعالجة الفنية، قسمت صورة المرأة الى أم وزوجة وحبيبة ...، مما اوقع المؤلف في التكرار، فالأم قد تكون اختاً من جهة وزوجة من جهة أخرى ...، وقد اتسمت الدراسة بالتسطيح، واقتصرت على التحليل الذي يتعمق الصورة ويردها إلى أسبابها .

أما الدراسة الثانية فهي " المرأة في الأدب الأردني "، وقد قدمتها عبلة أبو عبلة، وتحدثت فيها عن المرأة في ثلاث روايات وبعض القصص القصيرة والنماذج الشعرية، وقد أغفلت فيها المعالجة الفنية والتحليل الدقيق للمضمون [2].

وقد اعتمدت في هذا البحث على كثير من المصادر والمراجع وهي :

١. الروايات الأردنية وعددها قارب الستين .
٢. مجموعة مختارة من كتب النقد والدراسات الأدبية وهي قسمان : قسم يتعلق بفن الرواية، والآخر يتعرض للرواية الأردنية وأهمها كتابان تتبعا فيها الرواية في الأردن أولهما القصة الطويلة في الأدب الأردني من عام ١٩٢١ - ١٩٧٧. لمحمد العطيات والثاني : الرواية في الأردن منذ بدئها وحتى ١٩٨٥ للدكتور خالد الكركي .
٣. دراسات خاصة بواقع المرأة في المجتمع الأردني .

ولم ألتزم في البحث بمنهج نقدي معين، غير أنني ملت الى المنهجين : الاجتماعي والجمالي، لقناعتي بأن الأدب لا ينفصل عن المجتمع الذي يفرزه، مع ايماني بأن الفن الروائي له معاييره الذاتية . والتزمت بالمنهجين الاستقرائي والتاريخي في تحليل مضمون صورة المرأة، لأتمكن من رصد التطور الذي تحقق .

سارت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول .

تناولت التمهيد صورة المرأة في الرواية قبل عام ١٩٤٨.

(١) عبد الله رضوان، النموذج وقضايا أخرى، نشر رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٣، ص ١٢٣.
وقد نشر الدراسة في الملف الثقافي، رابطة الكتاب الاردنيين، ط١، عمان، ١٩٨١، ص ٦ — ٣٥ .

(٢) الدراسات/المهرجان السنوي الثالث لرابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨١، ص ٧٥ — ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأفردت الفصل الأول للحديث عن واقع المرأة في المجتمع وما إذا كان تغيّر وضعها في العلم والعمل وغير ذلك من المجالات مصحوباً بتغيّر النظرة إليها ، ومدى هذا التطور.

أما الفصل الثاني فأفردته للحديث عن صورة المرأة في الرواية ، ومعالجتها من ناحيتي المضمون والشكل ، وقد قسمت هذا الفصل إلى قسمين :

الأول: يتناول صورة المرأة في الرواية من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ .

الثاني: يتناول صورتها من ١٩٦٨ ـ ١٩٨٥ . ويعود الوقوف عند سنة ١٩٦٧ إلى سببين :

١. أنها حد سياسي واجتماعي وثقافي كسنة ١٩٤٨ .

٢. غزارة الانتاج الروائي الذي صدر بعد هذه السنة.

أما صورة المرأة فقد قسمها البحث الى فئات ، معتمدا في هذا على مفهوم علم النفس للفئة " والفئات هي فئات اجتماعية اقتصادية تم التكتل ضمنها بتأثير شروط من نوع المهنة والدخل ومستوى الثقافة وغيرها . أن لكل فئة مجموعة كبيرة من الصفات تغلب عليها عادة أكثر مما تغلب على غيرها من الفئات التي تقف في الطرف الآخر "(١) . والصور التي قدمت في الفصل صور روائية قد لا تمثل الواقع بشكل دقيق ، ففيها شيء من رؤى الفنان الكاتب ومبالغاته .

كان لا بدّ ، بعد المعالجة الموضوعية والفنية ، من التساؤل حول المستوى الفني للروايات التي دخلت الدراسة ، وهذا ما أفردت له الفصل الثالث الذي قدمت له بحديث عما وصل اليه الفن الروائي في الأردن اعتماداً على المعالجات التي تمت في الفصل الثاني ، ثم قمت باختيار ست روايات لدراستها فنيا . وقد اعتمدت في اختيارها على أساسين : ١. انها أكثر تكاملا من حيث نضج البناء ووضوح الرؤى.

٢. وجود المرأة كشخصية فيها .

---

(١) نعيم الرفاعي ، الصحة النفسية دراسة في سيكولوجية التكيف ، ؟ ط٥ ، دمشق ، ١٩٨١ ، ص١٣٦ .

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــد

صورة المرأة في الرواية قبل عام ١٩٤٨.

نعثر على صورة للمرأة في رواية " أين حماة الفضيلة "لتيسير ظبيان [١]، ورواية " ذكريات " لشكرى شحشاعة [٢]، وقد عرضتـــا لصورة المرأة في المدينة . أما صورتها في الريف فلم تعرض لهـــا الروايات التي صدرت قبل عام ١٩٤٨ ، على الرغم من أن ٩٥٪ مـــن سكان الأردن في ذلك الوقت كانوا من البادية أو الريف[٣]. لكـــن رواية " العودة من الشمال " لفؤاد القسوس تتحدث عن احدى القـــرى الأردنية قبيل وبعيد تكوين الإمارة ، وقد استطاع المؤلف تصوير الأوضـــاع التي مرت بها القرية ، مما جعل الرواية " غنية بسمات المجتمع الأردني ، وتروى أساليب تفكير السكان وعيشهم في مطلع القرن العشرين " [٤]. لهذا اعتمدها البحث لبيان وضع المرأة الريفية في هذه الفترة.

---

(١) أنظر في تحليلها ونقدها : خالد الكركي في الأردن، نشر الجامعـــة الأردنية، عمان، ١٩٨٦، ص١٩ ــ ٢١ . محمد العطيات، القصة الطويلة في الأدب الأردني ، نشر دائرة الثقافة والفنون ، عمان، ١٩٨٥، ص٣٠ــ٣٢. أسامة شهاب، صحيفة الجزيرة الاردنية : دورها في الحركة الأدبية ، ١٩٣٩ ــ ١٩٥٤ ، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥،ص١٢١ــ١٢٦.

(٢) أنظر في تحليلها ونقدها : خالد الكركي، المصدر نفسه ، ص ٢١ ــ ٢٤. محمد العطيات ، المصدر نفسه ، ص ٣٢ ــ ٣٧. سمير قطامي، الحركة الأدبية فـــي شرقي الأردن منذ ١٩٢١ــ ١٩٤٨، وزارة الثقافة والشباب ، ط١، ص١٤٠ــ ١٤٥، ناصر الدين الأسد ، الاتجاهات الأدبية في فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٧، ص٩٩ــ ١٠٢ .

(٣) دائرة المطبوعات والنشر مع دائرة شؤون المرأة الأردنية ، عمان، د .ت، ص١٨.

(٤) محمد العطيات ، القصة الطويلة في الأدب الأردني ، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة المرأة في المدينة •

تعرض رواية " أين حماة الفضيلة " وضع المرأة في الطبقة الوسطى ، وقد نشرت الرواية في صحيفة الجزيرة سنة ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ ، منسوبة الى الفتاة أبجد ، ثم أعاد نشرها في كتاب سنة ١٩٥٨ منسوبة إلى " الكاتبة الاجتماعية الآنسة أ• ب • ج • د " ، " وقد رأيت أن أجمع هذه المذكرات وأنشرها على الملأ ، لألفت نظر المسؤولين عن تربية النشء العربي من أساتذة وأولياء أمور وأصحاب علاقة إلى تلك السموم الاخلاقية الفتاكة التي تحدثت عنها هذه المذكرات"(١).

تدور أحداث الرواية في دمشق وبطلتها فتاة سورية (٢) ، واعتمادها في البحث سوغّه قول المؤلف : أن الرواية تقص حكاية متشابهة تشترك فيها أربع فتيات من أربع دول عربية من بينها الاردن(٣).

تبرز المرأة في الرواية وقد أخذت حقها من العناية التي ظهرت في تحصيلها العلم بدعم من والدها(٤)، وتظهر متمتعة بقدر من الوعي الذى تجلّى في رفضها الزواج من العجوز الثري(٥)، لكنها لم تستفد

(١) منشورات دار الجزيرة بعنوان : أين حماة الفضيلة، مذكرات فتاة عربية شاردة، بقلم الكاتبة الاجتماعية الآنسة أ• ب • ج • د • ، مطابع الشركة الصناعية ، عمان ، ١٩٥٨، ص ٥•

(٢) صحيفة الجزيرة ، عدد ١٠٧٠ ، ١٩٤٥ ، ص ١•

(٣) المصدر نفسه ، عدد ١٠٨٥ ، ١٩٤٥ ، ص ٦•

(٤) أين حماة الفضيلة ، ص ٢٤•

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من علمها كما يجب ، فهي لا تفهم العمل الاّ على أنه وسيلة تضطر إليها المرأة حين تعوزها المادة " ... فاضطرت أن أتعاطى عملا من الاعمال الشريفة "[١]، أما اذا وجدت من ينفق عليها فيجب أن تبقى داخل البيت [٢] ، ولذا هاجمت دخول المرأة الجامعات ، لانه يعرضها للاختلاط الذى يفسد الاخلاق وينشىء الرذيلة [٣]، وفي هذا إشارة إلى أنها عاشت في عزلة عن الرجل ، مما جعلها تعاني رعباً وخوفاً منه كما لو كان ذئبا أو أفعى كما أفهمها والدها[٤] . ويبدو الزواج مهمة المرأة الوحيد في رأيها ، وهذا ما جعل صديقتها لا ترى في الرجل إلا فريسة تسعى المرأة إلى اصطياده " الشرك الذى اعتدنا معشر النساء على نصبة لاصطياد الرجل "[٥]. ويبدو أبجد مقتنعة بوضع المرأة في مجتمعها ، فهي ضد أى تغيير في التقاليد [٦]. لنا أن نتوقع بعد ذلك أنها سلبية فحين أصرت والدتها على تزويجها لم تجد أمامها غير الدموع " وماذا يمكنني أن أفعل ؟ فتلك ارادة والدتي لا يسعني دفعها، ولا أقوى على مقاومتها "[٧]. ويبدو عجزها في هربها إلى مصر بعد ملاحقة العجوز لها الذى هددها بتشويه سمعتها ، فهي لم تستطع مواجهة أزمتها وحلها .

---

(١) صحيفة الجزيرة ، عدد ١٠٨٥، ١٩٤٥، ص ٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .
(٥) أين حماة الفضيلة ، ص ١١ ، ٦٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرض الرواية نموذجاً آخر للمرأة في هذه الطبقة تمثله الأم التي تقف ضد تعليم الفتاة ، فهو خال من النفع ملىء بالضرر ، يبدو هذا حين تقول لابنتها: — التي تعترض على مشروع الزواج — " ألم أقل لك غير مرة بأن هذه الفلسفات التي هي كل ما أفدته من المدرسة الحديثة لا تجديك نفعاً ، وليس من ورائها الا تعب البال " (١) ، ويتبدى جهلها في اهتمامها بالمظاهر ، ولهذا تحاول الظهور بغير حقيقتها ، فنجدها تحمل نفسها أعباء مادية كبيرة ، لتزين البيت قبل مجيء البيك لزيارتهم ، وتستعير أثاثا من الجيران (٢).

أما الزواج في هذه الطبقة فهو من صنع الأهل فأمها أجبرتها على القبول بالعجوز (البيك) زوجا " فذلك من شأني ، وما عليك إلا الطاعة والامتثال " (٣)، ومعيار الزواج قائم على المنفعة المادية ، فقد عجلت الأم بتزويج ابنتها له على الرغم من تجاوز عمره الستين بينما كانت ابنتها في مقتبل العمر (٤)، لأنه غني ، فهو في نظرها هبة من السماء ، " إن العناية الإلهية ساقت إلينا هذا الرجل العظيم الجاه ، الواسع الثروة ، ليأخذ بيدنا وينقذنا من تباريح البؤس الذى نعانيه "(٥)

---

(١) أين حماة الفضيلة ، ص ١٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رواية شكرى شحشاعة " ذكريات " فتشير إشارة سريعة إلى المرأة الممثلة في أم الصبي ، ويبرزها في صورة مشرقة من خلال علاقته بها ، لهذا نفتقد الجانب النفسي في تصويرها ، " ويذكر صاحبنا أن أمه لم تكن أما فحسب ، بل كانت إلى جانب الأمومة صديقة تواسيه ومعلمة ترشده وتهذبه " (١) ، فقد علمته أمورا كثيرة ، ومنحته نصائح وتوجيهات في النظافة والصحة والرياضة والصداقة والتسامح والإنفاق وغير ذلك (٢) ، وكان يلجأ إليها في كل ما يعوقه ويقلقه ، وقد سخرت حياتها له ، " تقدم له ما تريد ، وتساعده فيما يريد ، وتبذل له ما عنده من رأى رشيد وعطف وحنان (٣) .

صورة المرأة في الريف

تصور رواية " العودة من الشمال " الرومية المتخلفة التي تحكم المرأة في الريف ، فالنساء " ناقصات عقل ودين " (٤) ، ولذلك لا تعد شخصا مكافئا للرجل في انسانيته ، بل تحتل مكانة تقل كثيرا عن مكانة الرجل الذى ينظر اليها على أنها لا تفهم شيئا " ولم يبق سوى النساء نتعلم منهن ما الذى نقوله ونفعله " (٥) ، ولا ينظر إليها إلا على أنها موضوع جنسي يجب الحفاظ عليه بعزله عن مجتمع الرجل ، فأم سلمى تقول لابنتها حين بلغت

---

(١) شكرى شحشاعة ، ذكريات ، مطبعة الاستقلال ، عمان ، ١٩٤٥ ، ص ٧ .
(٢) أنظر : المصدر ، ص ٥ — ١٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥ .
(٤) فؤاد القسوس ، العودة من الشمال ، عمان ، ١٩٧٧ ، ص ٢٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صدرها " أصبحت كبيرة يا سلمى ،اياك واللعب مع الاطفال ، ولا تتحدثي مع أحد حتى جيراننا الا بحكم ما تفرضه الجيرة علينا " (١) ، وقد كان يؤخذ على سلمى " حبها للهزار والسخرية ما لم يكن يستحب من فتاة في مثل عمرها وغير متزوجة ، فنفرت منها النساء اللواتي عرفن فيها هذه الصفات " (٢) ، وفي هذا اشارة الى وجوب بقاء الفتاة سجينة تمنع من التعبير عن انفعالاتها مهما كانت بسيطة ، ولهذا ماتت زوجة عساف الأولى ، لأنه لم يرد أن يراها طبيب ، فمرضها كان في نظره (٣) . وتشير الرواية إلى رفض المجتمع الريفي لكل علاقة بين الرجل والمرأة ، فتصريح الرجل برغبته في الزواج من فتاة معينة يعرضه للنقد والتجريح " فهذا غير مستساغ ، وربما أصبح حديث القرية "(٤)، لهذا فان أي علاقة عاطفية بين الرجل والمرأة تستند الى الحذر الشديد والخوف " وكتمان الحب ضرورة أخلاقية في القرية لا مناص عنها " (٥) . وفي هذا دليل على أن القيود المفروضة لا تحقق ما يراد منها ، فزوجة الأخرس كانت تخون زوجها مع مسعود ، لأنها تزوجت من رجل يكبرها بأربعين عاما (٦) .

أما الزواج فهو من صنع الأهل لا ينظر الى رغبة الرجل والمرأة المعنيين ، ويتم دون ارادتهما ، فأبو ابراهيم خطب عروسا لأخيه دون أن يأخذ رأيه (٧) فاذا

---

(١) العودة من الشمال ، ص ١١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان لا يأخذ رأى الرجل في الزواج فان من البدهي ألاّ تملك المرأة أى حق للاختيار ،فالعادات تفرض عليها القبول بابن عمها ،لان له اولوية في ذلك ، فلا يتقدم الغريب الا اذا نكص ابن عمهـــــا ، كما حدث لاخت عساف التي قلقت عليها امها من أن يفوتها الزواج حين بلغت السادسة عشرة من عمرها ، فزوجها أخوها الى غريب (١)، ومعيار اختيار الزوجة عند الأب يقوم على شهرة أبيها في كرمة أو قتـال أو معركة، واختيار الأم يقوم على أن تكون الفتاة مطيعة قادرة على العمل ، ولذلك رفضت أم ابراهيم فكرة زواج عواد من امرأة شامية لا تعرف أعمال المرأة في القرية (٢).

تنحصر مهمة المرأة في الزوجية والأمومة ، وتحمل التقاليد على برمجة المرأة وتكييفها على هذا ، في الوقت الذى تحرمها منه من العلم وممارسة حقوقها بحرية، مما يخلق منها عقلاً متخلفا يجعلها عاجزة عن الاختيار، فـلا نرى فيها إلاّ نضجاً جنسياً، وفي سلوى مثل على هذا ، فقد مالت الى سلطان، " وكان سلطان يفتنها لاختلافه عن شبان القرية ، يقرأ دائما ، ويتحدث بأمور لا يجيد التحدث بها غيره ، فمالت إليه مدفوعة بالإعجاب الذى يتناقلـه الناس عنه " (٣)، فحبها له نبع من حديث الناس عنه ، لذلك يكون سهـلاً عليها تحويل حبها لغيره ، لأن اختيارها كان خارجاً عن نطاق ذاتها ، وتم في حدود ضيقة ، فنراها تميل الى عواد عندما وجدت اهتماماً منه ، ودعت الله أن يتزوجها ،(٤) ثم تحولت عنه حين تقدم توفيق ليخطبها ، " وكان طالبها مجهولا لديها ، ومع ذلك فقد استسلمت الى طوفان من الاحلام البهيجة ، كانت كالظامىء إلى الماء لا يهتم بأى وعاء يشرب"(٥)، وهذا يشير إلى أن الرجل هو شاغل المرأة،

(١) العودة من الشمال، ص ٣٤ ، ١٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومحور حياتها، فكانت سلمى تنتظر أى رجل لكي يتزوجها، مع علمها أنها ستكون خادمة له ولأهله، لأن العلاقة بين الزوجين تقوم على أساس السيد والعبد، فحد المرأة مع الرجل يكمن في خدمته والقيام على راحته هو وأهله، فأم ابراهيم تخدم زوجها في كل شيء يريده، فنراها تحضر الحذاء له، وفي هذا اشارة إلى الخضوع والاستسلام وانحطاط قيمتها في مجتمع القرية (١)، حيث لا يسمح لها أن تقدم رأيها أو تعبّر عن رغبتها، فعساف لم يكن يسمح لزوجته أن تناقشه في أيّ أمر وحين عرض لزواج عواد أشارت عليه أن يسأله أولا، فغضب منها فقالت: " العفو يا أبا ابراهيم، لم أقصد مناقشتك أو اغضابك ولكن رضاك عليّ شجعني أن أشارك في التفكير بزواج عواد " (٢)، واذا وجدت علاقة بين الزوجين تقوم على التفاهم والتعاون فان الرجل يخجل من التصريح باحترامه للمرأة وحبه لها، وهذا كان حال عساف مع زوجته الاولى " حيث كان يرعبه أن يقال عنه "امرأته شويّرته"، فتسقط مكانته أمام ابناء عشيرته وأهل قريته " (٣)، وهذه الحالة نادرة الحدوث في القرية، فالمرأة المثالية في نظر الرجل هي التي لا تبدى رأيا، ولا تظهر إلا عاملة، لذلك اعتبرت أم ابراهيم نموذجاً للمرأة الفاضلة " أحبها الجميع لصفاتها الحميدة، فلم تكن تشترك في حديث مع الرجال، ولا تجهر برأى، خافضة العينين دائبة الحركة " (٤).

أما الوظيفة الثانية للمرأة فهي الأمومة وولادة الذكور خاصة، فنساء القرية يلمن أم سلطان، لأنها لم تنجب إلا ولداً واحداً وابنتين" فائدة الشجرة التي لا تثمر تقطع وتلقى في النار " (٥).

(١) العودة من الشمال، ص٤٦ .
(٢) المصدر نفسه، ص٢٥٧ .
(٣) المصدر نفسه، ص٢٠ — ٢١ .
(٤) المصدر نفسه، ص٣١ .
(٥) المصدر نفسه، ص٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تبتعد الصورة التي قدمتها الروايات عن الواقع في ذلك الوقت

" كان الرجل يتمتع بالسلطة والكلمة المسموعة ، ويمارس حقوقه السياسية والاجتماعية والاقتصادية بكل حرية ، في حين أن المرأة الأردنية لم تكن تملك من الحقوق إلا بالحدود التي يبيحها الرجل سواء كان أبا أو أخا أو زوجا ، فمهمتها الرئيسية إنجاب الأطفال ، وتكوين الأسرة وخدمتها "(١)، لذلك حرمت المرأة من التعليم " على اعتبار أن المجتمع الأردني مجتمع رجال، يحتل الرجال المقام الأول " (٢) ، وحرمت المرأة في المدينة من العمل إلا نادراً ، واقتصر مجال عملها على التعليم " لأسباب تتعلق بالعادات والتقاليد السائدة بالمجتمع آنذاك ... لأن عمل المرأة في مجال التعليم كان يتم في محيط نسائي محض" (٣)، فالزواج المبكر والأمية والعادات المتزمته وقفت أمام أي تقدم يمكن للمرأة تحقيقه . لكنها في الريف شاركت الرجل في العمل الزراعي " كجمع الثمار والزرع ودرسه ونقله من الحقل الى المنزل وتربية المواشي ورعايتها واعداد قوتها والبحث عن مراعي لها " (٤) .

لا يعني ما سبق افتقاد وجود المرأة الواعية في ذلك الوقت ، ففي الأدب الذي انتجته المرأة دليل على ذلك ، وقد تعرض الدكتور سمير قطامي في كتابه : " الحركة الادبية في شرقي الأردن " لهذه القضية وقدم تحليلا واسعا ودقيقا لها (٥).

---

(١) المرأة الأردنية ، ص ١٤.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨.
(٥) أنظر الحركة الأدبية في شرقي الأردن ، ص ١٧٩ — ١٩٦.

٣٢١٦٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع ندرة الدراسات التي تناولت واقع المرأة في المجتمع — فلم يتناوله إلا كتاب واحد بعنوان " المرأة الأردنية " أصدرته المطبوعات والنشر بالاشتراك مع دائرة المرأة ، والأوراق المقدمة للمؤتمر الوطني للمرأة الاردنية: واقع وتطلعات الذى عقد في الفترة ١٤ — ١٦ أيار ١٩٨٥ — الا أننا نستطيع دراسة وضع المرأة من خلالها خاصة في عقد المرأة من خلالها خاصة في عقد المرأة الذى امتد من عام ١٩٧٥ — ١٩٨٥، وقد كان الهدف من عقد المؤتمر الوطني دراسة تقييمية لتطور وضع المرأة خلال هذا العقد .

مع قلة الدراسات التي تبحث في جوهر النظرة في المجتمع للمرأة الا أنها — من خلال الإشارات المختلفة ، والأسباب التي أبدتها كتعليل لإعاقة حركة المرأة وتطورها — أعطت الباحث فرصة استنتاج تلك الرؤية التي تحكم المجتمع فيما يتعلق بقضية المرأة ، ولا يعني البحث بتتبع تطور المرأة في العلم ، والعمل ، والقانون ، والسياسة ، وغيرها من المجالات الا بمقدار ما يظهر الرؤية التي تكمن وراء ذلك .

تشير الدراسات إلى أن بداية تحرك المرأة تنظيميا في المجتمع كان من خلال جمعية التضامن النسائي الاجتماعية التي تأسست سنة ١٩٤٤ ، وجمعية الاتحاد النسائي ١٩٤٥ ، وكانتا تتشكلان من نساء الطبقة الأرستقراطية وهذا ما جعل نشاط المرأة ينحصر في بيئة معينة أتيح لها بحكم الظروف فرصة لتلقي العلم بحرية اجتماعية ، وبحبوحة مادية "[1] وقد كانت الحركة شكلية : لم تحقق شيئا ، ولم تطور وضع المرأة التي تعيش مكبلة بالقيود ، لأنها كانت بعيدة عن هذه القضية فقد تمثلت أهداف الجمعيتين في الخدمات الاجتماعية كتقديم معونات للفقراء[2] . وتحرك المرأة تم بدفع خارجي ، فجمعية الإتحاد النسائي تأسست بناء

---

(١) منور خريس ، تاريخ الحركة التطوعية في الضفة الشرقية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) . ص ٤٠

(٢) أنظر : المرأة الاردنية ، دائرة المطبوعات والنشر مع دائرة شؤون المرأة ، عمان ، د . ت . ص ٢٠ — ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على طلب أمينة السعيد وهدى شعراوى من الأمير عبد الله [١]. فالتحرك لم يكن بوعي ذاتي من المرأة الأردنية لأوضاعها ، وهذا جعلها حركة بعيدة عن معاناة المرأة ، ومما يدل على ذلك مطالبتها بالحقوق السياسية سنة ١٩٥٤ [٢] قبل أن تعمل على توعية المرأة في الطبقات الدنيا ، وإخراجها من ظلمات الحياة التي تعيشها ، فما يفترض أنه قبل أن تسعى المرأة للحصول على الحقوق السياسية يجب أن تتعلم ، وتعمل لتحسين أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، ورفع مستواها الفكرى ، والثقافي حتى تستطيع ممارسة السياسة ، فالمرأة التي طالبت بذلك هي الأرستقراطية التي حصلت على قدر من التحرر جعلها تتطلع إلى المرأة في المجتمعات الأخرى ، وتحاول تقليدها حباً في الشهرة والمظاهر وقضاء وقت الفراغ . وهذا يعكس بعدها عن معاناة المرأة في الطبقات الأخرى ، مما جعل دعوتها مجردة من الوعي ، وهو شرط ضرورى لكي تحقق أيّ دعوة النجاح . لذلك فان تعليل نائلة الرشدان الذى تقول فيه : ان المرأة دخلت مجال العمل التطوعي " نتيجة لعدم تشجيعها على العمل الوظيفي في ذلك الحين ، وحيث أن المرأة كانت ترغب أن تثبت كفاءتها ، وأنها قادرة على العمل والعطاء [٣]، تعليل مرفوض لأن المرأة في الطبقة الأرستقراطية لا تتطلع الى العمل في ذلك الوقت ، الذى لم يصل فيه المجتمع وخاصة المرأة إلى أن العمل قيمة تتجاوز الحاجة المادية .

---

(١) منور خريس، تاريخ الحركة التطوعية . ص ٥ .

(٢) خوله يحيى ، المرأة والمشاركة السياسية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥). ص ٥ .

(٣) نائلة الرشدان ، المرأة والتشريعات القانونية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) . ص ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اتخذ المجتمع الأردني خطوة نحو المرأة سنة ١٩٦٠ ، حين أصدر قوانين المرأة العاملة [١] . علما بأنه ليس مهما أن تحصل على حقوقها في القوانين والتشريعات لأن " الفجوة ما زالت كبيرة بين ما هو مكتوب وما هو مطبق "[٢] . فاذا لم تتغير رؤية المجتمع لها فلن تغيّر القوانين في وضعها الّا شيئا يسيرا وعلى سبيل المثال لا الحصر : تساوى القوانين بين الرجل والمرأة في قوانين العمل الّا أن أصحاب العمل ما زالوا " يميزون تمييزا واضحا بين الرجل والمرأة في الأجور وفرص الترقي والرواتب والتدريب والتأهيل والبعثات " [٣] ، وهنا تجدر الاشارة الى أمرين :

الأول : أن القوانين لم تساو المرأة بالرجل مساواة مطلقة ، فما زال يفرق بينهما في كثير من الأمور : كالتأمين الصحي ، والسماح للرجل بالزواج من امرأة تصغره بعشرين سنة ، اضافة الى التفرقة الكبيرة بينهما في القانون الخاص بالبعثات[٤] .

الثاني : أنه لم يكن " للمرأة أي دور في التشاريع الأردنية من حيث شروط استخدامها أو أية شروط أخرى تتعلق بها "[٥] ، وهذا تؤكده دراسة خوله يحيى التي تبين أن اصدار القوانين خاص بالرجل ، مما جعل معظمها في صالح الرجل ، وهنا ترتب عليه بقاء القوانين الخاصة بالمرأة والرجل كما هي دون أن يطرأ عليها تغيّر كغيرها من القوانين [٦] ، وعزز سيطرة الرجل في المجتمع " وعكس في مختلف مظاهره عالم الرجال واهتماماتهم ، ونفوذهم المتميز ، وهيمنتهم ، وتجاوزاتهم أحيانا "[٧] .

---

(١) أنظر : المرأة العاملة ، ص (٣٥ـ٣٨) ، ويشير الكتاب الى أن حقوق المرأة الاجتماعية في قانون الأحوال الشخصية تأخر حتى سنة ١٩٧٦ . أنظر المرجع نفسه ص ص ٣٩

(٢) بثينة جردانة ، صورة المرأة في وسائل الاعلام (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) ، ص ٤ .

(٣) المرأة الأردنية . ص ٦٧ .

(٤) محمد شريم ، المرأة والصحة (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) . ص ٧٧ـ٧٨) .

(٥) المرأة الأردنية . ص ٣٤ .

(٦) خوله يحيى ، المرأة والمشاركة السياسية . ص ٦ . أنظر : دراسة هيفاء البشير ، أهمية التنظيم في دفع الحركة التسوية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) . ص ٨ .

(٧) عبد الكريم المومني ، المرأة وبرامج التعليم غير النظامي (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) . ص ٧٠ . وانظر : دراسة رابحة دباس ، (المرأة القيادية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) . ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يعني ما سبق إنكار أى تطور لوضع المرأة التي أخذت حقها في التعليم ، وزيادة نسبة تعليمها ودخولها الجامعة مؤشر واضح دالّ على تقدمها • إلا أن نظرة الرجل إليها ما زالت دونية، فنسبة الأمية بين النساء عالية تصل الى ٤٠ ٪ كما بينت احصائية أجريت سنة ١٩٨٥ (١)، وتعليم المرأة ينحصر بالدراسة في المدارس، وإن تعداه قليلا فالى الدراسة في المعاهد ، وعلى مستوى أقل يسمح لها بدخول الجامعات ، التي غالبا ما تقف فيها عند الدرجة العلمية الأولى، بدليل الانخفاض الكبير في نسبة الملتحقات بالدبلوم العالي ، والماجستير والدكتوراه • وهذا يعود الى " جمود البنية العقلية حول التحاق المرأة بالدراسات العليا ، بالإضافة إلى تحكم النمط الأبوى الذى يفضل تزويج الفتاة في سن مبكرة " (٢) •

أما العمل وهو مظهر آخر من مظاهر تطور وضع المرأة فتشير الدراسات إلى أن أشكالا متنوعة من التفرقة ما زالت تمارس بين الرجل والمرأة ، التي لم تحصل إلا على جزء ضئيل من العمل ، فانحصر في مهن تقليدية مخصوصة بالمرأة (٣) • وعلى الرغم من التأكيد على حقوق المرأة في القانون نجدها ما زالت مقيدة في دخول بعض المجالات ، وهذا جعل عملها " مقتصراً على المجالات التنفيذية ، حيث لم تصل إلى مواقع هامة ، لتساهم في اتخاذ القرارات السياسية ، والإدارية ، والاقتصادية ، والاجتماعية " (٤)، ويعيد بعض الباحثين ذلك الى نظرة المجتمع الى المرأة وعزوفها عن ممارسة حقها (٥)• لكن السبب الأخير ضعيف ، فلو كانت رؤية المجتمع للمرأة متقدمة لما منعها شيء عن ممارسة حقوقها ، وعزوف المرأة الآن عائد إلى علمها بوقوف المجتمع ضدها فيما تفعل

(١) عبد الكريم العوضي ، المرأة وبرامج التعليم غير النظامي • ص ١٠ •
(٢) هيفاء ابو غزالة وهيام الشريدة ، تعليم وتدريب الاناث في الأردن (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥)• ص ٢٢•
(٣) هيام شريدة وعادل لطفي ، المرأة العاملة في الاردن (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥)• ص ١٥ •
(٤)، (٥) سالم الكسواني ، المرأة الاردنية بين اكتساب الحقوق السياسية وممارستها (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥)• ص ٢٢ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" فان العادات التقليدية ، والعرفية ثابتة نسبيا متشبثه بمواقعها ، ولا تزال نظم القيم تحابي وضع الرجل ، وتقوض دور النساء ومكانهن "(١). فسيطرة العادات والتقاليد ذات الرؤية المتخلفة في المجتمع حـــرم المرأة من الوجود " في مراكز النفوذ السياسي ، والنشاط التجاري والحرفي ، وعملها خارج منزلها هو امتداد لعملها داخله ، فيتغلب عليه طابـــع الخدمة " (٢) ، وهذا جعل المرأة تابعة للرجل في العمل فلا يمكـــن اعطاؤها موقع القيادة لمجموعة من الرجال ، لأن هذا خروج على التقليـــد والعادة التي ترفض رؤية المرأة متقدمة على الرجل في أي مجال . ممـا ترتب عليه بقاؤها في الأعمال التي تغلب عليها طابع الخدمة والتنفيذ . حتى في هذه الاعمال ما زالت مساهمتها .. منخفضة "فإن حجـم عمالة المرأة لا يمثل الحد المعقول أو المقبول ، ولا يتناسب مع نسبتهـــا السكانية التي تمثل نصف السكان " (٣).

تكشف الدراسات نظرة المجتمع المتخلفة للمرأة ، فالعادات والتقاليـد السائدة عامل في عزل المرأة وتجميد نشاطها ، وهذا ما تكشفه صورتهـا في الإعلام " وما زالت صورة المرأة عند الرجل : المرأة المتخلفة ، أو المـرأة الغبية ، أو المغلوبة على أمرها ، أو المرأة المطيعة التابعة للرجل ، أو هـــي صورة متعددة الجوانب ، فهي إما لصيقة إعلان تجاري ، أو في قالب قصيـــدة غزلية ، أو عنصر اغراء وإثارة " (٤). واقتصر دور المرأة في التلفاز " على إبراز جسدها لترويج البضائع ، والتركيز على دورها كزوجة وربة بيت وحسب " (٥).

(١) عبد الكريم العوضي ، المرأة وبرامج التعليم غير النظامي ، ص ٧٠
(٢) خوله يحيى ، المرأة والاسرة (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥)، ص٥٠ أنظر : ص ٧٠
(٣) محمد شريم ، المرأة والصحة ، ص ٤٠٠
(٤) بثينة جردانة ، صورة المرأة في وسائل الاعلام (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥)، ص ٦٠
(٥) تريز حداد ، واقع المرأة في وسائل الاعلام الاردنية (أوراق المؤتمر الوطـــني ١٩٨٥) ، ص ١ ، ١٤ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر المرأة في وسائل الإعلام المختلفة في صورة قاتمة تعكس وضعها الاجتماعي ، ومكانتها ، والنظرة اليها ، أبرزها الاعلام " مخلوقا ، فجاً ، مسلوب الإرادة ، والمبادرة ، لا يحسن القيام بأى عمل ، هذا بالإضافة الى تصورها بأنها هم لوالديها ، ولأسرتها على المستوى الاقتصادى ، والاجتماعي " (١) ، وتبعا لهذه النظرة يسود الذكر ويفضل على الانثى بشكل يخلو من الإنسانية ، فقد أثبتت الدراسات أن هناك تمييزا ظاهراً في التغذية التي يتناولها الذكر فنوعيتها أجود من تلك التي تتناولها الأنثى ، وقد أثبتت دراسة محمد شريم هذا بالبيانات ، والاحصائيات التي تظهر التفرقة بين الجنسين في مظاهر مختلفة كالتغذية ، والصحة " ... إن فرق حدة الحالة المرضية ما بين الذكور والإناث تبين حدة التمييز ، والتفضيل اللامنطقي ، واللاانساني بين النوعين من البشر (٢) . ونتيجة لهذه النظرة تتحدد مهمة المرأة بالخدمة لزوجها ، وتلبية احتياجات الرجل التي قد تصل إلى تحديد عدد وجنس الأولاد الذين ستنجبهم له (٣) . فنفتقد والحالة هذه وجود تمرد من المرأة ، أو رفض لما برمجت له اجتماعيا" فهي قد وضعت وأحيطت بما لا يجعل لها مقدرة ، أو يعطيها الإمكانية للرفض ، أو لعدم الانصياع ، فمقاليد الامور كانت قد وضعت في يد الرجل منذ طفولته بل وقبل مولده " (٤) ونفتقد وجود امرأة ذات إرادة حرة في اختيار ما تريد ، فالرجل هو صاحب الحق الوحيد في هذه القضية التي يكون فيها حريصا على اختيار امرأة دون مستواه ، ومؤهلاته ، حتى يستطيع التحكم بها ، وتضييق الخناق عليها (٥) . ويتحدد اختياره للمرأة على أساس أنها موضوع جنسي ، ولذلك لا يقبل على الزواج إلا مدفوعا بهذا السبب الذى يعد سر

(١) حلمي السارى ، المرأة كما تصورها وسائل الاعلام (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) . المقدمة .
(٢) محمد شريم ، المرأة والصحة ، ص ١١ ، ١٢ .
(٣) ، (٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
(٥) هيفاء أبو غزالة وهيام الشريدة ، تعليم وتدريب الاناث في الأردن ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرصه على اختيار المرأة الجميلة ، فالجمال " يعتبر أهم المؤهلات ، وأهم المواصفات التي تدفع الرجل لاقتنائها كزوجة له " (١) ، ولهذا يتم تنشئة المرأة على أساس أن مهمتها : الزواج ، والإنجاب بعد ذلك • مما نتج عن ذلك : أن معدل الإنجاب للمرأة الاردنية من أعلى المعدلات في العالم (٢) • أما الزواج فهو " نهاية المطاف للمرأة مما يؤدي إلى القضاء ، وإجهاض دوافع الإبداع والتطور لديها " (٣) •

مما سبق تظهر الرؤية المتخلفة القائمة للمرأة في مجتمعنا ، على الرغم من محاولة بعض الدارسين إعطاء صورة ، مشرقة لواقع المرأة في الأردن من خلال انتخابات عام ١٩٨٤ ، الا أن الدراسات تثبت عكس هذه الصورة ، مبينة أن دور المرأة في الانتخابات اقتصر على تأييد الرجل ، وجمع المال ، والدعاية له (٤) • وهذه النظرة تعاني منها المرأة على اختلاف البيئة سواء في الريف أو المدن ، وتمارس عليها في مختلف الفئات والطبقات الإجتماعية ، وأن تفاوتت نسبة هذه الممارسة بينها • فنجد هذا هينة سهلة في الشريحة العليا من الطبقة الوسطى والطبقة الارستقراطية ، بينما نجد أجلى صور القهر وممارسة التسلط في الريف • فالمرأة الريفية تعاني من تحكم النظرة المتخلفة لها ، التي تتمثل في أنها كائن خلق ضعيفا : جسماً

---

(١) محمد شريم ، المرأة والصحة ، ص ٢٥ •
(٢) هيفاء أبو غزالة وهيام الشريدة ، تعليم وتدريب الاناث في الأردن ، ص ٨ •
(٣) محمد شريم ، المرأة والصحة ، ص ٤٦ •
(٤) خالد الزعبي ، المرأة والحقوق السياسية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) ، ص ٨ • وأنظر : حسني عايش ، تساؤلات ثقافية ومحاولات متواضعة للاجابة عليها (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) ، ص ٥ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعقلا ، ولذا فلا بد من أن يحدد الرجل سيرها ، وشكل حياتها ، فهو الذى يحميها ، ولا إرادة لها إلا مايمليه هو عليها ، لذلك يحدد لها كل ما يتعلق بحياتها من حيث : العمل ، والوظيفة الاجتماعية ، وشكل العلاقات ، فتتلخص مهمتها في الحياة في خدمة الزوج ، وتنفيذ أوامره ، وتلبية رغباته ، إضافة إلى الأمومة والإنجاب " المرأة في الريف تعاني من ظروف معيشية صعبة ، بسبب ما تتحمله من عمل مرهق في الحقل ، وما تعانيه من سوء التغذية ، وما تتعرض له من الأمراض المختلفة ، فضلا عن ذلك فهي أمية غير متعلمة "(١)

على الرغم من أن واقع المرأة في الريف أكثر تخلفاً وجموداً من وضعها في المدينة ، الا أننا لا نعثر بدراسات كثيرة حولها ، ففي المؤتمر الوطني خصصت لها دراسة واحدة من بين ثلاث وثلاثين دراسة قدمت فيه • ونجد عنها حديثاً مختصراً في الكتاب الوحيد الذى صدر عن المرأة الاردنية ، مع أن المرأة في الريف تشكل نسبة كبيرة من السكان ، فالاردن مجتمع زراعي أولاً • لكن تلك الدراسة ، والإشارات المختلفة في دراسات أخرى أمكنت الباحث من تكوين صورة قريبة عن واقع المرأة •

تبدو مشكلة الأمية المشكلة البارزة من بين ما تعانيه المرأة الريفية من مشكلات ، فتصل نسبة الأمية الى ٨٥ ٪ بين النساء ، وهذا فارق كبير عن المرأة المدينية (٢) • وتقتصر مهمة المرأة في الريف على القيام بأعباء المنزل ، ورعاية الأطفال ، وخدمة الزوج أولا ، إضافة إلى العمل المرهق في الزراعة " ومن المشاهد في المجتمعات الزراعية أنه يبدأ سن العمل مبكرا نوعا ما ويمتد قليلاً إلى ما بعد سن التقاعد " (٣) ، ومما يلاحظ أن عملها يتأثر بوضعها الاجتماعي

---

(١) حلوه ملحس ، المرأة الاردنية الريفية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) ، ص٢٠
(٢) ، (٣) المرأة الاردنية ، ص ٧٤ • وأنظر : ريما الضامن ، المرأة والتنمية الاقتصادية (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) • وأنظر : عبد الكريم المومني ، المرأة وبرامج التعليم غير النظامي •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي اذا كانت من أسرة غنية تستغني عن العمل ، والأفلا [١]. والملاحظة الثانية : أن عطها المرهق لا يدفع التنمية في الريف الى الأمام " بسبب ما يصاحب تعلمها وتدريبها في وقت مبكر من إهمال بسبب انقطاعها عن الدراسة وزواجها المبكر " [٢] .

تفتقد المرأة في الريف الإرادة والحرية ، فهي لا تستشار إلا في حدود ضيقة لا قيمة لها ، ولا تستطيع التصرف واتخاذ قرارات تخص حياتها ، فاذا امتلكت دخلا فرديا فإنها تستشير الزوج أو العائلة في كيفية إنفاقه [٣]. ولهذا فهي تحرم من الحصول على الإرث " ولا تزال عرضة للزواج دون موافقتها والعقاب عندما لا تتقيد بالتقاليد المتبّعة ، وهي لاتزال مضطرة للتظاهر بعدم امتلاك السلطة حتى حين تمتلكها " [٤] . فتفتقد فيها الشخصية المستقلة في إرادتها ورغباتها فهي تابعة للزوج ، طيعة أوامره . وزيادة على هذا الظلم نجد المجتمع يهملها وإهمالها يتبدّى في مظهرين : الأول : عدم وجود دراسات كافية تظهر وضعها ، وتضع الحلول لمعالجته . الثاني : إهمال وسائل الإعلام العناية بالمرأة الريفية ، فهي تقصر اهتمامها على المرأة في المدنية "وتكاد تخلو من البرامج الموجهة للمرأة الريفية، وحتى طرح قضايا الريف والبادية ، وكأن المرأة في الريف والبادية ليس لديها قضايا وهموم ومتاعب " [٥]

(١) بثينة جردانة ، المرأة الاردنية العاملة (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) ، ص٢٧.
(٢) بثينة جردانة ، صورة المرأة في وسائل الاعلام ، ص٥.
(٣) حلوه ملحس ، المرأة الاردنية الريفية ، ص٧.
(٤) خوله يحيي ، المرأة والأسرة ، ص٥.
(٥) تريز حداد ، واقع المرأة في وسائل الاعلام الأردنية ، ص٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما سبق لا يعني غياب المرأة الفاعلة من المجتمع ، فعدد قليل من الدراسات أشار إلى دور المرأة المقاومة في فلسطين ، وأظهر وعي عقلها وفاعليتها ، لكن هذا لا يعني أن المجتمع اعتقها من نظرة المتخلفة ويتمثل هذا في عدم حصولها على حقوقها الكاملة بما يتناسب والدور النضالي الذى قامت به مدفوعة بغيرتها على الوطن ، وحرصها عليه ، اذ بدأ نضالها مع أول ثورة قام بها الفلسطينيون ضد الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠ " فكان من الطبيعي أن تبدأ الحركة النسوية في صفوف الفئات المتعلمة من نساء فلسطين كان أكثرهن من بنات الأسر المتوسطة أو فوق المتوسطة " (١)

تبدو فعالية المرأة في نكبة عام ١٩٤٨ ، حيث ساهمت فعليا في الثورة مما نتج عنه سقوط عدد من النساء شهيدات " وفي حرب ١٩٤٨ شاركت المرأة في حفر الخنادق ، وأنشأت الاستحكامات ، وحملت السلاح لصد الاعتداءات الصهيونية على المدن والقرى ، وضمدت جراح المجاهدين في المستشفيات . " (٢)

---

(١) سهيلة الريماوى ، تاريخ الحركة النسوية في فلسطين (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥) ، ص ٥١ . وأنظر : نضال المرأة الفلسطينية ، أصدره مركز الابحاث — المجلس الوطني الفلسطيني ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٥ . الذى يتناول عرضا شاملا لتاريخ نضال المرأة في فلسطين منذ ١٩٢٠ — ١٩٧٥ .

(٢) المرأة الاردنية ، ص ٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد نكبة ١٩٦٧ نجدها تناضل دفاعا عن وطنها " فاستشهدت، وسجنت، وأبعدت كثيرات منهن، وما زلن يلاقين كل ألوان الظلم والتعسف من السلطات المحتلة "(١). لقد وصلت المرأة المناضلة في فلسطين قمة التفاعل مع الهمّ الجماعي متجاوزة المستويات الدنيا من العمل الاجتماعي، والثقافي، والخيري، وغيرها، فوصلت في وعيها إلى السياسة والنضال، والأحزاب السياسية. لكنها بقيت مقيدة بنظرة متخلفة أعاقت وصولها إلى مركز قيادي يتناسب وتضحياتها " وظل عمل المرأة السياسي محكوما بسقف الحواجز الكثيرة، التي تفرض على المرأة، وهكذا يفي دور المرأة دورا هامشيا رغم التضحيات التي قدمتها "(٢).

---

(١) المرأة الاردنية، ص١٥٥. وانظر دراسة: سهيلة الريماوى، وضع المرأة في الاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ (أوراق المؤتمر الوطني ١٩٨٥). الذى تحدثنا فيه عن نضال المرأة وضروب مقاومتها للاحتلال في فلسطين.

(٢) سهيلة الريماوى، وضع المرأة في الأراضي المحتلة، ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثانـــــي

أولا : صورة المرأة فـــــي الروايـــــة من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ .

ثانيا : صورة المرأة فـــــي الروايـــــة من ١٩٦٨ ـ ١٩٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : صورة المرأة في الرواية من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ •

١• صورة المرأة في الريف •

٢• صورة المرأة في المدينة :ـ

أ• صورة المرأة في الطبقة الفقيرة •

ب• صورة المرأة في الطبقة الوسطى •

جـ• صورة المرأة في الطبقة الارستقراطية •

٣• صورة المرأة الفلسطينية •

٤• صورة المرأة المنحرفـــة •

٥• الصورة غير المألوفة للمرأة •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ — صورة المرأة في الريف

الرواية التي تعرضت لوضع المرأة في الريف — في هذه الفترة — هي " شمس الغروب " لمحمد سعيد الجنيدي ، حيث يظهرها عدة للرجل ، ووسيلة للترفيه عن نفسه ، فرجال القرية " لا يلذون من حياتهم الا الطعام والشراب ، ولذلك كانت المرأة أول ما يفكر به انسان القرية "[١] ، فليس لها قيمة إلا من زاوية الجنس ، لهذا فهي تعامل كما يعامل السيد عبده : تتعرض للإذلال ، والإهانة بمختلف ضروبهما ، فالراوي يحدثنا عن علاقة أمه بأبيه " وكونه لائي أيضا خصيما يلعنها لأي سبب ويضربها لا تفه الأسباب ، ألم يطرحها ويطأ بقدميه القاسيتين بطنها ؟ ، فاجهضت مساء ذلك اليوم البغيض ، لأنها لم تستطع أن تحصل على قليل من الزيت من بيت خالتي " [٢] . فالمرأة الريفية تعامل بهذا الشكل على الرغم من أنها فاعلة في مجتمعها ، فهي تقوم بحمل شاق "والفلاحات الحافيات يعدن مع الغروب تثقل رؤوسهن حزم الحطب الكبيرة التي جمعنها من بين الأشجار " [٣] . ويحدثنا عن أمه " وهي تقتلع شوكة وخزتها في الطريق الملتوى عبر الحقول الخضراء ، مشيرة بيدها المتخدرة من كثرة العمل وتعاسته " [٤] ، فهي تعمل كما يعمل الرجل ، بل تمارس أعمالا أكثر مشقة منه ، لأنه السيد المالك ، وترينا الرواية أنه حين كان يريد إراحة نفسه يوكل إليها العمل الذى عليه " أسرعي أيتها الكلبة ، واحملي هذه الصرة ، فقد آذاني حملها " [٥] ، فالمرأة عنصر أساسي في إنجاز العمل في الريف ، لكن هذا العمل لم يمنحها إحساسا بالثقة والحرية ، بل كانت تمارسه كالقن في الأرض ، فهي تقوم بعمل مردوده العادى للرجل ، ولذا فهي

---

(١) محمد سعيد الجنيدي ، شمس الغروب ، منشورات الرواد ، عمان ، ١٩٥٧ ، ص ٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ — ١١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبقى تبعاً له ،لفقدانها الاستقلال الاقتصادى الذى لو امتلكته لمكّنها من التفكير بحقيقة حياتها ،والبحث عما يحقق إنسانيتها ،لكنّها بهذا الوضع تبدو في قمّة السلبية والعجز ،حتى أننا نفتقد وجود ثورة في نفسها ،أو حديث يدل على عدم رضاها عن واقعها،لذلك فهي لا تفعل شيئاً يدفع عنها الذلّ والإهانة ، ونجدها سلبية خاضعة للرجل ،كأنها في قرارة نفسها ترى أن هذا هو الوضع الطبيعي ،وأن من حق الرجل أن يمارس حياته معها هكذا،وهذا ما تؤكده الرواية، فلا وجود للمرأة إلا من خلال الرجل " فأى شيء يملأ حياة المرأة غير الزوج " (١) . هذا من حيث المضمون الذى يقابل تخلفا في التصوير الفني لها ،فالموظف لجأ إلى القص والسرد ،فبدت الصورة سطحية ركّز فيها على حياتها الخارجية ولم يصورها في بعدها النفسي ،أو يقدمها بأساليب فنية فجمدت منذ السطور الاولى .

بدت الرواية أشبه بالحكاية ،لافتقادها تطوير الحدث فنيا ،فنجد عنايته بالوصف المثل بأساليب إنشائية متقعرة لا تتناسب مع فن الرواية ،التي اعتمدت على التقرير ،مما أفقدها الحركة، فلم يتركها تنمى عن نفسها ،بل كان يقرر كل شيء ، ليستطيع بث انشاءه الوعظي عن طريق شخصية إلهام التي اخترعها ،كي يلقي بآرائه من خلالها .

٢ ـ صورة المرأة في المدينة

إن وضع المرأة في المدينة ، ومقدار حصولها على حريتها يتفاوت تبعا للطبقة التي تنتمي إليها ،ولتمتعها بالاستقلال الاقتصادى ،ولذا جزأت صورتها في المدينة إلى أجزاء حسب الطبقة التي جاءت منها ، فدرستها في الطبقات : الفقيرة ،والوسطى والارستقراطية .

أ. صورة المرأة الفقيرة :

نظرا للتفاوت الطبقي في المدينة ،فقد ترتب على ذلك وجود تمايز في وضع المرأة في كل طبقة عن الأخرى ،وما نشأ عن ذلك من قضايا . نجد المثل المرأة

---

(١) شمس الغروب ،ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفقيرة إما عالة على غيرها ، أو عاملة في الخدمة ، لفقدانها التسلح بأية كفاءة علمية أو عملية ، وهذا يعود إلى النظرة المتخلفة المتحكمة بالمرأة ، وعدم توفّر الإمكانات المادية لذلك .

ظهرت المرأة الفقيرة لأوّل مرة في رواية " الاشقياء " لمحمد سعيد الجنيدى . حيث نجدها معتمدة على زوجها ، الذى يشكل محور حياتها ، لاعتمادها عليه اقتصاديا ، ولذلك فهي حريصة على الزواج مهما كان مستوى الزوج ، فالخادمة في منزل أديل تزوجت من أعمى [١] ، وإذا مات الزوج تعجز عن تسيير دفة بيتها ، ولذلك تكون عالة على أقاربها ، فأخت الشاب الذى يراسل أديل بعد موت زوجها أصبحت عالة عليه هي وأولادها [٢] . وفي رواية " بيت وراء الحدود " لعيسى الناعورى تتحدد صورة المرأة — التي عرض لها عرضا هامشيا ، فهي لم تحتل من الرواية إلا بضعة أسطر — من خلال أم كريم التي لا تعرف من الحياة إلا أنها زوج وأم " كانت أمي تسهر على راحة أسرتها الصغيرة وهنائها ، وحينما تفرغ من عمل البيت اليومي كانت تتسلى بالخياطة والتطريز [٣] ، وأظهر سمة لاصقة بالمرأة الفقيرة وهي الجهل ، لعدم حصولها على العلم ، فحين أصيبت أم كريم بالزلال وهي حامل لم تعتن بنفسها ، مما جعلها تلد بنتاً ميتة [٤] ، وهي في حياتها تعتمد على الزوج الذى ينفق عليها ، ولذلك عانت الشقاء وقسوة الحياة حين لقي زوجها مصرعه في النكبة ، ولولا توفّر بعض

---

(١) محمد سعيد الجنيدى ، الاشقياء ، مكتبة الاندلس ، ط١ القدس ، ١٩٥٣ ص ١٠٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ .
(٣) عيسى الناعورى ، بيت وراء الحدود ، منشورات عويدات بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ١٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المال لديها لما استطاعت العيش • هذه الصورة قدمتها الرواية التسجيلية بطريقة تقريرية جعلت شخصية المرأة مسطحة فنياً • وإذا تخلصت المرأة من كونها عالة على غيرها فإن عملها لا يكون إلا في الخدمة كما تذكر أديل في رواية " الأشقياء " عن الخادمة التي تعمل في بيتهم ، لتعيل والدها وأختها [١] ، ويسلبها الفقر كرامتها ، فتتعرض للإهانة من قبل مخدوميها الذين طردوها بعد خدمة عشرين سنة ، مما اضطرها للتسول [٢] ، واستعاضوا عنها بخادمة صغيرة اغتصبها سيدها [٣] •

طرحت صورة المرأة الفقيرة فساد العلاقة بين الرجل والمرأة نتيجة التناقض الطبقي ، ففي رواية " الأشقياء " علاقة حب تقوم بين شاب فقير وقريبته الغنية ، انتهت بانتحار الشاب بعد اكتشاف والدها أمره ، فطرده من عمله ، وأبعده عنها [٤] • لم يوضح المؤلف موقف الفتاة ، ولعل هذا إقرار منها بما فعل أبوها نتيجة إحساسها بالطبقية والتميّز ، أو سلبية منها تبدّت في افتقار أي نوع من رد الفعل تجاه من امتهن حقها • وفي الرواية نجد الشاب الذي كان يبادل أديل الرسائل يحبها لكنه يحجم عن اتخاذ أية خطوة تقربه منها ، للتفاوت الطبقي " لأن الفقر والغنى لا يلتقيان " [٥] • أما صورة المرأة في الرواية فلا قيمة فنية لها ،

---

(١) الاشقياء ، ص ٦٢ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ •
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٢ •
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي مسطحة ، قدمت بطريقة السرد التقريري ، لهذا قدّمها على مستوى واحد من العمق وطريقة العرض ، مما أحالها إلى ألعاب بيده يتحدث بما يريد من خلالها ، ويحملها الصفة التي تريد تأكيدها في ذهن القارئ ، فافتقدت الشخصية الناميّة، لأن المؤلف قدم الأحداث بطريقة الوصف الانشائي ، فبدت الرواية أشبه بلوحات قصصية ، أو مجموعة من الحكايات المنفصلة غير ملتحمة في وحدة، لا يجمع بينها إلا الخلاف .

ب. صورة المرأة في الطبقة الوسطى

يمكن تقسيم المرأة في هذه الطبقة على أساس مستوى الوعي والوضع الاقتصادي اللذين تتمتع بهما إلى قسمين : —

الأول : الفئة الدنيا من الطبقة الوسطى ، ونساؤها لا يتمتعن إلا بقدر ضئيل من الوعي، وذلك لتحصيلهن حداً متدنيا من العلم ، بسبب النظرة المتخلفة التي تحكمهن في البيئة التي يعشن بها .

تمثل هذه الفئة حنان في رواية " دموع لا تجف "للبيل فخرى الأنشاصي *، امرأة جميلة يتوفر فيها النضج الجنسي والأنوثة ، وهذا هو المعيار الذي يؤهل المرأة للزواج ، لذا تعلّق بها زوجها ، نالت حظاً بسيطاً من التعليم ، وانحصرت ثقافتها في قراءة الروايات[1]، وقد رسمها المؤلف لتكون نموذجا للمرأة في هذه الطبقة التي تتصف بالخضوع والتكرث إلا بزوجها ، ولا تعيش إلاّ من أجله ، لأنها نشأت وفي ذهنها أن الرجل سيدها ، فتتقبل تصرفاته الخاطئة بحب وإخلاص، ذلك أنها حين أهملها زوجها — بسبب تعلقه بامرأة أخرى — بتأخره في المجيء الى البيت لا تعترض

(١) نبيل فخرى الانشاصي ، دموع لا تجف ، دار التضامن الأدبي ، مطابع الشركة الصناعية ، ط ١ ، عمان ، ١٩٥٨ ، ص ١٣ .

* قدرت تاريخ نشرها سنة ١٩٥٨ لأنه كتب على غلافها : " هذا العدد الأول نقدمه اليك " دموع لا تجف" ، تأليف نبيل فخرى الأنشاصي ، ينقلها اليك بعد عام كامل من كتابتها بعد أن حرمته المادة من نشر انتاجه ، وإرساله الى عالم النور، وأسنان المطابع حتى خلقت دار التضامن الأدبي فخرجت انسانية كثير ما تطرق أبواب مجتمعنا الحبيب " تأسست دار التضامن سنة ١٩٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا حتى تسأله أين تأخر [١] ، وما جاء على لسانها من رغبة في إصلاح المجتمع لم يكن نابعا من تكوينها الفكرى ، بل مفروضا عليها من المؤلف ، فهدت غير مقنعة مسطحـــة .

لعل أهم ما تشير إليه الرواية هو المهمة الاجتماعيـــة الوحيدة للمرأة ، التي تعتمد على نضجها الجسدى والأنثوى ، فهـــو أساس تقييمها " لا يرى فيها سوى جسدها المكتنز ، وثدييهـــا البلوريين الشاخصين البياض " [٢] ، وفي ضوء هذه النظرة المتخلفـــة للمرأة يستحيل قيام علاقة صحية بين الرجل والمرأة ، لأن المرأة بالنسبـــة إليه ليست سوى موضوع جنسي بمقدار ما يثيره بمقدار ما يتعلق بـــه ، ولذلك نرى سهولة تغييره لها فعصام حين رأى من هي أجمل مـــن زوجته تركها ، بل قتلها حتى يتزوج من الأخرى ، ولو كان أساس الاختيار قائماً على العقل والوعي لاختلف تقييم المرأة ، ولأمكن قيام علاقـــة بينهما تتسم بالنضوج . تحكم النظرة المتخلفة الرجل من حيـــث أنه يحق له ما لا يحق للمرأة ، فله أن يتهتك ، ويعيش حياته كمـــا يشاء لأنه " رجل ولا عار عليه " [٣] ، وهذا يكشف زيف مفاهيم سائدة في المجتمع فالمعايير الأخلاقية التي تحكم تصرفات الرجل تختلف عن التي تحكم المرأة وهذا يبدو في وصف المؤلف سهاد بأنها فاجرة في حين غفل عن وصف عصام بذلك على الرغم من أنه أشد فجورا ، بل أعطاه التسويغ بأنه رجل ويحق له .

---

(١) دموع لا تجف ، ص ١٧ .

(٢) ، (٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلوى في رواية " القبلة المحرمة " لصبحي المصرى نموذج آخر للمرأة في هذه الفئة ، يبين من خلالها القيود المترتبة عليها ، فهي تحسّ بسعادة في بيتها ، بسبب القيود المفروضة عليها كعدم السّماح لها بالخروج ، وهذا ما يجعلها تلجأ إلى النظر من النافذة ، التي تكرر منظرها من خلفها دلالة مادية على السجن الذى تعيشه ، وتتعرض فيه للضرب (١) ، وتطلّعها من النافذة تطلّع إلى الحرية التي رأتها تتحقق في بناء علاقة عاطفية تتحرر فيها من الكبت الذى تعانيه ، فأهلها يحددون نوع الكتب التي تقرأها ، فهم يمنعونها عن قراءة الروايات الغرامية (٢) . ولكثرة الضغوط والممنوعات الملقاة عليها نجدها تقع في حب أول رجل يصادفها ، والاختيار والحب في هذه الحالة يكون شكلياً لا قيمة له ، لأنه اختيار يخلو من العقل والمنطق ، وهذا ما عبّر عنه المؤلف : " لم تخبر الحياة بعد " (٣) . لكن هذا يعكس من جانب آخر أزمة الفتاة الناتجة عن التقاليد التي تسلب المرأة حريتها ، فتحاول تحقيقها بالبحث عن رجل تحبه في علاقة لا يعترف بها المجتمع ، لذلك تقوم في الظلام ، مما يترتب عليه وقوع كثير من المحظورات فباسم أحبّ سلوى ، وأصبح يقفز ليلاً إلى بيتها ، ليحدثها وتستسلم هي لعناقه وقبلاته . (٤) .

---

(١) صبحي المصرى ، القبلة المحرمة ، نشر دار مكتبة الحياة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ١٧ ، ١١٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشير الرواية إلى مفهوم الزواج حيث تتم طقوسه دون الاهتمام بأمر قبول الفتاة ، فحين ذهب أهل باسم لخطبة سلوى ، لم تكن وهي تعلم شيئا عن مجريات الأمور على الرغم من أن الموضوع يخصها دون غيرها " لأن في نظر أهلها ليس من اختصاصها ، وليس لها حق بالتدخل فيه "(١) . فصورة سلوى أعطت إشارات غنية على وضع المرأة لكنها من الناحية الفنية مسطحة استخدم المؤلف كشف السرد التقريري عن طريق باسم الذي يروى الرواية لأصدقائه في جلسة واحدة ، وهذا ما جعلها أشبه بالحكاية نتيجة خلوها من المضمون الفكري ، فقد اشتملت على وصف شذوذ أم سلوى . تدور الرواية حول ثلاث شخصيات أعدت أدوارها منذ البداية ، اضطر ، المؤلف لحشوها بتفصيلات لا تخدم البناء ، كتلك الرسائل التي تفيض بوصف ، وخطوات الزواج (٢) .

الثاني: الشريحة العليا من الطبقة الوسطى حيث نجد الفتاة عاملة متعلمة ، حصلت على بعض حقوقها ونرى محاولة للتمرد على الظلم الذي يلحق بها ، اضافة الى تسجيل التطور الذي أصاب نظرة الرجل اليها . لكن النظرة عموما ما زالت دونية.

تمثل هذه الفئة فاطمة في رواية " أجنحة الأمل " لمحمد عبده فريحات ، وهي معلمة في حيفا ، مثقفة ، تعي أساليب التربية الحديثة وتطبيقها في توجيه أخيها (٣) . تقدر قيمة العلم ، واعية ويبدو وعيها في رأيها بعلاقة

---

(١) القبلة المحرمة ، ص٣٥.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦ — ٤٩ .

(٣) محمد عبده فريحات ، أجنحة الأمل ، مطابع الشركة الصناعية ، ط ١ ، عمان ١٩٦٠ ، ص ٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيئة والمجتمع بخلق الانسان المحرف [١] . لاوّل مرة نلمح امرأة لها اهتمامات سياسية واجتماعية ، ففاطمة ناقمة على مجتمع يخلو من المساواة ، فالقوى (الحاكم) يخطيء ولا يعاقب ، والصغير يحاسب على الهفوة " أم هل لاولئك الحكام الذين وهبوا أنفسهم للشيطان حصانة تمنع الناس من أن تسألهم " [٢] .

تظهر البيئة المحافظة متمثلة في أم فاطمة التي تحذرها من الرجال ، وتخيفها منهم ، لانّهم في رأيها وحوش وذئاب تترصد الفتيات [٣] ، ولهذا نشأت فاطمة وفي نفسها خوف من الرجال ، وشهوة لهم ، مما يتوقع معه انعدام علاقة سوية بين الرجل والمرأة ، فابراهيم شقيق فاطمة الصغير يدهش حين قالت له فاطمة : إنها على علاقة صداقة مع فراس فقال : " وهل هناك صداقة بين الرجال والنساء [٤] ، وإن وجدت علاقة فإنها تبقى عقيمة ، ففاطمة وهي الفتاة المتعلمة أحبت فراساً دون حديث معه ، أو تعرّف عليه ، ولذا افتقدنا إلى نضج الاختيار نتيجة الإحساس بالدونية في نفسها ، مما دفعها إلى احترام فراس لانّه رجل وليس لصفاته كانسان ، على الرغم من تظاهر فاطمة الزائف ، ودعوتها للاختيار الواعي حين تنصح صديقتها " انه يجب علينا معشر الفتيات أن نعرف كيف نحب ؟ ومتى نحب ؟ ومن نحب ؟ " [٥] . وقد

---

(١) أجنحة الامل ، ص٦١

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عكست جلساتها مع صديقتها اهتماماتها ، فيهما لا تتحدثان إلا عن الرجال والحب ، وكأن المرأة لا قضية لها إلا الرجل ، ولا همّ عندها إلا الحب ، وهذا دليل على سخف عقل المرأة في ذلك الوقت ، فهي لم تستفد بما حصلت عليه من علم ، وما زالت تسلك في حياتها حسبما تمليه عليها انفعالاتها العاطفية بعيداً عن العقل والخبرة ، وهذا ما عبّر عنه فراس: " إن الفتاة مكن لا تفكر ، ولا تحكّم سوى عاطفتها "(١). ويبدو سخف عقلها في حرصها على الحصول على حب فراس لها لجمالها وليس لمعايير أخرى (٢) ، فما زال إحساس المرأة بأنوثتها هو معيار صلاحيتها وهذا يؤكده المؤلف حين يحرص على تقديم الوصف الجسدي لكل امراة ، وإظهار ما فيها من جمال وفتنة ، فالنظرة الى المرأة كانت من زاوية الأنوثة ، ففراس لم يكن يرى في فاطمة إلا جمالها الحسي ، ولا يتصورها إلا وهي بين ذراعيه يستمتع بها (٣) .

التطور في هذه الشريحة كان محدوداً ، وانحصر في السماح للمرأة بالتعليم والعمل ، فلا نلمس تطورا في عقلية المرأة أو في نظرة الرجل إليها ، فهي دوما متهالكة عليه ، تقدم نفسها له ، وقد بالغ المؤلف في هذا ، لأنّ وقوعه مستحيل في مجتمع تحكمه تقاليد صارمة ، تسحب كل حق يمكن لها التمتع به حتى التعبير عن حبها ، وهذا ما جاء على لسان فراس:" إن الفتاة هي التي يجب أن تنتظر الرجل ، الرجل

---

(١) أجنحة الأمل ، ص١٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى يأتي راكعاً ساجداً ، ليطلب يدها حسب ناموس السماء "(١). فليس من الممكن وجود امراة تعرض نفسها على الرجل ، وتدعوه لبناء علاقة جنسية معها كسعاد المعرضة ، وتلك الفتاة التي لم يذكر اسمها (٢) .

يبدو التمييز بين الرجل والمرأة في قبول الرجل باستهتاره وبناء علاقات جنسية ، بينما يحرم ذلك على المرأة . ففراس حين يقبل يدها يشعر أنها رخيصة ، وأن عليه أن يتركها ، فعمل على اختبارها بأن أغراها بعناقه وقبلاته لكنها رفضت فأعجب بها . هل صنعت المرأة من حديد حتى يحاول إيقاعها ثم يلومها إذا استسلمت له ؟! ، وهذا يعكس ظلم المجتمع لها ، الذى يعطي الرجل كل شيء لكنه يحرّمه عليها ، ويؤيد ذلك موقف فراس من تعلّم الفتاة على الرغم من أنه أصبح طبيبا " فلماذا لم يعلموها أكثر وأكثر؟ ، وأخيرا أقنعت نفسي أنهم على حق ، إن الفتاة فتاة ، فمهما طال العمر ، ومهما تعلمت ، فلا بد لها من الزواج " (٣) ، بهذا تتضح في ضوء نظرة متخلفة مهمة المرأة التي تتلخص في الزوجية والأمومة . وقد انطلق المؤلف من هذه الرؤية حين صور أهمية الرجل بالنسبة للمرأة ، فهو شاغلها الوحيد ، لكن المؤلف بالغ في هذا ، فالنساء اللاتي تعرض لهن متعلمات وعاملات ومحاصلات على قسط وافر من الحرية وذوات خبرة ، اطلعن على أمور مختلفة من الحياة ، كل هذا يجعل

---

(١) أجنحة الأمل ، ص١٩٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١١٥ ، ١٩٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهتمامهن يتجاوز الرجل إلى أشياء أخرى • ولهذا كان يمكن لواحدة منهن أن تخرج متميزة ، لكن المؤلف وضع الشخصيات المختلفة للمرأة في مستوى واحد من العمق في المضمون والفن ، مما جعلها تظهر فجة غير مقنعة •

تتطرق الرواية إلى شخصية مميزة في وعيها هي أم فاطمة، التي كانت سبب استمرار بيتها ، ونجاح أولادها ،فزوجها مات مبكرا وترك لها الابناء • تبدو قوية محبة لوطنها ، فهي تؤكد أنها لن تتوقف عن الدفاع عن الوطن والعرض (١) • وتشجع أولادها على العلم وتربي فيهم الاحساس الوطني (٢) •

فشل المؤلف في رسم صورة المرأة فنياً ، فاطمة وهي الشخصية الرئيسية في الرواية تبدو ناضجة واعية متعلمة عاملة ، وهذا يعني تطوراً في المضمون ، لكنها فنياً قدمت بطريقة السرد ، إضافة إلى أنه وظف نمو الحدث وتتابعه كطريقة فنية يكشف فيها بعض الجوانب في الشخصية، لكنه استخدم الشخصيات نماذج نمطية حمّلها أفكاره ، فهو يجعل الأم تتحدث بأشياء لا يخولها مستواها الثقافي من الحديث بها (٣) ، وكان البطء في نمو الحدث سبباً في إضعاف البناء ، مما نتج عنه حشو الرواية بالخطب والمواعظ " إننا بحاجة إلى أمهات متعلمات ، أمهات يعرفن كيف يخلقن من أولادهن ، وأبنائهن آباء بررة ، وأمهات صالحات " (٤) ، وأضاع كثيرا من الصفحات للحديث عن انفعالات فراس في الحب ومعاناته ، وإيراد قصائد الحب والشوق شأن الرومانسية ، التي تبالغ في الإفاضة بالمشاعر والانفعالات • إضافة

---

(١) أجنحة الامل ، ص ٢٣ ، ٢٩ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤ •
(٣) أنظر : المصدر نفسه ، ص ٣٤ ، ٧١ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى أن اللغة في الحوار كانت خطابية لا تتناسب مع طبيعة الشخصية ومستواها ، كقول أم فاطمة " العلم هو القارب الذى يوصلنا إلى شاطىء العز والسؤدد والحرية " (١) . فهل هذا مستوى امرأة في مثل عمرها ؟! . لهذا بدت الشخصية غير مقنعة ، لأن الحوار فقد واقعيته مما جعل الشخصيات تبدو في مستوى واحد . وقد حشد المؤلف كثيراً من الحكايات الجانبية التي تنمّي الخط الرئيسي في الرواية مثل : تفاصيل الجلسات بين الأصدقاء ، أو مشكلات صديقة فاطمة العاطفية ، أو حكاية المعرضة سعاد وعلاقتها بفراس (٢) .

جـ . صورة المرأة في الطبقة الأرستقراطية .

تتمتع المرأة في هذه الطبقة بكثير من الحقوق التي تطمح اليها المرأة في الفئات المختلفة في المجتمع ، وقد تضاربت آراء المؤلفين فيها فمنهم من كان محايداً في تصويرها كعبد الحليم عباس في " فتاة من فلسطين " ، ومنهم من تعاطف معها كشكرى شعشاعة في " في طريق الزمان " ، ومنهم من حقد عليها انطلاقاً من نظرة متخلفة كنبيل الانشاصي في " دموع لا تجف " .

في رواية " فتاة من فلسطين " نلتقي مع امرأة هذه الطبقة وكشف جوانب متنوعة منها ، فوالدة فدوى ووالدها كانا حريصين على تعليم أولادهما

---

(١) أجنحة الأمل ، ص٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٩ ، ٤٥ — ٤٨ ، ١١٣ — ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يدل على توفر الوعي في عقلية المرأة " فقد كانت تلح على زوجها أن لا يضن على أبنائه بشيء في سبيل العلم ، فقد كانت عاقلة متزنة نالت في بيت والدها قسطاً من الثقافة " (١) . لم تكن المرأة جاهلة ، نتيجة لهذا الوعي نجد أن الضغوط في هذه الطبقة أقل من غيرها ، والممنوعات محدودة ، فأم فدوى تسمح لها بالحديث عن ابن عمها ، وإظهار غيرتها عليه (٢) ، وتبدو قيمة المرأة في هذه الطبقة أعلى من مثيلتها في الطبقات الاخرى ، فأم فدوى على علاقة حسنة بزوجها " وهو في عمله يشركها فيه ، ويأخذ رأيها اذ كانت أعماله تتطلب الروية ، والمشاركة في الرأى (٣) .

لكن الزواج يأخذ بعداً لا أخلاقيا ، فهو لتحقيق مصلحة ، فوالد فدوى فكر في تزويجها إلى ابن أخيه ، كي يستعيد ثروته التي خسرها في عملية تجارية ، ومارس الضغط عليها بالاشتراك مع والدتها ، للتأثير على عواطفها ، واستغلال ضعف الفتاة أمام حبها لوالديها (٤) ، لكن والدها تراجع عن رغبته بإقناع من خالها " فهل ترضى أن تثرى بابنتك "(٥) ، وهنا نلمح نظرة تقدمية ، وهذا طبيعي فحركة المرأة بدأت في الطبقة الأرستقراطية وقد اتضح ذلك في الفصل الأول . فالتعامل مع المرأة لم يكن متخلفا في جميع

---

(١) عبد الحليم عباس ، فتاة من فلسطين ، نشر مكتبة الاستقلال ، عمان ، طبع دار الكتاب العربي ، مصر ١٩٤٨ ، ص ٣٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجوانب ، ومحاولة تزويج والد فدوى لها تعطي للتقدم العمي في هذه الطبقة صفة الزيف في بعض الجوانب •

أما فدوى فهي فتاة متعلمة ، رسخت نشأتها في ذهنها معنى الانوثة والعاطفة ، فقد وضع في ذهنها منذ الصغر أنها خطيبة لابن عمها [١] ، لذلك نراها في فترة مبكرة من حياتها تعني بهذا الجانب ، فيحزنها أن ابن عمها جمالاً له علاقة مع فتيات ، وتحاول المقارنة بين جمالها وجمال هؤلاء ، وفي هذا إشارة إلى ترسيخ اعتبار الانوثة والجمال الجسدي فيها بغض النظر عن نضج العقل والوعي والثقافة • تلمس فيها تمرداً على التقاليد حين ترفض ابن عمها زوجاً ، الذي حاول الزواج بها رغم إرادتها " ولكني سأعصي أهلي ، ولن أقبلك مهما قويت إرادة الأهل والأقرباء [٢] •

يحاول المؤلف اظهار فدوى بأنها متمتعة بالحرية • ولكن أي نوع من الحرية ؟ وإلى أي مدى استفادت فدوى من التعليم ؟ • لقد كانت أنوثتها هي المحور الذي تسير حوله ، وتتشكل اهتماماتها من خلاله ، فنراها تلقي بالاً إلى الغزل وكلمات الإعجاب التي تقال لها من قبل الشباب ، " فتفتح لهم سمعها ، وتجازيهم بابتساماتها ، فيظن كل منهم أنه الأقرب " [٣] • حرية فدوى شكلية ممثلة في مظاهر لا قيمة لها ، ولا تعبر عن نفس متحررة ، وعقل منطلق ، كالرقص المختلط ، ولعب الرياضة بملابس فاضحة ، والذهاب الى الحفلات المختلطة [٤] ، فهي لم تستفد من علمها شيئا إلا مزيدا من تلك المظاهر التي تظهر التحرر بمظهر فج ، كأنه تبرج ، وتبذّل ، واستقبال الرجل في بيتها [٥] ،

---

(١) فتاة من فلسطين ، ص ٣٠•
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨•
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦•
(٤) المصدر نفسه ، أنظر : ص ٤٦ ، ٥٥ ، ٦١•
(٥) أنظر : المصدر نفسه ، ص ٦٦ ، ٦٣•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعدم الاحساس بالمسؤولية ، فحين ابتعدت عن أهلها • وسكنت اللّد مكّنت سامي من المجيء إلى بيتها ، والسهر عندها ، والاستسلام له جسدا •

يبدو أن المؤلف أراد المقارنة بين النظرة المتخلفة للمرأة التي تتمثل في والد سامي الذى رفض تعليم ابنته [١] ، ويدعو إلى حجب المرأة جسداً وغضب على ابنه الذى خطب دون رضاه أو أخذ مشورته [٢] ، وبين النظرة المتحررة للمرأة التي تتمثل في أهل فدوى الذين منحوها حرية التصرف مع خطيبها أمامهم ، وسمحوا لها بالعمل مترجمة في إحدى الشركات [٣] • وتحرر فدوى يقابل يرفض من الفئات الأخرى في المجتمع المتمثل بصاحب المقهى ، الذى لا يقبل أى منظر لشاب مع فتاة يجلسان على انفراد فحين رآهما اتّهم سامي بأنه كان يقبل الفتاة ، وحين وصلت القصة الطفقة أقرباء سامي أشاعها ، تسبّب عنها ترك سامي لعمله [٤] •

تظهر الرواية فدوى لا تعني إلاّ باهتماماتها وعواطفها الذاتية دون النظر الى المجتمع ، أو التفاعل مع ما يواجه وطنها ، فحين أراد سامي أن يذهب الى فلسطين مجاهداً كان موقفها يعكس تحررها الزائف" ••• وجاهدت أن تثنية عن هذا العزم ، لكن عبثا كانت تحاول [٥] ، فجاءت المرأة سلبية في موقفها تجاه الأحداث ، بعيدة عما يعيشه المجتمع ويعانيه أبناؤه •

---

(١) فتاة من فلسطين ، ص ٧٦ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٤ ، ١٥٥ •
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ •
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت شخصية فدوى فنياً مسطحة شغل المؤلف بالحديث عن مظهر الشخصية ولم يعن باستبطان نفسيتها ومشاعرها ، ففقدت الحيوية ، لأن المؤلف قدمها بطبيعة واحدة ، فتحدث عن تاريخها وأغفل كشف الشخصية ببعدها النفسي ، فلم تتم بنمو الحدث ، وقدّمها بطريقة سردية ، ووقع في رسمها بتناقض حين ذكر أن فدوى اشتركت في الحرب ، ثم يظهر موقفها من ذهاب سامي إلى فلسطين ، مما دلّ على سلبيتها . ولفردية البطولة في الرواية جعله هذا يلقي الضوء على مشاعر فدوى ، وعلاقتها العاطفية ، وطبيعة حياتها ، ويغفل عن ذكر حدث النكبة الذي جاءها هامشيا عندما ذكر أن عائلة فدوى رحلت إلى الأردن ، إضافة إلى أن المؤلف استخدم لغة فصيحة ، فلم نستطع تلمس الفرق بين الشخصيات المتحاورة .

في رواية شكرى شعشاعة " في طريق الزمان " تواجهنا صورة المرأة الأرستقراطية في شخصية سلمى التي تعاني الحرمان العاطفي ، بسبب موت أمها وغياب والدها ، فعاشت مع زوجة أبيها التي تعذبها ، فحاولت التخلص من هذا باللجوء للانتحار (١) . تطالعنا صورتها متسمة بقدر من النضج على مستوى المضمون والفن ، فهي بعد أن عبرت عن عجزها وسلبيتها بالانتحار ، ووقوعها في حب هشام الذي أنقذها اتضح للقارئ سبب شقائها وهو الحرمان العاطفي وفقد الحرية " صرفتني عن إرادة الفناء ، وأهديت الى حب الحياة ، فانا أعيش اليوم وإنما أفعل أفعل هذا من أجلك " (٢) .

---

(١) شكرى شعشاعة ، في طريق الزمان ، دار النشر والتوزيع والتعهدات ، عمان ، ١٩٥٧ ، ص٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفقد حريتها ليس بسبب نظام طبقتها ، بل مضايقة زوجة أبيها لها " تريدني أن أكون بغير لسان ينطق حتى وبلا قلب لـــــــه رغبة ••• ثم لا مكان لي في البيت إلا ما رضيت أن يكون " (١)، فهي تشعر أن حريتها تتحقق بأشباع عاطفتها ، فنجدها بعـــــد أن توثقت علاقتها بهشام تتغير حتى أصبحت أكثر جرأة وقـــــدرة لتقبّل والدها وظلمه ، فتفعل ما تريد (٢) ، لأن علاقتها وفرت لهـــا أمرين : الاوّل : إشباع الجانب العاطفي ، وهذا ما جعلهـــا تستجيب لعناقه وقبلاته سريعا • الثاني : إعطاؤها الثقة ، فهي تشعر بالنقص كونها ليست جميلة ، فارتبطت بأول رجل أظهر لهـا الحب على الرغم من إظهارها بأنها غير مهتمة إلا بخلق الرجل ، فهذا هو معيار تقييم الإنسان عندها (٣) إلا أن هذا لا يغير شيئا ، فحين اختارت هشاما كان هو الخيار الوحيد أمامها ، فقبلته لتهرب من ضروب العنف والقسوة اللذين عانتهما •

إن المؤلف بتركيزه على إحساسها بنقص جمالها فـــــي غير موضع (٤) يظهر أن كيان المرأة يكمن في جمالها الجســـدي، وهذا انعكاس لنظرة بدائية للمرأة حين كان علمها وعملها مرفوضـا ، فلا تختار إلا على أساس انوثتها ، وهذا دليل على قصر في الوعـي والنظر ، هل الجمال هو كل ما هو مطلوب من المرأة ؟! •

---

(١) في طريق الزمان ص٢٩•

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٩•

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٨•

(٤) المصدر نفسه ، أنظر : ص٢٣ ، ٣١ ، ١٦•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبق

تردد تسلوى على التفاوت الطبق الذى يفصل بينها وبين هشام ، ولعل الأخير أحبها بسبب كونها رمزا لآماله وتطلعاته والطبقة التي تمثلها ،وهذا يدعه سعيه المتواصل للحصول على مركز و ثروة مناسبين ، كي يستطيع الزاج منها على حد زعمه ،فهو حين تزوجها سكن في بيت والدها (١) .

الزواج

يبرز المؤلف أثر العلم في شخصية سلوى ،فهي حين دخلت الجامعة تفتحت وزادت وعيها ،وأصبحت تهتم بقضايا أمتها ، يبدو هذا في مناقشتها لأستاذ إنجليزى حول ما فعله الإنجليز بفلسطين (٢) ، فلم تعد العاطفة محور حياتها ،بل أصبحت لها اهتمامات أخرى من خلال دراستها ،وممارستها العمل ،فلم يعد الرجل محور تفكيرها ، فشاركت في المجتمع بعد أن تحققت لها الحرية بالحب والعلم والعمل .

شخصية سلوى شبه ناضجة أقرب إلى الإقناع ،وقد استخدم المؤلف في تقديمها طرقاً متنوعة منها : التقرير السردى ومعظم الجوانب التي عرفناها عنها كانت بهذه الطريقة ،وطريقة الرسائل التي كانت تتبادلها مع هشام (٣) ،ونجد بداية بسيطة ساذجة للمونولوج الداخلي حين تأخذ سلمى في التفكير ،وتسترسل في تأملات رومانسية (٤) ، ثم نمو الحدث وتتابعه . لكن هذا ينبغي ألاّ يوهم بأن الرواية متقدمة فنياً ،لكنها تبقى متقدمة على ما سبقها من روايات ،فالمؤلف كان

---

(١) في طريق الزمان ،ص ٨٧.
(٢) المصدر نفسه ،ص ٨٠ - ٨١ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٧ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مغرماً بإلقاء الخطب على لسان شخصياته (١)، مما أثر في نمو الحدث الذى كان بطيئا ، فقد أمضى صفحات كثيرة ليسجل الرسائل المتبادلة بينهما بجميع تفاصيلها ، مما كان أكثرها لا يخدم حركة الحدث ، ولا يعطي أبعادا عميقة للشخصية ، فبدت الشخصيات نماذج بسبب اللغة الخطابية التي لا تتناسب معها ، فلم يكن الحوار خادما لها : بأن يكشف الخصائص النفسية للشخصية ، وكثيرة من الرومانسيين أغرق في وصف المواقف العاطفية ، مما جعل الرواية تأخذ حيزاً أكثر مما تستحق ، لاهتمامه بالمساحة دون العمق • وقد احتوت الرواية على كثير من التفصيلات التي لا تخدم البناء •

أما المؤلف الذى انطلق من رؤية متخلفة في تصوير المرأة فهو نبيل فخرى الانشاصي في " دموع لا تجف " ، وسامي محريز في " لقاء في الخريف " • ففي الرواية نلتقي مع سعاد ، وهي فتاة جميلة مترفة تمتلك مليون دينار ، وتدرس في كلية الحقوق ، ويبدو أن المؤلف أراد أن يظهر من خلالها أن العلم وسيلة لفجور المرأة واستهتارها ، فيظهرها تمارس الحرية بمظاهرها الزائفة كالرقص في الحفلات المختلطة ، وشرب الخمر ، وليس لها هدف إلاّ التلاعب بالرجال • " عادت تشغل أم رأسها في الطريق التي تستطيع بها أن التلاعب في عواطف عصام كيف تشاء، فتسلبه عقله ، وتأخذه صديقاً وأسيراً لقلبها وجمالها " (٢) ، فالمؤلف يظهر المرأة في أتفه صورة وأحطها ، فسهاد متعلمة متطورة قادرة على التكيف الاجتماعي والتأثير على

---

(١) في طريق الزمان ، ص ١٤ •
(٢) دموع لا تجف ، ص ٢٥ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآخرين ،وهي تدرك أن وضع المرأة تغيّر ،فاضحت علاقتها بالرجل تقوم على التكافؤ والمساواة ،وهذا تنبؤ من المؤلف بمستقبل العلاقة بينهما ، فالصورة التي ذكرتها سهاد لم تكن واقعية ،ولذا يمكن أن تعدّ استشرافاً للمستقبل " تخلصنا من عهد التخويف والتهديد ،تهديد الأمهات لبناتهن إن كلّمن الرجل ،لأنّ الأمهات أصبحن متعلمات ،والرجل أصبح مساويا للمرأة ،لقد تساويا في الحقوق ،وامتزج صوتهما مكونا صوتاً واحداً يدعو للإصلاح والخير وإقامة مجتمع سليم " (١) ،فحين تحدثت عن التخويف والتهديد صورت الواقع ،لكن المؤلف هدم هذه الصورة المتطورة للمرأة حين تحامل عليها ،وأظهر شذوذها وميلها للتلاعب بالرجال ،واختار كل المواقف الزائفة المستهترة ووضعها فيها ،ليعطي التطور الذي حصلت عليه المرأة صفة الاستهتار والابتذال والفجور،وهذا ما صرح به حين تدخل وعلق " اسمحوا لي أن أطلق عليها الفاجرة " (٢) ،فقد جعل همّها تدمير البيوت المستقرة مستغلة جمالها الجسدي وفاتنها ،لتغرى الرجال دون أن يبين سبباً واحداً لمثل هذه الرغبات .

إن المواقف المبتذلة التي اختارها المؤلف لا تمثل المرأة الأردنية في أي طبقة من المجتمع ،لكنه جاء بها لكي يهاجم من خلالها تعليم الفتاة والاختلاط والسفور وكل تطور اجتماعي أصاب المرأة ،لذلك لم يكن

---

(١) دموع لا تنشف ،ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنياً بخلق شخصية فنية ،لكنه قدم نموذجاً ليؤدي من خلاله فكرة ، فكانت صورتها سطحة وضحها بطريقة تقريرية ،فاتسمت الشخصية بعدم المنطقية ، فجاءت غير مقنعة ولا مبررة ،فهو لم يتعمق صورتها ،بل أعطى وصفاً ظاهريا لها ،فسهاد على الشكل الذي رسمها لا بدّ وأنها تعاني من خلل نفسي ،لكنه لم يقدم أيّ تعليل لذلك ،مما أوقعه في التناقض ،فجعل سهاد تتخبط بين نموذج متطور نقي للمرأة حين حرصت على إقامة مجتمع صالح بالتعاون مع الرجل ،وبين نموذج مستهتر مبتذل ،وهذا يعكس حيرة المؤلف تجاه المرأة المتطورة ،لسيطرة النظرة المتخلفة عليه حين جعل همّ المرأة الأول والأخير هو الرجل ،وأنها مهما بلغت من العلم لا تكتمل حياتها إلا بوجوده وعلاقته بها .

فشل المؤلف في خلق صورة فنية جزء من فشله في إعطاء رواية فنية ، فجاءت جامدة نتيجة حصرها في ثلاثة أشخاص رسم لكل منهم دوره ،وجعل يبث أفكاره من خلالهم ،وجعل الأحداث تفرض عليهم ، وتحركهم دون أن يكون لتكوينهم أي دور في ذلك ،وهذا يؤكده قول المؤلف على لسان إحدى شخصياته " إنها قصة غرام ، غرام عنيف ،عشته ليالي الأخيرة القليلة الماضية ، ولقد مر عليك هذا النوع من القصص"(١) ،فالشخصيات مسطحة والأحداث قليلة ،ونموها لا يؤثر في الشخصيات ولا يغيرها ،والحوار عقيم ، ومما ساهم في فشل الرواية أن المؤلف كان يلقي الخطب والمواعظ على لسان شخصياته حين قال على لسان حنان التي تنحصر ثقافتها في قراءة الروايات : " فالوطن يحتاج إلينا ،لأن فردا سيتعطل عن أداء عمله معناه إعاقة لسير المجتمع " (٢) . كان المؤلف يتدخل مباشرة ليعطي رأيه " اسمحوا لي أن اطلق عليها الفاجرة " ،ويضيع كثيرا من الصفات في وصف الانفعالات العاطفية ،والجلسات الجنسية بين عصام وسهاد ،لإثارة عواطف القارئ" .

---

(١) دموع لا تجف ،ص ٦٠.
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. صورة المرأة الفلسطينية

أول إشارة إلى موقف الفتاة الفلسطينية من الأحداث التي تعرض لها وطنها كان في رواية " فتاة من فلسطين " حين ذكر أنه عند وقوع النكبة " اشتركت الفتاة بمعركة الإباء هذه فكن فرقاً فرقاً يحطن الزاد والماء " (١) فهي لم تقف عاجزة سلبية ، بل شاركت لتخلص وطنها من الازمة . هذا في الوقت الذى بين فيه موقفا مناقضا لفدوى بطلة الرواية حين حاولت منع خطيبها من الذهاب إلى فلسطين (٢) . وفي رواية عيسى الناعورى " بيت وراء الحدود " نجد إغفالا تاما لدور المرأة الفلسطينية في الكفاح على الرغم من أن الرواية تتحدث عن النكبة ، وما لاقاه الشعب الفلسطيني من التشريد .

لكن الناعورى قدم المرأة الفلسطينية في شخصية محدودة ، سجلت تطوراً على صعيد المضمون في رواية " جراح جديدة " . تمثلت في شخصية نبيهة التي عانت التشريد بسبب النكبة ، وهي فتاة مثقفة تجيد لغات عديدة تعمل في غير عمل (٣) ، نجدها فتاة تمتلك حرية التصرف في علاقتها مع الرجل ، لأنها نتاج بيئة تحترم إرادتها ، فكريم تعرف على أخيها معين من خلالها ، وكانت تشارك في جلسات أخيها مع أصدقائه (٤) ، مارست حقها في اختيار الرجل الذى ستتزوجه دون أن تجد معارضة من أهلها ، وهذا تطور سجلته الرواية في المضمون ، فالرجل أصبح ينظر إليها بغير منظار الانوثة والجنس ، بل على أساس أنها إنسان ساوٍ ومكافئ له ، لذا يتقبلها عاملة تشارك في حركة المجتمع وبنائه . والتطور البارز الذى سجله الناعورى

---

(١) فتاة من فلسطين ، ص ٨١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .
(٣) عيسى الناعورى ، جراح جديدة ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في رؤية المرأة هو : زيادة وعيها وسمو اهتماماتها ،فهي واعية بقضايا الأمّة تناقش أخاها وأصدقاءه بالقضية وأسباب الهزيمة . وتدعـــو إلى المقاومة وحشد الطاقات لتحرير الأرض (١) ،ينظر إليها الرجل باحترام فساعي يقول : " نبيهة بطلة إنها المرأة التي يريدهـــا الرجل ليزداد بها رجولة " (٢) ، لذا كانت حافزاً له ليسير فـــي درب المقاومة ،وحين قتل أخوها ازدادت إصرارا على النضال " سيكون لساعي ولي دور متى يحين وقت العمل الكبير " (٣) ،يظهرها المؤلف نموذجا جديدا للمرأة الفلسطينية ،التي كانت تخشى علـــى زوجها وابنها من العمل الثورى " عندنا يخشين على أزواجهن وعلـى أبنائهن من التعرض للخطر ويثبطن عزائمهم بدموعهن " (٤) .

ليست نبيهة شخصية فنية بقدر ما كانت نموذجاً يلقي من خلالـه المؤلف بأفكار تشغله ،فهو يسجل تاريخيا نكبة فلسطين عام ١٩٦٧ ،لـذا لم يكن همّه إبراز شخصيات فنية بقدر ما كان همّه خلق نماذج توصل فكره ، لذلك جاءت الشخصيات مفتقدة التلقائية في سلوكها ،الذى لم يكن نابعاً من التفاعل مع الحدث ، بل مخطط له في ذهن المؤلف . فلم يتعمـــق الشخصيات في أبعادها المختلفة الإنسانية والنفسية ،فنبيهه لم تشغـــل مساحة من الرواية ،ولعل هذا يعود لندرة هذا النموذج في ذلك الوقت بالصورة التي قدمها المؤلف ،ولم ينجح في تقديمها فنياً ،لطغيان الانفعال والرغبة في الوعظ على الرواية . " ولكي نصنع الرجال ونبني الوطن لا بدّ لـــنا

---

(١) جراح جديده ،ص ٣١ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣١ .
(٣) المصدر نفســه ، ص ٧٠ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أن نصنع النساء القويات أولا ،أن نصنع الزوجة التي لا تحترم زوجها الاّ إذا كان بطلا ... لتخلق المرأه أولا فنضمن بذلك أن تتولى هي خلق الرجل " (١) لهذا جاءت شخصية نبيهة سطحة ،لاعتماد المواقف الواقعية التسجيلية " فالطريقة التسجيلية التي تبنى بها الرواية تحول دون تعمق الشخصية ،ومن ثم ربطها بالأحداث ربطاً عضوياً " (٢) فجاءت الرواية أشبه بمقالة صحيفة أو شريط سينمائي وثائقي لتسجيلها الأحداث كما هي دون معالجة فنية .

---

(١) جراح جديده ،ص ٧١.

(٢) ابراهيم السعافين ،تطور الروايه في بلاد الشام ،وزاره الثقافه والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ ،ص ٢٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ - صورة المرأة المنحرفة

تبرز هذه الشخصية مشتركة بين فئات المجتمع المختلفة ، نوجودها في المجتمعات ليس جديداً ،بل هو قديم قدم التاريخ نفسه ،لكن ظهورها في الطبقة الفقيرة تعبير عن الفساد الناتج عن التناقض الطبيعي ،فهي لـــم تجد ما ترتزق به غير جسدها .

اقتصر ظهور هذه الشخصية في روايات هذه الفترة بينما لم تشر إليها روايات الفترة التالية إلا إشارة عابرة (١) . ولعل ذلك يعود الى رؤية الموقفين على أنها لا تحمل قيمة فكرية تستحق معها البحث .

أشارت رواية " أجنحة الأمل " إلى وجود المرأة المنحرفة في الطبقة الارستقراطية ،ويعلل ذلك بأنها انحرفت نتيجة تربية الخادمة " . . . وفي أحضان من ترعرت ؟ وفي رحاب من شبت ؟ كان عليهم أن يقسو على أمها التي تركتها للخادمة تصبّ من أخلاقها ما شاءت " (٢) .

لعل أول رواية تفرد البطولة لامرأة منحرفة هي رواية " مغامرات تائبة" لحسني فريز متمثلة في دليلة الموس ،التي لم تكن كذلك بطبيعتها ،بل هـــي نتيجة الظروف التي أجبرتها أن تأكل بجسدها ،فقد نشأت في أســـرة كريمة منحتها فرصة اكتساب العلم ،ووطدت فيها الخلق الشريف ،لكـــن دليلة تتعرض لمصيبة حيث تفنى عائلتها في حادث سيارة " وبقيت بلا أهل ولا مال ولا رجاء" (٣) ،مما اضطرها بعد يأسها من إيجاد عمل شريف إلى الانحراف" ثم إني باختصار أخذت أكسب قوتي من أخس الطرق" (٤) .

---

(١) أنظر: تيسير السبول ،أنت منذ اليوم في الاعمال الكاملة ،دار ابن رشد للطباعة والنشر ،ط١ ،عمان ، ١٩٨٠ ،ص٢٥ وأنظر: عيسى الناعوري ،ليلة في القطار ،نشر دار فيلادلفيا ،عمان ، ١٩٧٤ ،ص١٤٤ .

(٢) أجنحة الامل ،ص٣٥ .

(٣) حسني فريز ،مغامرات تائبة ،دار الكاتب العربي ،بيروت، ١٩٦٤ ،ص٣١ .

(٤) المصدر نفسه ،ص٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من حيث المضمون تعد دليلة من أنضج الشخصيات النسائية في الروايات ،فهي مثقفة فقبل أن تتعرض للصدمة كانت تقضي وقتها مع خطيبها بالقراءة والمناقشة والنقد (١) ، وبعد أن سارت في الطريق المنحرف لم تنس هذا الجانب وفي مناقشتها عن الشباب والجمال والحياة دليل على وعيها (٢) ،وقسوة حياتها لم تقتل فيها الحسّ الوطني ويشير حديثها مع الشاب الإنجليزى إلى هذا (٣) ،فقد كشفت عن ثقافة تاريخية وسياسية وفكرية وفلسفية ودينية عميقة ،وكانت الثقافة أحد المعايير التي تقيّم الأشخاص من خلالها " ولكني أعلم أنك لا تقرأ الا الصحف ،ولا تهتم بالنساء إلّا لمتعة عابرة " (٤) .

أن ما يسترعي الانتباه في شخصيتها ذكاؤها وقوتها وجرأتها على التصريح بآرائها ومعرفتها الدقيقة بالرجال ،وهذا عائد إلى عمق تجاربها واستقلاليتها النابعة من انعدام الحماية لها ،فتعرضت لقسوة الحياة مباشرة ،مما أكسبها صلابة وقوة ،وهي تظهر أكثر مساواة بالرجال من غيرها من أنماط النساء ،فنحس أنها تشعر بإنسانيتها ومساواتها للرجل أكثر من امرأة ذلك الكهل الذى يسجنها في البيت ولا يرافقها إلى أيّ مكان بحجة الحفاظ على التقاليد ،لكنه يفعل هذا لأنه لا يرى فيها إلّا " آلة للتفريخ " (٥) . بل نجدها أكثر وعياً من الرجال

---

(١) مغامرات تائهة ،ص ٣٠.
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٤.
(٣) المصدر نفسه ،ص ٤٦ — ٥٠ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٣٢.
(٥) المصدر نفسه ،ص ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنفسهم ،مما يثبت أن المرأة إذا أُخذت فرصتها في الحياة بعيداً عن التقاليد المتزمتة يمكن أن تبلغ من النضج حداً بعيداً ،وتبعد عن نفسها مقولة النقص التي يلاحقها بها المجتمع لكونها أنثى .

استغل المؤلف دليلة ليكشف الأمراض الاجتماعية كالنفاق والجبن والوصولية وغير ذلك ،فمن خلالها عرفنا فساد المجتمع القائم على التفاوت الطبقي وما يلحق هذا من زيف المظاهر وفساد الجواهر، فقد عاشت في مجتمع لا يوفر الحماية لأبنائه ،وهذا ما جعلها تناصب الناس العداء ،لأنها ترى فيهم السبب في المصير الذى آلت إليه " لقد كنت كالأفعى في حمّاره القيظ أريد أن أفرغ سمّي في أى شخص "(١) ، وكشفت عن زيف مجتمع يجعل للرجل حقاً لا يمنحه للمرأة ،التي يجعلها متعة له لا ينظر إلّا إلى جمالها (٢) ، وبينت فساد مجتمع يظهر شريفاً مستقيماً لكنه في داخله فاسد ،فهذا الكهل الذى يدّعي عمل الخير والصلاح نراه يغازلها ويطلب منها موعداً (٣) ،وهؤلاء النساء اللاتي يمارسن الدعارة في الخفاء تعلق عليهن دليلة : " إنهن يعشن شريفات ويمتن مكرمات لمجرد أنهن لم يكتشف أمرهن " (٤) ،ويبدو انحراف دليله هين أمام فساد المجتمع فهي تمارس الرذيلة علناً في الوقت الذى يمارسها المجتمع سراً وهذا أدهى وأمر.

---

(١) مغامرات تائبة ،ص ٤٥.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمثل دليلة تطلع هذه الفئة من النساء إلى حياة الاستقرار والأمن ، فهي تحاول توفير المال وشراء الأرض ،لتبتعد في النهاية عن الطريق الذى سلكته (١) ،وقد تمكن المؤلف من إظهارشفافيتها وإنسانيتها بعد كشفه عن البؤس الذى عانته .

أما من الناحية الفنية فقد استخدم المؤلف أسلوب الترجمة الذاتية لكنه لم ينجح ، فالرواية تبعث على الملل بسبب حشو تفصيلات وجزئيات كثيرة كان بالإمكان اجتزاؤها ،فقد وضع النص الكامل للمناقشة التي جرت بين دليلة والشاب الإنجليزى ،وجاء بأخبار نساء يخنّ أزواجهن وكان من الممكن الاقتصار على واحدة ،مما أضعف البناء . لكن المؤلف ركّز في تصويره للمرأة على البعد الداخلي أكثر من الخارجي ،وعمل على أبعادها عن الجمود فجاءت أقرب الى النمو ،فهي تتكشف تدريجيا بحديثها وتطور أحداث الرواية وحوارها مع الشخصيات الأخرى ،لكن الجزء الأكبر من الشخصية تكشّف منذ الصفحات الأولى للرواية التي بدت وكأنها مخصصة لكشف سلبيات المجتمع . ولهذا فشل في رسم شخصية نبيل الذى كان يحب دليلة ويريد الزواج منها فإضافة إلى أن نبيلاً لا وجود واقعياً له ،فقد هرب من بيت والده حين رأى خيانة زوجة أبيه ،فكيف يقبل بامرأة دنستها عشرات الأيدى ؟ . وفشل في إعطاء رواية فنية فبدت رواية أشبه بالمقالات الصحفية أو الأوراق المبعثرة التي لا ينتظمها خط رئيسي ،ولجوءه إلى التأريخ يدل على ذلك ، ننتهي من قراءة الرواية وفينا إحساس بأنها مجموعة من المواعظ قدمت من خلال النقد الاجتماعي ،فالمضمون والفن لم يتكافآ فيها .

---

(١) مغامرات تائبة ،ص ١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ ــ الصورة غير المألوفة للمرأة

تناولت بعض الروايات المرأة برؤية زائفة ، حيث بحثت عن شخصية ليس لهـــا وجود في المجتمع ، مما جعلها مسلوخة عن الواقع اجتماعياً ، كان ذلك لسببين : الأول : إثارة التشويق وانتباه القارئ • الثاني : إعطاء دروس أخلاقية وعظية • وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فراغ الجانب الفكرى للمؤلف ، وعدم فهمه لماهية الفن الروائي • تمثل هذه الصورة رواية " القبلة المحرمة " و " من زوايا العدم " لكامل حامـــد الملكـــاوى •

قوام رواية " القبلة المحرمة " هذه الصورة الممثلة في أم سلوى التي كان الجنس أزمتها ، لذلك فهي تظهر مجردة من كل مبدأ ديني أو خلقي أو اجتماعي في سبيل اشباع غريزتها ، وهذا يدفعها الى الشذوذ والتمرد في تصرفاتها مع خطيب ابنتها ، فهـــي تلاحقه وتضايق ابنتها لأنها تنافسها فيه ، وتحاول إقناعه بدخول علاقة محرمة معها بعد زواجه من ابنتها ، ويحيل المؤلف شذوذها إلى عجز زوجها عن أداء واجبـــه الجنســـي (١) .

إذا حللنا تجربة أم سلوى في ضوء الواقع فسنجد أن رؤية المؤلف كانت زائفـــة، حيث ترك المجتمع بكل ما فيه من النساء ، ليعطي الرواية لشخصية لا وجود واقعـــي لها ، فالجنس قد يكون أحد أسباب توتر الإنسان في نفسه أو علاقاته مع الآخريـــن لكـــن هـــذا لا يعـــني أن يصبـــح المحـــور الاول والأخـــير في الحيـــاة، إضـــافـــة إلـــى أن السبـــب الـــذى وضحـــه لخيانـــة أم سلـــوى لا يسوّغـــه

---

(١) القبلة المحرمـــة ، ص ١٧٢ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلم لأنّ " الجنس في حد ذاته لا يستطيع أن يكون سبباً في الخيانة الزوجية ،ولكن عدم التوافق بين الزوجين في الحياة الأسرية ككل بما فيها الجنس كأحد مكوناتها هو الذى يؤدى إلى الخيانة " (١) .

انطلق المؤلف في روايته من نظره دونيه إلى المرأة حين جعل منها عبدة للجنس " ان المرأة إذا أُحبت استهترت وصنعت الأعاجيب " (٢) وهذا ما جعله يقيم روايته على نموذج شاذ لامرأة لا همّ لها الاّ البحث عما يرضي رغباتها ، ولا يوجد لها شبيهٌ في المجتمع ،ثم انه لو وجد فإنه لا يستحق الالتفات إليه وإفراد رواية له . عجز المؤلف في معالجة فكرته فنياً ولم يستطع الاستعانة بالأساليب الفنية في كتابتها ،لإظهارها في قالب واقعي بالفعل أو بالإمكان ، فكان أن قدّم الشخصية كنموذج مسطح بطريقة السرد التقريرى .

أمّا رواية كامل الملكاوى " من زوايا العدم " فهي تتناول قصة زينب (عائشة) التي نشأت يتيمة الأم تعهدها والدها بالرعاية والتربية " علمها كل شيء واستعاض بها عن كل شيء " (٣) ، زرع فيها الإيمان بالله والتمسك بالشرف، ثم مات وعمرها تسع سنوات ،فعانت الفقر والجوع والتشريد ،لكن محسناً أخذها إلى بيته وأسكنها عنده ،ثم مات وتركها مع ابنه الذى حاول الاعتداء عليها، فعرضت عليه أن يتزوجها فرفض وطردها من البيت ،

---

(١) نخبة من أساتذة كليات الطب ،أسرار الحياة الزوجية ،دار المعرفة ،ط٥ ، بيروت ،١٩٨٥ ، ص ١٦٦ .

(٢) القبلة المحرمة ،ص ١٣٢ .

(٣) كامل حامد الملكاوى ،من زوايا العدم ،الشركة الصناعية للوراقة والقرطاسية ، عمان ،١٩٦٠ ،ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عملت بعد ذلك خادمة في أحد البيوت إلا أنها لم تستمر ،لأن السيدة طردتها غيرة منها على زوجها ،وتنقلها الأقدار إلى قرية، فتعيش في أحد البيوت كخادمة ،وفي أثناء إقامتها تتعرف على ضابط يتزوجها ، ليظهر فيما بعد أنه أحمد ابن الرجل المحسن ،وفي ليلة زفافها أمر بالالتحاق بالمعركة، فشجعته على الذهاب ، فاستشهد .

سلخ المؤلف المرأة عن الواقع الاجتماعي والنفسي ، لكي يتمكن من إعطاء دروسه الأخلاقية من خلالها ، فجاءت شخصية سطحية لم تغن الرواية بشيء ،لقد أشار إلى قضية التفاوت لكنه لم يستغل ذلك لإظهار مساوىء الطبقية ،بل نراه يقرّها بإظهار تعاون الأغنياء مع الفقراء ، وتقديم العون والمشاركة الوجدانيه . لكن هذا في خيال المؤلف فقط . وكأي رواية رومانسية نرى الفتاة في غاية الجمال والخلق الرفيع ، وهذا يعود إلى أن الكاتب الرومانسي يبحث دائما عن الوضع المثالي المفتقد في الواقع ، ويجعل من أبطاله نماذج رائعة في كل شيء كما هو الحال في الحكايات ، وهذا يفسر هروب المؤلف من مواجهة الواقع إلى البحث عن مجتمع مثالي وشخصيات مثالية ،لذلك جعلت الصورة منذ الصفحه الاولى ،فجاءت خطية باهتة تخلو من الحياة والحركة بعيدة عن الواقع ، فهل من المعقول لطفلة في التاسعة من العمر تجوع فتتعفف عن السؤال ؟ ،وهل من الممكن لإنسانه حرمت العاطفة والاهتمام من الناس أن تنظر للحب على أنه مزلق من عمل المراهقات ؟ وهل توجد فتاة بمثل تلك الظروف القاسية تبقى صامدة فلا تسقط ؟ فانسياق المؤلف وراء مثاليته جعله لا يبصر الواقع ،فجاءت المرأه غريبة مثالية حين تطلب من زوجها أن يذهب إلى المعركة ليلة زفافها ،كان بإمكان المؤلف أن يشير إلى حبها للجهاد بأن يختار ظرفا آخر بحيث يغلف التجربه بما يضمن لها الحدوث ،فقد بالغ المؤلف لدرجة أصبحت الروايه أسطورة ننيم بها الأطفال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي من الناحية الفنيه أقرب إلى الحكاية الشعبية لما فيها من سرد وقص وتراكم أحداث غير معللة ،والاعتماد الموظف على المصادفة القدرية فقدت الرواية قيمتها الفنية ،لاختفاء مبدأ السببية منها وخلوها من المنطق ،والمصادفة مفتعلة تفتقد إلى التخطيط والتسويغ، فمصادفة أن يجدها ذلك المحسن دون غيره (١) ،ومصادفة أن يجدها الراعي فينقذها قبل أن تنفذ فكرة الانتحار (٢) ،ومصادفة أن يكون الضابط هو أحمد ابن المحسن (٣) ،ومصادفة أن يؤسر بالالتحاق بالحرب ليله زفافه (٤) ،الى غير ذلك مما أضفى على الرواية صفة الجمود والتسطح في الشخصيات ،التي اهتمّ بالحديث عن مظهرها وترك بعدها الداخلي ،وملأ الرواية بالحشو وذكر تفصيلات لا تخدم الخط الرئيس ، كالإفاضة في ذكر الانفعالات والعواطف في نفس الفتاة حين مات والدها ،مما يعكس هدف الموظف في استدرار الشفقة والدموع وعطف القارئ عليها ،ننتهي من ذلك إلى الغرق في التأملات العاطفية والرومانسية بين عائشة والضابط (٥) ،ثم يضيع أجزاء كاملة من الرواية ليكتب النصوص الكاملة للرسائل العاطفية المتبادلة بينهما في لغة فوق مستوى الشخصيات ،فقد جعل الفتاة تتحدث كحكيم يلقي مواعظ " عد إلى رشدك يا محمود فأنا لك

---

(١) من زوايا العدم ،ص ٢٩.
(٢) المصدر نفسه ،ص ٥٢.
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٢٣.
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٠٤.
(٥) المصدر نفسه ،ص ٩٢ - ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دائما وأبدا في الحياة والممات ،أما الجهاد ! أما الشرف ففرصة قليلة نادرة وقد جاءت لك لتنتهزها ،وترضي اللـه وضميرك وتخـدم أمتك ووطنـك " (١) ، واستخدام اللغة الخطابية أضعف الحـوار ، وجعله عاجزاً عن القيام بدوره الفني في تطوير الحدث أو كشـف الشخصية فجاءت الشخصيات مقدمة على مستوى واحد من العمق .

(١) من زوايا العدم ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : صورة المرأة في الرواية من ١٩٦٨ — ١٩٨٥

١• صورة المرأة في الريف

٢• صورة المرأة في المدينة : —

أ• صورة المرأة في الطبقة الفقيرة•

ب• صورة المرأة في الطبقة الوسطى •

جـ• صورة المرأة في الطبقة الارُستقراطية •

٣• صورة المرأة الفلسطينية •

٤• صورة المرأة غير المألوفة •

٥• صورة المرأة الجديدة •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١ــ صورة المرأة في الريف

في الفترة التي تمتد من ١٩٦٨ ــ ١٩٧٥ ، نجد ثلاث روايات فقط تبرز فيها المرأة في القرية وهي : " الكابوس " لأمين شنار و" جرح على الرمال " لسليمان قوابعة و " متى تورق الأشجار" لعطية عبدالله عطية • بينما نجد صورة شاملة لها في الروايات التي صدرت بعد ذلك •

في رواية " الكابوس " وصف عام لوضع المرأة في الريف " النساء في قريتنا محجبات ، لا يغادرن الأكواخ إلا إلى عين الماء قرب المسجد : يملأن جرارهن ويعدن مستورات ، لا يجرؤ على محادثتهن رجل " (١) ، بدليل " أن عليان استوقف ابنة عمه وطلب منها ماء ، فكسرت الجرة على رأسه ، وصباح اليوم التالي كان والدها قد كسر جمجمته " (٢) • بضعة أسطر كشف فيها موقف المجتمع الريفي من المرأة ، فهو يعدّها كتلة جنسية يجب المحافظة عليها بستر جسدها وصوتها ونفسها ، فلا تتمتع بالخروج وممارسة الحياة انطلاقاً من مبدأ الالتزام بالحياء • ولعل دراسة ريتشارد أنطوان " حياء المرأة في القرى العربية الاسلامية " *، خير دليل على وضع المرأة ، حيث وضح المظاهر التي تظهر فيها كعبد مملوك للرجل ، يجب عزله بعيداً عن مجتمع الرجال ، وتمنع من الحديث مع أي رجل لأي سبب، فابن

---

(١) ، (٢) أمين شنار ، " الكابوس " ، دار النهار للنشر ، ط١ ، بيروت، ١٩٦٨ ، ص ٧٠

* ريتشارد أنطوان من أصل فلسطيني ، قام بدراساته الحقلية في احدى قرى الأردن " أنظر : : مجلة عالم الفكر، المجلد السابع، العدد الأول ، ١٩٧٦ ، ص٩ ــ ١٠• نشر دراساته فيها •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عم طيان حين كسرت الجرة على رأسه كان لها العذر الكامل ،لأنها لو حدثته لكان هذا الفعل كافيا لكي يخل بمكانتها اجتماعياً ،ويسيء إلى سمعتها وأخلاقها فـ " إذا أراد الرجل أن يفعل شيئا من هذا القبيل لفتاة حسنت تربيتها ،فإنها تشته ،لأنها تعرف أنه سوف يتباهى بفعلته أمام الآخرين " (١) . تخلق المرأة في الريف ويكبّلها ألف قيد يحدّ من حركتها ويقتل إنسانيتها .

على الرغم من نجاح المؤلف في الرواية فنياً إلا أنه لم يتطرق إلى المرأة فيها . ولعل هذا عائد إلى هامشية وجودها في الريف وعدم وجود قيمة لها واقعيا ،فهي عاملة حقا . لكن عملها أشبه بعمل العبد للسيد ،فلم يمنحها أي امتياز ،ولذا تجاهلها المؤلف حتى أنه لم يذكرها باسمها بل نسبها إلى الرجل حين تحدث عن ابنة عم طيان ،فهي كائن ناقص لا بدّ أن يكون ضمن ملكية الرجل ،وتحت وصايته ،فانعدم ظهورها في الرواية لأنها عاطلة فعليا عن المشاركة في المجتمع فكيف إذا كان همّه قضية مصيرية ،فإنه لن يكون لها أي دور أو مساهمة في حل الأزمة ،لأنها مستلبة من كلّ حقوقها ، ولذا لا يمكن أن تمنح شيئا .

تعرض رواية " جراح على الزمال " لسليمان قوابعة النظرة المتخلفة في المجتمع الريفي : رجاله ونسائه ،فقد أظهر رأي المرأة الريفية بالمرأة في المدينة علماً بأن محمد سعيد الجنيدي في " شمس الغروب " سبقه إلى هذا حين ذكر أنه عندما سافر من القرية حذرته أمه من نساء المدينة (٢) .وأم صلاح في

---

(١) ريتشارد انطوان ،حياة المرأة في القرى العربية الإسلامية ، ص ١٤٩ .

(٢) شمس الغروب ،ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" جرح على الرمال " تنظر لنساء المدينة نظرة احتقار وتدن ، لأنهن خرجن عن التقاليد المتزمتة التي ما زالت هي تلتزم بها ، وتعلل احتقارها بأن " البنات ضيعن الشباب اليوم في اللباس ، والبوية ، والحمرة ولباس الواحدة لا يزيد عن ربع أوقية " (١) ، ويظهر تخلّف المرأة في الريف في نظرتها العدائية للعلم بالنسبة للمرأة ، ولذلك حرمت ثريا ابنة عم صلاح من التعليم ، لأن أمها رفضت أن تلحقها بالمدرسة كي تساعدها في أعمال البيت (٢) ، وتعلل هذه النظرة بأن العلم إنما يكون سبباً في فجور المرأة وتمرّدها " لقد سمعت أن البنت إذا دخلت المدرسة تمردت على أمها ، فلا تساعدها في أعمال البيت " (٣) ، ولهذا وقف والد صلاح ضد زواجه من ألفة الطالبة التي كان يدرس معها ، وأصر أن يختار له زوجته من بنات عمه ، فالزواج في القرية ليس زواج شخصين ، بل هو نظام يتحكم فيه الآباء بالنسبة للذكور ، فكيف إذا كان يتعلق بفتاة ؟ .

تتكرر في الرواية الإشارة إلى مساهمة المرأة في العمل الزراعي في القرية ولذا تحرم من أبسط حقوقها ، لأنهم ينظرون إليها على أنها عبد بعثه الله لكي يزيل عنهم هموم العمل ومشقته ، ويشير المؤلف إلى أن هذا المفهوم زرع في المرأة ، فأصبح متوارثا تلتزم به ، وتنفذه مثلها مثل الرجل ، فثريا حرمت من التعليم لأن أمها أرادت ذلك ، وإلى هذا يشير ريتشارد أنطوان حين تحدث عن الدور الخطير الذي تلعبه النساء في تقوية وتدعيم العادات (٤) ، ونتيجة طبيعية لافتقاد عقل

---

(١) سليمان قوابعة ، جرح على الرمال ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٦٩ ، ص ٨٥ .
(٢) جرح على الرمال ، ص ١٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .
(٤) حياء المرأة في القرى العربية ، ص ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة للنور تتحكم الخرافة فيه ، فأصبحت تحل مشكلاتها باللجوء للمشعوذين، فحين أرادت أم شربا معالجة ابنتها المريضة ذهبت للمشعوذ ، وحين وجدته مسافراً لم تفعل شيئاً ، وبقيت الطفلة دون علاج إلى أن ماتت من المرض (١) .

لانعدام الحرية ، وشيوع الجهل لا يتوقع وجود علاقة سليمة بين الرجل والمرأة ، وهذا خلق من صلاح إنساناً يشتهي المرأة غريزيا لكنه لا يستطيع اختيارها على أساس عقلي ، ولهذا نرى سهولة تحوّل هواه من ليلى إلى ألفه بعد أن يكون قد قضى مع الأولى ثلاث سنوات ، ليعرف بعد ذلك أنه لا يحبها بل يحب ألفه الجميلة (٢) ، التي حين أحبها كان يخشى من مصارحتها ، لذلك لجأ إلى الرسائل نتيجة النشأة المتزمتة التي لم تجعل لديه الجرأة الكافية للتعبير عن نفسه . وهذا ما أشار إليه عيسى الناعوري في "الشريط الأسود" التي لم تأخذ شكل الرواية الفنية ، لقيامها على السرد والتقرير وتسجيل الواقع كما هو — إشارة عابرة حين ذكر أنه نشأ والفتاة محجوبة عن الرجل ، مما جعل نظرته إليها نظرة غير طبيعية " كان ذلك أسوأ ما تركته في القرية أولا : بحرمانها وكتبها القاتلين ، وبتقاليدها التي تعلم الخوف من المرأة من الأنثى " (٣)، فكان من نتائج ذلك اضطرابه من الحديث مع المرأة ، وتعذيب ضميره له ، لأن الحب خطيئة ، مما جعل الرجل ينظر إليها على أنها كائن آخر يعيد كونها إنساناً . فالمرأة تتحجب في القرية منذ نعومة أظفارها حجباً مادياً باللباس ، ومعنوياً بإبعادها عن الرجل ، وهذا ما يؤيده الواقع (٤) .

---

(١) جرح على الرمال ، ص١٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٤٢ .
(٣) عيسى الناعوري ، الشريط الأسود ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٣ ، ص٤٣ .
(٤) حياة المرأة في القرى العربية ، ص١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما صورة المرأة فنياً فقد فشل المؤلف في رسم صورة نامية لليلى التي تبدو ناتئة غير مقنعة ،فهي من بلد صلاح ،جميلة مثقفة متعلمة . فكيف أتيح لليلى أن تتعلم في البيئة التي لا تسمح للفتاه بذلك ،لكن الشخصية لا تستوقف الباحث أكثر من ذلك ،لأن ذكرها جاء عارضاً كونها لم تبق في ذهن بطل الرواية ، فُفقدت قيمتها ،فالأحداث جميعها تدور حول شخص واحد هو البطل ،فلا تبرز إلاّ من خلاله ،ولا نتعرف على الشخصيات إلاّ عندما يحلو له أن يذكرها ، ولاتّساع المؤلف المذهب الرومانسي ،فقد لجأ إلى إلهاب العواطف ،مما جعل الأحداث قليلة بالقياس لعدد صفحات الرواية التي اضطر المؤلف إلى حشوها بالخطب الطويلة التي ألقاها البطل عن الحب وقيمته (١) ،ووضع النصوص الكاملة للرسائل العاطفيه ، والتفصيل في كيفية كتابتها ،وإرسالها (٢) ،مما جعل الرواية تفقد قيمتها الفنية ،لقيامها على السرد والتقرير حتى أضحت أشبه بقصاصات متقطعة من مقالات لا رابط بينها إلا اسم البطل بلغة انشائية ،وهذا جعل الشخصيات لا تبرز ،فجاءت صورة المرأة سطحة لاتكاء المؤلف على زاوية واحدة في المعالجة ،فألفيه كما هي عند الرومانسيين كاملة في جمالها وأخلاقها ، سلبية لا تستطيع أن تقاوم أهلها حين رغبوا بتزويجها إلى الشاب الذى تقدم لخطبتها . هذه السلبيه لا تتناسب مع طالبة جامعية ،مما يجعل القارئ يلح بالسؤال الى أى مدى استفادت من علمها ؟!،فهي لم تستفد شيئا لأنها تحس بنقصها

---

(١) جرح على الرمال ،ص ٤١ - ٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٥٣ - ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودونيتها ،ولذلك تقف عاجزة عن عمل أى شيء لتحمي به حقها من الضياع على الرغم من أن الموقف حاول أن يخلصها من هذه السلبية حين أرسلت لصلاح رسالة بعد خطبتها تخبره فيها بحبها ،وأنها على استعداد لترك خطيبها للعودة إليه (١) . ما دامت لديها هذه الجرأة فأين كانت حين سيقت للخطبة دون إرادتها ؟! وينهي الموقف الرواية بتقطع العلاقة بينهما دلالة على عقم العلاقة بين الرجل والمرأة في بيئة لا تعترف بالمشاعر ،وبحرية الإنسان في الاختيار الذى لو تحقق لكان أعرج في مثل تلك البيئة فهو يقوم على انفعال آني ، ومعايير لا تخضع للعقل ،فصلاح وألفه وقع الحب بينهما من أول لقاء ،ولذلك لا يمكن لمثل هذه العلاقة أن تنجح ، وهذا ما دفع الشخصيات إلى مزيد من العزلة عن أزمات المجتمع ومشكلاته ، فصلاح وألفه غارقان في أزمتهما الفردية وهي : الحرمان العاطفي الناتج عن تحكم التقاليد ، فجاءت الرواية خالية من المضمون الفكرى ،تصبّ اهتمامها على إلهاب العواطف ،وإثارة الحماس بطريقة خيالية كالحرب التي انتصر فيها صلاح ولا وجود واقعياً لها . وفي هذا يلتقي مع كامل ملكاوى في "من زوايا العدم" (٢).

ننتقل إلى سنة ١٩٧٠ فلا نلحظ تطوراً في وضع المرأة في الريف الذى تعرض له رواية " متى تورق الأشجار " لعطية عبد الله عطية ،التي يحسن قبل تقديمها عرض النظرة المتخلفة كما جاءت على لسان الشخصيات ، حيث تظهر

---

(١) جرح على الرمال ،ص ١١٣ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظرة الرجل للمرأة على أنها موضوع جنسي ،لذلك فكل علاقة بينهما لا تفسر الا من خلال هذا المنظار " إنهما ذكر وأنثى ،وأى لقاء بين ذكر وأنثى هو لقاء خطر (١) ،وخليل لا يهمه من المرأة الا أنها أنثى فكان قبوله للزواج انطلاقا من هذا الدافع " إنه لا يحب المرأة ،إنه لا يحبها كإنسانة ،إنما يحبها كنوع من أنواع الفاكهة التي تقدم للرجل على المائدة مع بقيه الأطعمه (٢) ،فنراه بعد أن تزوج يسعى للذهاب إلى فنزويلا " لأن الفتيات هناك طيعات وهو يحب الفتيات الجميلات (٣) . وإلى هذا يشير عيسى الناعورى في " ليلة في القطار " حيث ذكر أن الرجل الشرقي لا يبحث إلا عن الجنس في أى بلد غربي يزوره (٤) في الوقت الذى لا يسمح للمرأه أن تتحرر من أى قيد ،لأنها ملك للرجل ،فرامز لا يسمح لأحد بدخول البيت على أخته ،لأنه يخشى على سمعته (٥) ،بينما يقضي الليل مع الفتيات، والبحث عن امراة جميلة يمارس معها الجنس ،ويشير عيسى الناعورى إلى هذا ،فالرجل يسمح له ما لا يحق للمراة ،فله أن يبحث عن إشباع شهوته خارج بيته ،لكنه لا يسمح لزوجته أن تفعل ذلك (٦) وهذا يظهر زيف المجتمع ومطاطية مفاهيمه فيما يتعلق بالأخلاق والشرف فيجعلها قسراً على المرأة ،ذلك أنها مخلوق ناقص بالفطرة ،بل هي

---

(١) عطية عبد الله عطية ،متى تورق الأشجار ،المطبعة العصرية ،ط١ ، عمان ،١٩٧٠ ،ص ٥٦ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٤١ .
(٣) متى تورق الاشجار ،ص ١٢٢ .
(٤) عيسى الناعورى ،ليلة في القطار ،نشر دار فيلادلفيا ،طبع المؤسسة الصحفية الأردنية ،عمان ،١٩٧٤ ،ص ١٦٢ .
(٥) متى تورق الأشجار ،ص ٢٠٥ .
(٦) ليلة في القطار ،ص ٩٤ - ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالطفل يمكن للرجل أن يضحك على عقلها السخيف" ولكن النساء نساء مهما بلغن من التحدى ،فهن من الغضب مرة واحدة إلاّ أنهن ينسين ما مضى بابتسامة حائرة ،بكلمة حب شاردة" (١) ، ولهذا لا يمكن الاعتماد على المرأة ككائن مكتمل في إنسانيته : يعطي الاستقلال ، فلا بدّ لها أن تكون تابعا للرجل ،الذى يمارس حياته كما يشاء ،لأنه رجل ،فالمرأة التي تنال حب زوجها ورضاه هي التي تلغي شخصيتها أمامه ،لا تفعل إلا ما يرضيه ، ولا تتحدث إلا بما يسرّه ولو كان ذلك على حساب شخصيتها وحريتها ، وهذه تمثلها في الرواية زوجة أبي عطا الله ، فمهمة المرأة إشباع رغبات الرجل المتنوعة التي بعد أن تحققها له لا يعود لها أية قيمة بل لا تستحق التفكير ، فهو " سيفكر في عمله أفضل من التفكير بأية امرأة ،إن المرأة لا تساوى من الرجل اهتمامه بها ،أو أى عناية (٢)

تتشكل صورة المرأة من خلال هذه الرؤية . وأبرز شخصية نسائية في الرواية هي : فريدة زوج خليل التي تسعى أمه لخطبتها لأنها تريد مساعدة لها في عملها المنزلي . ليست هذه هي المهمة الوحيدة لها ،بل عليها أن تشارك في العمل الشاق في الحقل " لم يرحمها حملها الثقيل من أن تحمل سلال الزيتون إلى المعصرة (٣) "

---

(١) متى تورق الأشجار ، ص ٧٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فوظيفة المرأة : الخدمة في البيت ، والعمل في الزراعة ، وتراها تتقبل هذا بسرور وكأنها خلقت له ، فالرجل هو كل اهتمامها ، فهي إن لم تتزوج تصبح عرضة للمقولة " إن الفتاة التي لا تتزوج في سن الزواج تقال عنها أشياء كثيرة • إن ذلك يسبب عقداً نفسية متلازمة طول الحياة••• إنها سعيدة ، لأنها ستتزوج سواء أكان هذا الزوج خليلا أم غير خليل ؟[١]، ذلك أن قيمة المرأة لا تتحقق إلا بالزواج انطلاقا من أنها مخلوق لا بدّ له من حماية ، ولهذا السبب تعيش حياتها مقيدة بأغلال التقاليد التي تمنعها عن ممارسة أبسط حقوقها ، فتمنع فريدة من الجلوس مع خطيبها منفردة لأن هذا يعرضها لمقالة الناس " وماذا يقلن لوسمعن بأن فريدة تركت المجلس إلى حيث خطيبها ؟ إن السنتهن سيقطعنها إرباً إرباً[٢] • فالرجل هو السيد ، والسلطان والمالك للمرأة ، وليس لها حق التمرد على زوجها حين يقصر في أداء حقوقها ، ويهملها •

لعل الرواية لها فضل الريادة في إظهار المرأة تتمرد لكنه تمرد سلبي ، وذلك حين ظهرت فريدة معترضة على زوجها ، لسهره خارج البيت ، وإهماله لها ، لكن ذلك لم ينفعها بشيء ، لأنها لم تجد أذنا صاغية من زوجها ، وحين تلح باعتراضها يسكتها الرجل بتهديدها بالطرد من البيت " أنا رجل ، وهكذا يعجبني ، ها هو بيت أبيك إذهبي اليه "[٣]، ويلجأ إلى ضربها كمظهر من مظاهر سيادته وعبودتها ، إن تمردها سلبي ، لأنها مضطرة للسكوت • فهي تعيش عالة عليه من الناحية الاقتصادية ، فخروجها من منزله يعني الضياع والجوع بالنسبة لها •

---

(١) متى تورق الاشجار ، ص ٧٢ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ •
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر ذليلة مقهورة حين يفعل الرجل بها ما يشاء ثم تحرص على رضاه ، فهي في مجتمع شكلها ، وكون عقلها ، لتكون في خدمة الرجل لذلك نلمس المصير الذى آلت اليه ، لافتقادها الكيان المستقل ، والتفكير الواعي ، فنراها تتبع الرجل في كل ما يفعل اعتقاداً منها أن هذا يعجبه " تغيرت فريدة ، أخلاقها ، وتصرفاتها ، وعاداتها ، كل شيء قد تغير ، أصبحت مثل خليل " (١) ، فتغيرها ليس نابعا من ذاتها ، بل يدور في فلك الرجل ، فلأن زوجها يهمل واجباته تجاه بيته كذلك تفعل هي ، وحين سافرت إلى فنزويلا مع زوجها تتبع طريق الانحراف الذى كان يسيرفيه : فتشرب الخمر ، وتكون علاقات جنسية " تتحدر أم رامز إلى الحضيض ، وتخسر من أخلاقها وكرامتها ما لم يتوقع من قبل " (٢) . يحاول المؤلف إظهار ذلك على أنه تمرد حين جعلها تعترف عند الموت بأنها خانته ، لأنه خانها ، فلم يتخذ موقفا محددا من انحرافها ، وهذا مظهر لفشله في رسم الشخصية المبررة .

تعطينا الرواية شخصيات أخرى للمرأة كديانا ابنة فريدة التي تبدو صورة مصغرة عن أمها ، فهي تبحث عن الزوج — وهي ما زالت في المدرسة — لأنه يعني كمالها (٣) ، لذلك نراها تقع فريسة سهلة لهذه الرغبة ، فتسقط فريسة لسليم ، وتستسلم لعناقه وقبلاته ظنا منها أن هذا يجعلها تحوز عليه (٤) ، وهو لا ينظر اليها الا على أنها متعة يمكن أن يستبدلها بأخرى إن وجدها أجمل .

---

(١) متى تورق الاشجار ، ص ٩١ .
(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا يعني أن البيئة التي أنشأت فريدة هي التي انشأت بناتها ، فلم يطرأ تغير عليها على الرغم من اختلاف الجيل ، فديانا تعيش على أمل الزواج ، وكلما مضت سنة تحس بالخوف من البقاء دون زواج ، فالرجل كل شيء للمرأة ، تسعد إن عثرت عليه ، وهذا شاغل أهلها أيضاً " المهم أن تتزوج بأى حال من الأحوال، سيستريحان من واحدة ... ديانا تعدت العشرين ... هناك خوف عليها من عدم الزواج يجب أن تغتنم الفرصة للزواج "(١)

لم يبتعد المؤلف في هذا عما هو واقع في المجتمع ، الذى يحرص الاهل فيه على تزويج ابنتهم " فالزواج وحده ، وتدبير الزوج للمرأة يدعم الناحية الاخلاقية للمرأة على اعتبار أن " الزلمة سترة"، ومن ثم يحرص الاب في حالة ترك المرأة لبيتها ، والالتجاء الى بيت أبيها بعد زواجها الى الإسراع بإعادتها إلى بيت الزوجية ، وفي حالة طلاقها يحاول أن يزوجها مرة اخرى بأسرع ما يمكن"(٢) . لأن مهمة الزواج هي وظيفة المرأة الوحيدة ، لذلك لا ترى تقديرا لتعليم الفتاة ، فجميلة تترك المدرسة لأن " معظم زميلاتها في المدرسة من أجل الزواج " (٣) ، وهذا ما دفع ديانا إلى قبول الزواج برجل أعرج انطلاقاً من نظرة متخلفة إلى المرأة على أنها أقل من الرجل ، فهي لا تحس بإنسانيتها

---

(١) متى تورق الاشجار ، ص١٩٩ .
(٢) حياء المرأة في القرى ... ، ص١٦٤ .
(٣) متى تورق الاشجار ، ص١٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا اذا تزوجت ، وهذا ما رأيناه في زكية فهي حين أحبها رامز " أحست بأنها امرأة حقا وحقيقة ، وشعرت لأول مرة أنها انسانة " (١) ، على الرغم من أنها المرأة الوحيدة التي كانت عاملة ، وحائزة على قدر من العلم ، فهي تعمل ممرضة ، وحديثها يدل على ثقافتها ، وعايشها بمصير أمتها ، لكنها ما زالت تحس بالنقص أمام الرجل ، فلم تستفد من علمها بدليل لهاثها المستمر وراء الرجل .

تلمح الرواية الى بداية وعي المرأة الريفية على أوضاعها من خلال مظهرين : —

الأول : اهتمام المرأة بقضية الحب كونها ترى فيها تحررا لذاتها من القيود .

الثاني: خروجها وبناء علاقات لها في الخفاء كما فعلت جميلة وصديقاتها ، لكن هذا البحث عن الحرية غير واع ، لأن عقل الفتاة ساذج غير مؤهل ليقوم بالتمييز والموازنة بين الرجال ، لانعدام الخبرة ، لذلك تقع الواحدة فريسة أول شاب يغازلها ، ثم تنتهي نهاية مؤسية كما حدث مع جميلة التي انتحرت بعد تغرير نبيل بها (٢) .

---

(١) متى تورق الاشجار ، ص ٢٤٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩، ٢٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا هو مضمون صورة المرأة التي ظهرت سلبية لا تفكر إلا في إرضاء الرجل بعد البحث عنه ، فلا نلمس أى محاولة إيجابية لـــرد الرجل عن تسلطه وجبروته ، فهي أدنى منه ، ولذلك نجدهـــا الباحثة عنه دائما ، ونجدها لا تفكر إلا بحاجاتها الفردية ، أمـــا أزمات المجتمع فإنها بعيدة عن تصورها ، ولذلك افتقدنا وقع قضايـــا الأمة في نفسها ، بل نراها تعمل ضدها ، لجهلها ، ففريدة تدعـو زوجها إلى بيع الأرض بعد النكبة والسفر إلى فنزويلا .

لقد فشل المؤلف في رسم الشخصيات . فشخصية فريدة التي ظهرت أقرب إلى النمو في تغيرها ، وسلوكها سلوكاً عزيزيـــاً لا تتنبه معه إلى دين ، أو فكر ، أو قيم ، لتحقق وجودهـــــا أمام زوج أهملها . هذا التغير يأتي في نهاية الرواية مفاجئـــــا ، غير ممهد له تمهيداً كافياً ، فجاءت الشخصية غير مبررة ، وقد وقـــع بالتناقض في رسمها ، فعزا تغيرها أولا إلى أنها تريد إرضـــاء زوجها ، ثم نجده في نهاية الرواية يعطي هذا التغير صفـــة التمرد . لقد فشل في إعطاء صورة فنية لاعتماده على السرد والتقرير فبدت الرواية كأنها صحيفة محشوة بحكايات كثيرة لا تخدم الخـــط الرئيسي فيها ، ولجأ إلى الخطب ، والمواعظ على لسان شخصياتـــه ، فأم عطا الله العجوز نراها تلقي نشرة أخبار كاملة عن وعد بلفـــور ، والاستعمار الانجليزى ، وتوزع المواعظ " لا تغادروا أرض الوطـــن ، عودوا إلى ترابه المقدس ، لأنكم منه . انتم تراب هذا الوطن ، فيجـــب ألا تضيعوا هذا التراب "(١) . مما جعل الرواية تبدو مقالات متنوعـــة

---

(١) متى تورق الأشجار ، ص ١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المرأة والسياسة ، وقد عمل على قتل الرواية فنياً بتسجيله الحدث التاريخي تسجيلاً كاملاً بطريقة سردية ممله ، فتحدث عن وعد بلفور، والهجرات ، وما لا قى الشعب الفلسطيني من التشريد ، ولذلك كانت الشخصيات أنماطا ينقلها المؤلف كما يشاء ، ويتحدث على لسانها بما يريد دون النظر أكان ذلك يناسب المستوى الفكري والثقافي والنفسي للشخصية أم لايناسبها ، ذلك أن هدف المؤلف تقديم الوعظ ، وإظهار البراعة الكتابية ، والقدرة على سبك العبارات الإنشائية الجوفاء ، التي تستحيل الرواية معها إلى نص من الحياة فجاء الحوار بين الشخصيات فارغاً لا يخدم الحدث ، ولا يساهم في الكشف عن الشخصية ، فما يقوله يكرره في الحوار ، مثلا : بعد قوله: إن فريدة تترك الاعمال عن ابنتيها تجده يجرى حواراً بين الام وابنتيها لتسأل كل واحدة عن العمل الذى أنجزته (١) . مما جعل صورة المرأة متخلفة فنياً بعد فشله في التعبير عنها .

تنفرد رواية " ليلة في القطار " في الإشارة إلى علة عزل الفتاة عن مجتمع الرجال ، فتعرض عرضاً سريعاً لما يقع عليها من ظلم بسبب نظرة الرجل إليها على أنها ملك له ، سواء أكان أبا أو زوجاً ، لارتباط معنى الشرف فيها ، فأي سلوك يخدش الشرف تستحق عليه أقسى العقوبة " فتيات يذبحن ذبح النعاج دون رحمة لخلوة ، أو لهفوة في ساعة ضعف " (٢) ، وهذا هو واقع الفتاة في مجتمعنا " إن مجرد ارتكابها لفعل واحد يؤدى إلى انقلاب تام في مركز

---

(١) متى تورق الاشجار ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .
(٢) ليلة في القطار ، ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة الاجتماعي والاخلاقي ، بل يعني تحولاً من الخير الى الشر، ومن الفضيلة إلى الرذيلة " (١) ، والأمثلة كثيرة على فتيات سحقن اجتماعياً أو مادياً نتيجة ذلك ، وقد تصل عقوبة الفتاة إلى الموت " إذا ما ظهر أنها طرف في علاقة غير مشروعة " (٢) . وذبح الفتاة يجازى عليه القاتل بالتقدير والإجلال ، لأنه قام بازالة العار ، وهذا سبب حرص المجتمع على أن تكون الفتاة عذراء عند الزواج كدليل على نقائها ، وانعدام وجود علاقات جنسية لها .

يجانب عيسى الناعوري الصواب حين يذكر أن الرجل إذا خان زوجته " يكون حقيراً في نظرها ، وفي نظر المجتمع "(٣) فالمجتمع لا يحتقر الرجل مهما فعل ، بل لا يفكر أن يطلق عليه حكماً بينما المرأة تعاقب أشد عقوبة لأقل خطأ ترتكبه .

لكن الصورة الشاملة للمرأة في الريف نعثر عليها في الروايات التي صدرت بعد ١٩٧٥ ، بسبب تطرق روايات كثيرة لها .

في رواية " الصديقان " ليوسف الغزو سعي المؤلف إلى عمل مقارنة بين الريف والمدينة في أسلوب الحياة والتقاليد التي تحكم كلاً منهما . مثلت ندى المرأة الريفية في الرواية ، فنجدها تتطلع

---

(١) حياء المرأة في ... ، ص ١٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .
(٣) ليلة في القطار ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى التعلّم لكن التقاليد تمنعها من إكمال دراستها في المدينة في الوقت الذى تسمح فيه للشاب ، فقد عارض والدها إرسالها " لأنه لا يرغب أن يكون أول من يرسل ابنته إلى المدينة "(١)، لكن الرواية تسجل تطوراً يجعل الوالد يوافق على إرسالها متخطياً التقاليد التي ترى أن الدراسة للرجل (٢) • لكن هذا الوالد يبقى حالة فردية في مجتمع يلتزم بالتقاليد •

يصور المؤلف حرص الريف على تزويج الفتاة بعد عزلها عن المجتمع " الفتاة حين تغدو عروسة مثلك فمكانها بيت أبيها إلى أن تنتقل إلى بيت العدل (٣)، وفي هذا إشارة إلى أمرين : الأول : أن مهمة المرأة الوحيدة هي الزوجية والأمومة . الثاني : شدة تمسك المرأة بالعادات ، فالتوجيه السابق كان من أم فوزى ، إمرأة عجنتها التقاليد وكونتها لتكون في خدمة الرجل ، لذا تلعب المرأة دوراً هاماً في توطيد العادات (٤)•

---

(١) يوسف الخزو ، الصديقان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٦ ، ص٢٦ •

(٢) ، (٣) المصدر نفسه ، ص٤٠•

(٤) أنظر : ريتشارد ، حياة المرأة العربية الإسلامية ، ص ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشير الرواية إلى أن النشأة الخاصة بالمرأة في الريف لا تنتج إلا امرأة تفتقد القوة والجرأة ، ففوزي يأخذ على ندى عجزها عن التعبير عن مشاعرها ، فهي لا تستطيع مصارحته بحبها ، فقد جاءت إليه مرة لتراه وتبث إعجابها به لكنها أحجمت عن ذلك وتحدثت في موضوع آخر • وتعلق ندى به يعكس أمرين :

الأول : أن المرأة في الريف لا تعامل كإنسان واع ، فحبها لفوزى نشأ من اهتمامه بها •

الثاني : أنه تعبير عن بحثها عن حريتها وانطلاقها ، نتيجة افتقادها للاحساس بسعادة عاطفية •

كان يمكن لشخصية ندى أن تصل إلى مستوى فني متميز لولا انشغال المؤلف بقضية المقارنة بين المدينة والريف ، فشخصيتها حين قاربت أن تكون نامية تنتهي إلى القتل ، الذى كان خطأ فنياً في الرواية ، فقتلها يشير إلى أنها لم تستطع تحقيق التحرر المرغوب ، فما زالت هامشية في وجودها حيث أنها لم تترك أثرا في نفس فوزى حين قتلت وأظهر عدم الاكتراث بأمرها • نجحت الرواية في إبراز البيئة القروية وتقاليدها ، لكنها احتوت على كثير من العيوب الفنية، كالتفصيلات الكثيرة التي لم تخدم الخط الروائي كالحديث عن الشيخ عطا الله وحياته [1] ، قدمت الشخصيات بطريقة السرد ، اعتمد على المصادفة القدرية في تطوير الحدث ، فمصادفة أن تكون ندى هي الفتاة التي يحبها فوزى ، ومصادفة أن تسكن في الحي نفسه الذى يسكنه فوزى •

---

(١) الصديقان ، ص ٤٩ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الحوار فلا يكشف الشخصيات التي برزت من خلاله على مستوى واحد من التسطح •

أما جوليا صوالحة في رواية " سلوى " فقد قدمت صورة شاملة دقيقة للمرأة الريفية من حيث المضمون ممثلة في سلوى ، التي صنعت ظروف الحياة منها شخصية قوية مستقلة، مما جعلها نموذجاً مختلفاً عن نساء القرى ، فوالدها تركها طفلة مع أمها وسافر " فكانت سلوى تقلد والدتها في بعض الأوقات بجمع سنابل القمح " (١) ، ثم توفيت أمها فلم يبق لها أحد تعتمد عليه ، ليأتي عمها ويسلب ما معها من مجوهرات تركتها والدتها ثم تجبر على السكن في بيته ، وهناك ذاقت صنوف العذاب ، بسبب امرأة عمها التي كانت تحسدها " فجمالها وذكاؤها كانا يلفتان نظر كل من يدخل ذلك البيت " (٢) ، تبدو قيمة العلم في تطوير شخصية سلوى ، فقد درست في مدرسة للراهبات ، لكنها لم تكمل دراستها لأن عمها أبقاها في البيت لتخدم زوجته ، ثم زوجها من ابن عم لها ، وبعد ذلك رحلت مع أولادها إلى العاصمة، فعلمتهم وتمكنت من الإنفاق عليهم من خلال عملها في مجالات متنوعة• هذه هي الشخصية الوحيدة المتنورة التي نجدها للمرأة الريفية ظهر أثر التعليم والعمل في صنع شخصيتها •

---

(١) جوليا صوالحة ، سلوى ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٦ ، ص٣•

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٨•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكمن قيمة هذه الرواية والروايات التي تلتها في الصدور في الكشف عن قضايا هامة في المجتمع الريفي منها : —

أولا : الإشارة إلى نساء الطبقة الارستقراطية في القرية اللاتي لا يخرجن للعمل ، الذى يقوم به رجال مأجورون ، مما يؤدى بهن إلى مزيد من التفاهة حيث " تتسكع النساء عند بعضهن البعض ليقتلن الفراغ " (١) ، تمثل هذه الفئة في رواية " سلوى " زوجة عمها " عرفت كيف تبرز بسبب وجاهة زوجها ، وكانت مغرورة تلبس الثياب المزركشة وعقود الذهب في عنقها " (٢) ، ولسخف عقلها نجدها تغار من سلوى لانها جميلة ، و تخاف أن يؤثر ذلك على زواج ابنتيها ، ولذلك كانت ترد الخاطبين لسلوى بحجة أن الاخيرة خادمة لا تليق بهم (٣) .

ثانيا : الزواج ، يقوم على أساس شكل الفتاة (٤)، وليس للفتاة أية حرية في اختيار الرجل الذى ستتزوجه ، فوالدها يختار لها من يسوقها إليه ، فوالد عليا التي تقدم إليها رجل رفضته في الوقت

---

(١) سلوى ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(٣) سلوى ، ص ٢٧ ، ٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى وافق والدها عليه " إنني لن أرجع عن كلمتي ، فقد نطقت وأعطيتهم كلمة " (١) ، فيزوجها لذلك الرجل الذى عانت الشقاء معه • مما يترتب على قضية الاختيار أن العادات تفرض لابناء العم الاولوية في الزواج ، لذا لا يجرؤ الغريب على التقدم لخطبة الفتاة إلا إذا أعلن ابن العم انه لا يريدها (٢) ، وقد أشارت رواية " النشمي " إلى حرص القرويين على تزويج بناتهم لأبناء العمومة دون غيرهم " اقترح أفراد العائلة أن يتقدم سالم للزواج من ابنة سلمى ، فيستر عليها على حد قولهم " (٣) ، فالزواج يتم تطبيقا لنظام وضعته التقاليد دون اكتراث بمن يعنيهم الأمر • وإلى هذا أشارت رواية "وعادت الى ليل الغرباء" لعصام عمارى حين تحدث عن رفض والدنا أسامه زواجه من امرأة غريبة، لانهما يريدان له أن يتزوج ابنة عمه ، ووضحت الرواية أساس اختيار الزوجة بأنه حسبها ونسبها (٤) ، وحين اعترض أسامه أجابته أمه " أنا لا أقرأ ولا أكتب ، فقد تزوجني والدك ، أنت تريد أن تتزوج سيدة بيت تجيد الطهو ، وتحافظ على كرامة زوجها ، أم تريد زوجة تقرأ وتكتب ؟ وماذا تأكل إذن ؟ " (٥) •

---

(١) سلوى ، ص ٧٧ •
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٦•
(٣) جوليا صوالحة ، النشمي ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٩ ، ص١٢•
(٤) عصام عمارى ، وعادت الى ليل الغرباء ، مطابع دار الشعب ، عمان، ١٩٧٧ ، ص١٣٨•
(٥) المصدر نفسه ، ص١٤٨ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعلل رينشارد حرص القرويين على تزويج الفتاة لابنة العم بأنه يحفظ المرأة ويصونها ، فلا تتعرض للشتيمة والمعاملة القاسية " لأنهم بذلك إنما يسيئون إلى أجدادهم هم أنفسهم " (١)، قد يكون هذا سبباً لكنه ليس الوحيد ، فالحفاظ على الإرث سبب آخـــــر .

مما يتبع قضية الزواج المهر الذي هو أشبه بالثمن الـــذي يساوم عليه لشراء بضاعة ، فقد كان عم سلوى حين يتقـــــدم لخطبتها شاب يطلب مهراً غالياً ، لذلك بقيت أسرة أهـــــل زوجها في ديون لمدة طويلة (٢) .

ثالثا : علاقة الزوج بزوجته ، تقوم على أساس السيد والعبـــد ، فمهمتها تكمن في خدمته والقيام على راحته ، وفي رواية جمعة حماد " بدوى في أوروبا " تناول لهذه القضية . يبدو سويلـــم الذى سافر إلى المانيا ، فبدأ بمقارنة طويلة بين الشرق والغـرب ، ووقف دهشا أمام وضع المرأة الاوروبية ، نتيجة حمله نظرة متخلفـة ترى " أن أكثر أهل جهنم من النساء الناقصات العقل والدين "(٣)، فلا بد للمرأة من أن تكون تحت وصاية الرجل ، لذلك يلـــوم الناس زوج سلمى الذى لم يوده بها حين حاولت إعادة ابنها مـــن غيبوبته ، فرأوا في ذلك أحياء للميت وهذا كفر (٤) ، ولأن المرأة يجب أن

---

(١) حياء المرأة العربية في القرى ... ، ص١٦٥ .
(٢) سلوى ، ص٣٦ ، ٤٢ .
(٣) جمعة حماد ، بدوى في أوروبا ، المؤسسة الصحفية الأردنية ، عمان ، ١٩٧٧، ص٥٤ .
(٤) النشمي ، ص١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكون ضمن ملكية الرجل ، فعملها خارج بيتها بالأجرة مرفوض، لأن هذا معناه تحررها من استعباده لها ، وهذا ما تشير إليه رواية " بدوى في أوروبا "(١) • حيث ظهرت المرأة لا يُنظر إليهـــا إلا كموضوع جنسي خاص بالرجل ، لذلك يجب حجبه عن مجتمـــع الرجال ، بل لا يجوز ذكـــر اسمها أمامهم ، لهذا كان سويلم يتحدث مع زوجته من وراء ستار عندما يكون في البيت رجال (٢)، ولأن المرأة أقل مكانة من الرجل بكثير فإن سويلم يستهجن تقبيل يد المرأة ، أو تقديمها على الرجل في السير أو الجلوس ويرى في هذا ذلاً للرجل(٣)•

نتيجة لهذه النظرة تتحدد مهمة المرأة الاولى في الريـــف بالزواج ، لأن فيه حماية لها وسترا " لماذا لم تتزوج ؟! لمـــاذا لم يضبها ابن الحلال ؟!" (٤) ، ونراه يركز في نظرته للمرأة الغربيـــة على أنها خالية من الحياء • على الرغم من أن المرأة لم تبرز شخصيـــة فنية إلا النظرة إليها برزت من خلال حديث سويلم عنها ، فأعطى تفصيـــلاً

---

(١) بدوى في أوروبا ، ص٦٨•
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤ ، ٨١ •
(٣) المصدر نفسه ، ص٦ ، ٣٠ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دقيقا لوضع المرأة في البادية ،الذى يطابق وضعها في الريف [١] ، وتسيطر فيه النظرة المتخلفة التي ترى المرأة بلا عقل ، لذلك فهي لا تستطيع حماية شرفها ، وهذا سبب الحرص على تزويجها مبكراً لحمايتها من الوقوع في الزلل ، فالعلاقة غير سوية بين الرجل والمرأة ، لأن النظرة محكومة بأنوثتها وهو مقياس صلاحيتها للزواج ، وضمن هذا المعيار فالرجل لا يبحث عن المرأة إلا لإشباع رغباته ، وهذا ما يفعله بعض شبابنا في أوروبا ، كرشدى في " بدوى في أوروبا " [٢] ، ضمن هذه الرؤية لا يمكن قيام علاقة سوية بين الرجل والمرأة ، فلا قيمة لرأيها ، ولا تقدير لشخصيتها ، وإذا وجد احترام للإمرأة ، فلأنها تخضع لتقاليد القرية ، وتعمل على تدعيمها " أن المرأة تميل إلى عدم التهوين من شأن خروج النساء على هذه العادات ، ولا تتورع عن إصدار الحكم القاسي بإخراج أى فتاة أو امرأة من المجتمع إذا تمادت في غيها " [٣] ، وهذا ما تشير إليه رواية " النشمي " في هجوم النساء على سلمى لمنعها الحمل " لا تتركوا هذه المرأة تتمرد على التقاليد والعادات كما تشاء " [٤] . ففي مثل هذه المواقف يتجلى جهل المرأة في تمسكها بعبوديتها .

---

(١) أنظر : حياة المرأة في القرى ... ص ١٤٧ .
(٢) بدوى في أوروبا ، ص ٢٠ .
(٣) حياة المرأة في القرى ... ، ص ١٥٥ .
(٤) النشمي ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المهمة الثانية فهي الأمومة ، " لا خير بامرأة عقيم " [١].
فالولادة وظيفة أساسية لها : ولادة الذكور بوجه خاص • وقد أشارت رواية " اللوحة " إلى وظيفتها حين اكتفى بالإخبار عن عائشة أنها تزوجت وأنجبت ، ولا تعرف عن زوجة عواد إلا أن لديها ستة أطفال [٢] ، وفي رواية " عصافير الشمال " لعلي حسن خلف ، إشارة إلى مهمتها بأنها " المطبخ وإنجاب الأطفال ورعاية الزوج [٣] • إضافة إلى هذا ، فهي عنصر فعال في العمل الزراعي ، وتنمية الثروة الحيوانية في الريف ، لكن عملها لم يمنحها استقلالاً واحتراماً في مجتمعها ، وهذا ما تشير إليه رواية " سلوى " عند حديثها عن عليا ، التي تقوم بأعمال شاقة في الزراعة ورعي الإبل ، لكن زوجها كان يذيقها من العذاب ، فمعاملته لم تسمُ عن معاملة العبد ، حيث كان يضربها لأقل هفوة ، مما نتج عنه إصابتها بالجنون [٤] ، وهذا نتيجة إحساس الرجل بأنه السيد المسؤول عن المرأة ، التي تجرد من كل حق وحرية ، فوالد هنية في " عصافير الشمال " يقوم ببيع بيتها بعد موت زوجها دون استشارتها [٥] •

---

(١) علي حسين خلف، عصافير الشمال ، دار ابن خلدون، بيروت ، ١٩٨٠، ص ٥٠ •
(٢) يوسف الغزو ، اللوحة ، رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان ، ١٩٨٢ ، ص ١٦ ، ١٨ •
(٣) عصافير الشمال ، ص ٥٠ •
(٤) سلوى ، ص ٧٧ •
(٥) عصافير الشمال ، ص ١٢٧ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يثير عمل المرأة في الريف تساؤلاً حول مدى انسجام الرجل في تمسكه بالتقاليد ، فهو يسمح لها بممارسة العمل ، الذى يلزمها بالخروج والانتقال الى أماكن بعيدة للزراعة أو جمع الحطب ، بينما يمنعها من ممارسة حريتها ، ويحرمها من حقوقها ، وهذا يكشف مقدار التناقض في المجتمع الريفي ، الذى يتناسى التقاليد حين يحقق له تناسيها مصلحة ، ويتمسك بها عند ما يرى تعارضها مع مكانته وسلطته •

رابعا : شيوع الخرافة ، نظراً لفقد المرأة التنوير العقلي ، تصبح الخرافة جزءا من تكوينها ، حيث تعتمد في تسيير أمور حياتها على الغيب ، دون محاولة للأخذ بالأسباب ، فحين مرض ابن سلوى أرادت إرساله للطبيب ، فقالت النسوة لها " إياك إياك أن تلمسيه أو تعالجيه ، فهذه الأمراض لا حول لنا ولا قوة في معالجتها ، المسألة مسألة حظ الطفل : صاحب الخط يعيش ، أما من لا حظ له فيموت " (١) وحين عجز زوج سلوى عن القيام بالعملية الجنسية اقترحت خالة سلوى " بأن من الأفضل أن تجدن له وصفه ما ، أو تحجبين له "(٢) وعلى الرغم من وعي سلوى المتميز نجدها تؤمن بالخرافة ، التي تعززها المؤلفة بجعل ابن سلوى يغرق بعد أن حلمت به أمه أنه مذبوح ، (٣) وفي رواية " عصافير الشمال " تصوير دقيق لتخلخل الخرافة في شخصية المرأة ، فزوجة أرناؤوط لم تكن تنجب ، فذهبت إلى (المشعوذ) يرضى زوجها وتشجيعه للاستشفاء ، فكان المشعوذ يضاجعها بدعوى أنه يريد طرد الجن من جسمها "وأدركت شقيقة بعد مرور أسبوع على محاولات طرد الجن من الرحم أن الشيخ وادى قطع طريق

---

(١) النشمي ، ص ١٥ .
(٢) سلوى ، ص ٤٥ ،
(٣) سلوى ، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللاعودة ، فهي لا تستطيع أن تبوح لزوجها بما يفعله العلاج ، كأن تقول مثلا : إنها تخونه مع الشيخ يوميا تحت طائلة الشفاء " [١]، فهي حين أدركت ما يفعله معها لم تمتنع عن المجيء إليه ، لأنها مدفوعة برغبة تحقيق مهمتها الثانية : الولادة ، وإلا فقدت قيمتها عند زوجها ، الذي لا يعترف بحقه أمام الناس، وفي رواية " وعادت الى ليل الغرباء " إشارة إلى إيمان المرأة بالخرافة [٢] ، وكذلك في رواية" يوصله من أجل عباد الشمس " ، والتي تحدثت عن سليمة الحاجة بأنها " لم تسأم من ارتياد بيوت العرافين وضرابات الهخث ، آمله أن يعود ابنها سالما "[٣]

خامسا : ارتباط المرأة بالشرف ، تسلب المرأة حريتها ، وتعزل في البيت صغيرة انتظارا للزوج ، وخوفاً عليها من الاختلاط مع الرجل ، لهذا تقوم العلاقة العاطفية — في القرية — سرّا ، وتستند إلى الحذر والخوف الشديدين • والقيود في هذا الجانب تقع على المرأة والرجل ، لكنها تكون مضاعفة على المرأة • فتبادل التحية بينهما ممنوع ، وذكر اسمها أمام الرجال محظور — كما تبين في رواية " بدوى في أوروبا " — لمخالفة ذلك الاخلاق الفاضلة وتقاليد القرية ، فكيف إذا قامت علاقة بين الرجل والمرأة ؟ ! هذا يعني جريمة لابد أن تنال عقاباً قاسياً عليها " أن مجال الأفعال التي تؤدى إلى سقوط المرأة واسع "[٤]، وفي رواية " سلوى تمثل ماجدة هذا، فقد كانت على علاقة برئيّة مع شاب ، وحين علم ابن خالها — الذى رفضته زوجاً — أخذ يسيء إلى سمعتها وشرفها ، واتهمتها النساء كذباً أنها هربت مع

---

(١) عصافير الشمال ، ص ٩٣ •
(٢) وعادت الى ليل الغرباء ، ص ٤٣ •
(٣) بوصلة من أجل عباد الشمس، ص ٢٤ •
(٤) حياء المرأة في القرى ••• ، ص ١٤٩ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك الشاب " لطخت شرف عائلتها فذبحها حلال " [١]، وقد نفذ حكم القرية عليها فقتلت. وفي رواية " هل ترجعين " لجوليا صوالحة نجد الزوج يقتل زوجته، لمجرد شك أوقعته فيه رسالة مدسوسة تتهمها بالخيانة [٢] وتبرز الرواية مفارقة حين بينت أن المحكمة حكمت عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، وهذا إقرار غير مباشر منها على أحقية الرجل بقتل زوجته، على الرغم من أن الناس شهدوا لها بالطهر والشرف [٣]، فمكانة الفتاة تنهار عند ارتكابها هفوة أو تعرضها لشبهة، وهذا يعود لارتباط الشرف في مجتمعنا بحياة المرأة الجنسية " إن الأنوثة والحياء الذى يعتبر أساسا لها، إنما يكمنان في التركيب الفسيولوجي للمرأة، أى: أعضائها التناسلية "[٤] ومن هنا تنبثق فكرة المحافظة على الجسد وستره، وعزل المرأة ماديا واجتماعيا، فعلى الرغم من أن قضية اللباس الساتر واردة في الشرع الإسلامي، إلا أن القروى يدعو إليها بعيداً عن الهدف الديني، بل لارتباطها بالشرف. وهذا يفسر نظرة الرجل في الريف إلى المرأة في المدينة، تلك النظرة التي تتميز بالاحتقار، لأنه يرى أن لا همّ لها إلا الحب، ولذلك رفضت أسرة فريد في " اللوحة " فكرة زواجه من سحر، لأنها غير راض عن سحر، وعلاقتها بالرجال دون حرج [٥].

يبرز الاهتمام بالعذرية في مجتمعنا نتيجة ارتباط الشرف بجسد المرأة، وأول رواية أشارت إلى هذا هي " سلوى "، فحين عجز زوج سلوى عن القيام بواجبه الجنسي، عملت أمه وأخواته على تشويه سمعتها، وشككن بعذريتها [٦]،

---

(١) سلوى، ص ٦٩.
(٢) جوليا صوالحة، هل ترجعين مدعون، عمان، ١٩٧٩، ص ٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨.
(٤) حياء المرأة في القرى ...، ص ١٥١.
(٥) اللوحة، ص ٢١، ٢٢، ١١٠.
(٦) سلوى، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يهتم المجتمع بعذرية الفتاة ، لأنها دليل على نصاعة شرفها " إن اثبات عذرية الفتاة يتم ليلة زفافها ، وإذا وجد أنها كانت طرفا في علاقة غير مشروعة ، فإنها تقتل في الحال "[١] ، لكن السؤال الذى يطرح هل يحفظ هذا التزمت وتلك القيود الاخلاق ؟ ، ان الواقع يثبت العكس، وفي دراسة ريتشارد حديث عن علاقات جنسية بين الرجل والمرأة ، وتمارس سرا بطريقة غير مشروعة [٢] .

سجلت بعض الروايات تطوراً في رومية الرجل والمرأة ، كرواية " عصافير الشمال " حيث تظهر ثنائية في النظر إلى المرأة ، بين القرية المتخلفة وبين الدكتور المستنير، الذى كان يرى أنها " كائن بشرى ... وكائن اجتماعي ... لذلك يقع عليها ما يقع على الرجل " [٣] ، وتبدو نهى المعلمة تتصرف بوعي ومعرفة بأزمة مجتمعها ، فقد قادت حملة تظاهرية ، لإطلاق سراح المعتقلين ، لكن موقفها كان مدعاة للسخرية من نساء القرية الجاهلات [٤]. ونلمح في " وعادت الى ليل الغرباء " تطوراً ، يمثله سامي الذى أحرز ذلك بفضل ثقافته وعلمه ودراسته في المدينة ، فنجده يرفض الزواج من ابنة عمه ، لأنها " لا تفهم من أمور الدنيا أكثر من خبز العجين بالطابون، وتحضير لقمة العيش "[٥] وفي رواية " اللوحة " نلمح تطوراً مشابها في فريد ، الذى يدرس في المدينة حيث نراه يتقبل فكرة الاختلاط ، لهذا أحب سحر ، وأراد الزواج منها ، لانها متميزة عن النساء اللاتي ألفهن في القرية ، فنسب إليهن السذاجة [٦]. مثل هذه المرأة نجدها في رواية " ثم وحدك تموت " لمؤيد عتيلي ممثلة في قمر ، التي عانت من تسلط الرجل الغني العبد الجابر ، الذى لم ينظر إليها إلا على أنها متعة يستطيع شراءها بأمواله [٧] على الرغم من أنها لم تتعلم

---

(١) حياء المرأة العربية ... ، ص ١٤٧ .
(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٥٦ .
(٣) عصافير الشمال ، ص ٥١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
(٥) وعادت الى ليل الغرباء ، ص ٢٠٨ .
(٦) اللوحة ، ص ١٠٣ .
(٧) مؤيد عتيل ، ثم وحدك تموت ، رابطة الكتاب الاردنيين ، ط ، عمان، ١٩٨٠ ، ص ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كثيراً نجدها واعية ، فلم تتقوقع ، بل انطلقت مع المقاومة ، لتشارك في عملياتهم ، لهذا نراها تتعامل مع الرجل دون خوف أو تردد ، انطلاقاً من إحساسها ، بإنسانيتها ومساواتها للرجل[١] ، وفي الرواية تقدير لجهد المرأة المتمثلة بوالدة وراد " وحين عجز والدك عن العمل شمرت عن ساعديها ، وخرجت الى الجبال "[٢] . وفي رواية " سلوى " نجد امرأة متميزة تناولها البحث فيما سبق ، وطرحت في رواية " النشمي " من خلال سلمى ، التي نجد فيها تطوراً وتطلعاً للتغيير ، تمثل في تمردها على تقاليد القرية ، حين منعت الحمل ، وعزفت عن الاستماع لخرافات النساء وتخطيها للعقبات ، فاستطاعت الإنفاق على ولدها ونفسها حين عملت[٣] .

أما صورة المرأة فنياً فكانت نموذجاً متسطحاً في " عصافير الشمال " . و " اللوحة " و " عادت الى ليل الغرباء " ، أما روايات جوليت صوالحة فقد ظهرت أشبه باعترافات عيسى الناعوري ، نتيجة اعتمادها على السرد ، وعزفها عن استغلال الأدوات الفنية ، فجاءت مفتقرة إلى نمو الحدث فنياً ، بل نراه ينمو بتلقائية ، للأقدار نصيب فيها ، لأن هدفها بث ما عندها من ذكريات دون محاولة لمعالجتها فنياً ، مما جعلها أقرب إلى الحكاية الشعبية ، هدفها التسلية وتقديم الحكمة والموعظة ، فنراها تنطق الشخصيات بما لا يتناسب مع تكوينها ، فوالد علياء حين قتلت ابنته قال : " أنت يا ابنتي لست زانية ، أنت بحبك الطاهر قد أحببت وصدقت ، ولكن قاتليك هم الزناه "[٤] ، فهل هذا منطق رجل قروي ؟!

---

(١) ثم وحدك تموت ، ص ٣٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .
(٣) النشمي ، ص ٦٨ .
(٤) سلوى ، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ — صورة المرأة في المدينة

أ • صورة المرأة الفقيرة

لم تبرز المرأة في الطبقة الفقيرة إلا في روايات قليلة ، ظهرت من خلالها النظرة المتخلفة التي تحكم وضعها ، وبعض القضايا التي تتصل بها •

في رواية " الدم والتراب " لعطية عبد الله عطية يظهر الظلم الواقع على المرأة ، وانعدام الاهتمام بها ، ففي الوقت الذى يعني بالذكر عناية عظيمة ، وهذا نتيجة حصر وظيفة المرأة في الزواج ، لهذا تحرم من تلقي العلم ، وهذا ما فعلته أم عبد الله بابنتيها بينما أرسلت ابنها إلى اسبانيا ليدرس الطب [١] • لا ينظر الرجل للمرأة إلا من زاوية الجنس ، ، فعبد الله لا يريد من المرأة إلا أن تكون " عذراء ، هيفاء ، حلوة جذابة يريدها لا وصف لها [٢] ، ويرى أن النساء لا همّ لهنّ إلا الحب ، لهذا ينظر إليها باحتقار " تبدو عاقلة بادئ الامر ، وسرعان ما تعود إلى كونها حواء " [٣] ، فالمرأة مخلوق ناقص مفطور على السخف ، ولذا لا ينظر إليها كإنسان ، ولهذا افتقدنا تقدير عبد الله لأمه التي كافحت من أجل استمرار أسرتها •

---

(١) عطية عبدالله عطية ، الدم والتراب ، ؟ ، عمان ١٩٧١ ، ص ٨٣ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٤ •
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجد تصويراً دقيقا للمرأة في رواية "وقت" لجمال ناجي ، فالرجل لا يراها إلا جارية له ، ولهذا ليس لها أن تتمسك برأيها ، لأن هذا ينافي الرجولة " أى والله لو أعرف أن امرأتي ستحكمني لاقطع ذراعي " [١] ، ولا تحظى المرأة باهتمام الرجل ، إلا إذا كانت جميلة ، فمعيار صلاحيتها توفر النضج الجنسي فيها " ومن الصعب أن تخرج أم فتحية من دارها دون أن ينظر إليها رجال الحارة "[٢] ، ومنير ينظر الى فتحية للسبب ذاته " فتحية التي سفحت أحلامي وأيامي على طيات جسدها الذى شب بعورة مذهله " [٣] ، وعند غرق أمها لا ينظر إلى أنوثتها . وما دامت هذه هي النظرة للمرأة فلا بد من عزلها عن مجتمع الرجال وحجبها عن المجتمع " والحرمة التي تظهر شعرها للرجال ترتكب معصية وكل معصية خطيئة "[٤] ، ولهذا منعت فتحية عن مرافقة الأولاد عندما بلغت الثانية عشر من عمرها [٥] ، فكل شكل لعلاقة الرجل بالمرأة مرفوض وخرق للتقاليد ، وهذا ما نجده في رواية "الكنزه الخضراء" ممثلا في فيحاء ، التي عشقت سراً ، وتصرفت في الخفاء ، لكنها لم تستطع أن تسعد بحبها بسبب العادات ، مما نتج عنه قتل حبيبها كمال . أما شخصيتها فقد بدت سلبية مسطحة ، غارقة

---

(١) جمال ناجي ، وقت ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ١٩٨٤ ، ص ٢٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٣) وقت ، ص ٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في همّها العاطفي الذى عبّر عن نزوعها إلى التحرر ، ولم يحسن المؤلف استغلال المخيم ، ليصور أزمات الإنسان فيه ، ويبحث في عللها وأسبابها كما فعل جمال ناجي في " وقت " .

تحرم المرأة في هذه الطبقة من التعامل الإنساني فخالة عايدة في رواية " الدموع الصامتة " لصالح شبانه *

تعامل بشراسة من زوجها دون محاولة منها للتخلص من وضعها " لأنها تعودت هذه الألفاظ وألفتها "(١) . تتلخص مهمة المرأة في خدمة الزوج والإنجاب ، ولأن السيادة للذكور في المجتمع فهي مطالبة وملزمة بإنجابهم " قطع الله شجرته إذ رزقه بخمس بنات ولم يشف غليله بولد واحد يحفظ اسمه واسم عائلته "(٢) . قيل هذا عن حتوم الذى هدّد زوجته " هذه نهاية الصبر إعملي حسابك في المرة القادمة لازم يكون ولد ، ولد لازم تفهمي أن طلاقك كوم والولد كوم "(٣) ، وقد طلقها حين ولدت طفلة خامسة " وهو يبحث عن امرأة أخرى تاتيه بمولود ذكر "(٤) .

---

(١) صالح صلاح شبانه ، الدموع الصامته ، دار الشعب ، عمان ، ١٩٧٦ ص ١٦ .
(٢) وقت ، ص ٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .
* سيتعرض البحث لتحليلها عند الحديث عن الصورة غير المألوفة للمرأة .
(٤) وقت ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنشأة المرأة في ظل هذه النظرية تصبح الخرافة جزءاً من تكوينها فأم منير كانت تقول عن الجبل : إنه مسكون بالشياطين والجن ،وكانت تؤمن بأن أبا تميل عثر على كنز في الجبل بعد أن سمع صوتا يناديه إلى مكانه (١) .

تطرح في إطار هذه الصورة قضية التفاوت الطبقي ،نجدها في رواية "لقاء في الخريف" لسامي محريز .* ، حيث يقابل عمل الخادمة أم ظاهر باحتقار من قبل سلوى ابنة المخدومين ،وهذا موقف طبيعي ، فالطبقية سبب فساد العلاقات على جميع المستويات ،لهذا كان موقف الموظف غير منسجم مع مستوى تفكير من هم في الطبقة الأرستقراطية حين جعل والد مايسه الغني يزوج ابنته لابن الخادمة ،فكان كلامه غير مقنع ،وموقفه يفتقد إلى التسويغ " فامرأة كهذه بلا سند ،ولا دخل سوى دخلها ،من كدها استطاعت أن تخلق من ظافر رجلاً متعلماً ، مثقفاً لا تستحق الإعراض ،بل بالعكس ان الأصالة التي بها تنقل إلى أولادها وأحفادها (٢) .

أما مفهوم الزواج فهو يسير وفقاً للمنفعة وتحقيق المصالح دون الاهتمام بالمشاعر ،وهذا ما أشارت إليه الرواية حين ذكر أن أهل نهاد زوجوها رغما عنها لرجل غني على الرغم من أنه يكبرها بثلاثين عاما "زوج ما فيش عليه حكي مال ومركز وصحة ،وكل فتاة تتمناه ، وسوف يرفعنا إلى مستوى أعلى ،وسوف نلبسين كأحسن النساء " (٣) . وهذا يشير إلى استغلال المرأة مادياً ،ففي رواية " الكنز الخضراء " تذهب سعاد إلى السعودية للعمل كمعلمة ،وحين يأتي خاطب لها يشترط والدها" أن تعمل لحسابه سنتين

---

(١) وقت ، ص ٢٤ ، ٥٣ .
(٢) سامي محريز ، لقاء في الخريف ،نشر دار فيلادلفيا ،عمان ، ١٩٧٤ ،ص ١٥٠ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٩ .
* سيتعرض لها البحث بالتحليل عند الحديث عن صورة المرأة الارستقراطية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد زواجها "(١) ،فهو يسمح لسعاد أن تسافر للعمل ،لأن هذا يحقق مصلحة ، لكنه يتزمت في تطبيق التقاليد حين يعلم بحب فيحاء لكمال ، فيلجأ الى ضربها كي تتراجع (٢) .

كان بمكنة المؤلف أن يستغل شخصية فيحاء وسعاد ،ليبين الظلم الواقع على المرأة ورده إلى أسبابه لكنه اكتفى بذلك ،فجاءت سطحية ثابتة قدمها بطريقة السرد التقريري ،وخلت الرواية من الأحداث ،فاقتصرت على تسجيل الأحداث والمواقف العاطفية بين العاشقين ،والرسائل التي تبودلت لينتهي الرواية نهاية لم يمهد لها ، اعتمد فيها على السرد ،وجاء الحوار عائقا لسير الأحداث ،وكان اهتمامه بوصف تفاصيل العلاقة العاطفية على حساب الغوص في الشخصيات ،والجانب الفكري فيها .

تبرز في هذه الطبقة صورة الأم الكافحة من أجل أسرتها ،ففي رواية " الدم والتراب " مثل لها بأم عبد الله التي عملت خادمة في مدرسة ،لتعيل عائلتها بعد فقد زوجها أثناء النكبة (٣) . وفي رواية " لقاء في الخريف "

---

(١) محمد عبد الله القواسمة ،الكنزة الخضراء ،دار الطباعة والنشر ،د.ت ، ص ٢٤ . تشترك رواية " الطريق الى بلحارث " في الإشارة إلى استغلال المرأة ماديا" الممثل في زوجة أحد المعلمين في السعودية ،التي تضطر للسفر على الرغم من أنها حامل في الشهر التاسع - خوفاً من ضياع العام الدراسي . أنظر : ص ١٨ .

(٢) الكنزة الخضراء ،ص ٧١ .

(٣) الدم والتراب ، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعرض المؤلف سريعاً لأم ظافر التي عملت خادمة ،ليتمكن ولدها من الدراسة في الجامعة (١) . وفي رواية " الطريق إلى بلحارث " لجمال ناجي نجد أم عماد التي عملت بالخياطة بعد موت زوجها ،لتنفق على أولادها ،وتمكنهم من العيش الكريم بتلقي العلم والحصول على مؤهلات تبعدهم عن الفساد والانحراف (٢) .

---

(١) لقاء في الخريف ،ص ١٥ .

(٢) جمال ناجي ،الطريق إلى بلحارث ، رابطة الكتاب الاردنيين ،عمان ، ١٩٨٢ ، ص ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ صوه المرأة في الطبقة الوسطى

يمكن تقسيمها حسب النظرة إلى المرأة إلى ثلاثة أقسام : ـ

الأول : النظرة المتخلفة .

الثاني : النظرة المحافظة .

الثالث : النظرة المتقدمة .

أولا : النظرة المتخلفة نجدها في رواية " أنت منذ اليوم " فقد أشار المؤلف إلى قضيتين تتعلقان بالمرأة في لحمه خاطفة ،وهما مظهران لإذلالها والاستهانة بها في مجتمع ذكرى ،الأولى تعرضها للضرب والشتم من قبل الزوج ، والثانية : تعدد الزوجات ، وحرمان المرأة من الإرث ، فحين تحدث عن والده ذكر " الحزام الجلدى العريض الذى كان يثنيه عندما يضرب زوجاته ،ليكون أشد وقعاً"(١). نلمس في الرواية استكانه المرأه ورضاها بحياتها هذه ،بل نجدها تحب الرجل وتتمسك به ،مما يعكس قناعاتها بأن للرجل الحق في أن يفعل ما يشاء ،ولهذا لا نلمس أى مظهر للوعي والرفض من قبلها . وهي إن لم تحب الرجل فهي لا تستطيع أن تفعل شيئا ،لأنها عالة عليه ،فأخت عربي لا تستطيع طلب الطلاق على الرغم من كرهها لزوجها (٢) .

لكن بداية وعي المرأه لحقوقها نجدها في الرواية ،فأم عربي طلبت ـ بعد وفاة زوجها ـ من ابنها تسجيل البيت باسمها لكنه رفض(٣) ، هذا كل ما عرضت له الرواية فيما يخص المرأة ،لذلك لم يقف البحث عندها ، لأنها لم تقدم شخصية ،بل جاءت الاشارة إليها عرضا من خلال تسليط الضوء على مشهد مر في حياته ،وترك أثراً في نفسه نجح في نقله الى القارئ.

---

(١) أنت منذ اليوم (الأعمال الكاملة) ،ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه ،ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجد في رواية " حب من الفيحاء " صورة مشابهة ، كالتي وجدناها عند تهسير السبول تتمثل في زكية وأمها اللتين عرض لهما المؤلف عرضاً هامشياً ، فلم يعن بتقديم صورة فنية ، فجاءت مستلبة مسطحة غارقة في العزلة ، التي فرضت عليهما من قبل رب الاسرة المتسلط ، الذى شل قدرتهما على الانطلاق والتفكير الحر والتصرف المستقل ، فحين كان يضرب زوجته نجدها تتمرد تمردا داخليا لم تستطع إظهاره ، لخوفها منه " وكانت أم عبد الرحمن تخاف من زوجها وتذعن لأمره ، وإن كانت في قرارة نفسها تلعنه " (١) . لم توجد صورة فنية للمرأة في الرواية ، لأنها كانت عبارة عن شرائح اجتماعية ينتقل فيها من حادثة الى أخرى ، ومن شخصية إلى غيرها دون رابط يربطها الا الهدف الأخلاقي والاجتماعي الذى كان يريد كشفه للقارىء من خلال اللقطات التي سجلها بأسلوب التقرير السردى بعيداً عن المعالجة الفنية ، حيث ظهرت الرواية أشبه بالحكايات المنفصلة غرضها كشف عيوب المجتمع ، ولعدم وجود خط نحدد ينتظمها فقد وقع الكاتب في الخلط حين كان ينسى شخوصه ، فصبرى نجده باسم صابر ، مما يدل على أن دورهم جاء بغير تخطيط ، فبدت شخصياته مسطحة أشبه بقوالب محشوة بأفكار المؤلف .

تحكم هذه النظرة المرأة وإن ظهرت متعلمة أو عاملة ففي رواية " الدم والتراب " إشارة إلى تطور المرأة في دخولها مجال العمل ، وهذا

---

(١) حسني فريز ، حب من الفيحاء ، مطبعه الشرق ومكتبتها ، عمان ، ١٩٧٢ ، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو في شخصية متيلد رئيسة الممرضات في المستشفى ،التي احتلت مركزاً رفيعاً ،تمكنت من خلاله منح عبدالله فرصة عمل بعد أن فصلته من عمله في المستشفى (١) ،ويبدو تقدم المرأة في شخصية راجية الفتاة المتحررة القادرة على التصرف المستقل ،التي رفضها المجتمع الممثل بأم عبد الله ،فقد رفضت اختيارها زوجة لابنها لهذا السبب(٢) .

أنطلق المؤلف من رؤية متخلفة للمرأة ، فقد جعل راجيـــة تهتم بعبد الله ،وتسعى لحبه وهو الذى يعمل مراسلاً (٣) ،فيظهرها تطاردة وتستميله بطريقة سخيفة ،سيطر فيها الخيال المجرد من المنطق على المؤلف حين جعلها تطلب من عبدالله رعاية طفلة ،لتعود معـه إلى البيت ويعلنا أمام الناس أنها زوجته (٤) . فهل من الممكن أن تقبل فتاة بـــالسكن مع رجل أمام الناس دون رابط شرعي بينهما ؟ إ . هذا مظهر من مظاهر إخفاق المؤلف في كتابة رواية فنية ، فروايتـه تنازعتها الرومانسية المتمثلة في علاقة عبدالله بسعاد ،والواقعية التسجيلية في تسجيل الأحداث التي مرت بها فلسطين منذ وعد بلفور وحتى معركـة الكرامة ،مما جعلها تبدو أشبه بالقفزات لا يوحد بين الأحداث شـــيء ، تمتلىء بالحشو والخطب والمواعظ والتأملات ،التي جعلت منها مقالة طويلة تفتقر للعناصرالفنية في البناء ،لهذا ظهرت شخصياته نمطية لم تسلم من التناقـض ، تتحرك كما يريد المؤلف لها ليلقي من خلالها بما يريد ،اعتمد في تقديمها على السرد .

---

(١) الدم والتراب ، ص٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٠٤ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٠٣ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتركز نظرة الرجل على أنوثة المرأة وجمالها ،فلا يتنبه إلا إلى نضجها الجنسي وهذا ما نجده في رواية فاروق وادى " طريق الى البحر" ، فالرواى لا يثيره وهو في المظاهرة الا رائحة أجساد الفتيات المشاركات (١) . ولذلك تكمن وظيفتها في خدمة الزوج وتوفير المتعة له وهذا ما نجده في رواية عبد الحميد الانشاصي " من أجل المال" فشهلة كانت مهانة من قبل زوجها ،الذى ضربها - بعد زواج أخيه من أختها - عقابا لها على عدم استطاعتها إيقاف الزيجة (٢) . وعلاقة المرأة بالزوج تأخذ شكل الوصاية عليها ،نتيجة النظرة الدونية لها ، هذا ما نجده في رواية " عود الثقاب" لعطية عبد الله عطية ،فعصام يسكت زوجته ولا يستمع إلى آرائها" ما تزالين امرأة تفكر بنصف عقلها " (٣) ،ويتخذ من الزواج مرة أخرى علاجا لها وحلاً لمشكلاته معها " إن المرأة لا تهزمها إلا المراه " (٤) ،ولكي يتمكن من توفير المتعة لنفسه ارتبط في علاقة عاطفية مع عبلة ،وفي هذا تبدو أنانية الرجل وتسلطه في إعطاء نفسه الحقوق التي لا يسمح للمرأة بممارستها ، فعصام يلهو مع الفتيات بينما لا يقبل مثل هذا لزوجته ،بل يطالبها بأن تتقبله كما هو دون اعتراض" هكذا أنا وعليها أن تقبل بي في ساعات صفائي وساعات غضبي " (٥) وفي ظل هذه النظرة لا تحصل المرأه على حريتها على الرغم من علمها وعلمها ،فهي لا تستطيع ممارسة حياتها بعيداً عن التقاليد فتراها ملاحقة بما يفرض عليها من حماية ، لهذا يسارع إلى تزويجها

---

(١) فاروق وادى ،طريق الى البحر،دار ابن رشد ،ط١ ،بيروت ، ١٩٨٠ ،ص ١١ .
(٢) عبد الحميد الأنشاصي ،من أجل المال ،منشورات رابطة الكتاب الاردنيين ، عمان ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٢ .
(٣) عطية عبد الله عطية ،عود ثقاب ،مطبعة التاج ،عمان ، ١٩٨٣ ،ص ٩٩ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٢١ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" خوفا على مصاحبتهن من القيل والقال " (١) ،لأنها إن لم تتزوج " لا بد أن تعاني من تعنت الاب أو تزمت الاقرباء " (٢) ،والنظرة المتخلفة تلاحق الفتاة حتى ممن يدعون الثقافة ، فهذا ما جد المتخرج من أكسفورد أحب شهد - في رواية " بوصلة" من أجل عباد الشمس" لليانة بدر - لكنه تركها لـ" أنها بنت مجربة لا تهاب أي جديد يقابلها " (٣) ،فهو يفترض في المرأة الجهل والبقاء بلا تجربه حتى يطمئن إلى أنها لم تكن على علاقه سابقه مع رجل ،وهذا ما تشير اليه المؤلفه حين قالت : ان المرأة لم تكن تعلّم فيما مضى " كي لا يكتبن الرسائل لأحبائهن " (٤) ،وإن حرمت المرأه من التعليم فإنها تغرق في الجهل وتقع في حبائل الزائفين وهذا ما تطرحه روايه " هل ترجعين " لجوليا صوالحة حين تحدثت عن والد نجوى الذى أخرجها من المدرسه " ليقيها عبث العابثين الأشرار " (٥) فوقعت فريسة لرجل أذاقها العذاب وحين فكرت بالتمرد تراجعت خوفاً من نظرة المجتمع الى المطلقه " ماذا سيقول الناس عني ؟ سيتهمونني بأنني فاجرة لم أعرف كيف أحتفظ بزوجي " (٦) .

---

(١) ليانه بدر ،بوصلة من أجل عباد الشمس ،دار ابن رشد ،ط١ ، بيروت ،١٩٧٩ ،ص ٨٣.
(٢) المصدر نفسه ،ص ٨٤ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٥٧ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٠٢ .
(٥) جوليا صوالحة ،هل ترجعين د . ن ،عمان ،١٩٧٩ ،ص ٦١ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انطلاقاً من هذه النظرة صورت المرأة المتحررة بصورة قاتمة تبدو في التركيز على مواقف السقوط والابتذال ،فمريم في" طريق الى البحر" ترتدي الملابس الفاضحة بغية استرعاء نظر الشباب إليها ،وتنحصر ثقافتها في قراءة قصص الحب (١) ،وحياتها ليست سوى لقاءات مع الرجل تستسلم فيها لقبلاته وعناقه (٢) ،هذه الصورة السلبية من الناحيتين الفنية والموضوعية جاءت مسطحة ، ولم تتحرر من التناقض فهو يصور مريم مشتركه بالمظاهرات (٣) ،وهذا يعني أن اهتماماتها لم تتحصر بما قاله بل تعدتها إلى الوعي القومي ،وتجاوزت الوعي إلى الفعل الإيجابي المتمثل باشتراكها بالمظاهرات . وانطلق عطية عبد الله عطية في" المنعطف" من النظرة السابقة حين صور منوّر امرأة تسعى لتحقيق طموحها على حساب كرامتها ، ويظهرها في أسوأ صورة ليثبت من خلالها أخطار حصول المرأة على الحرية ،لأنها ستفهم الحرية على أنها العلاقات الجنسية مع عدة رجال ،فمنوّر استغلت أنوثتها لتسيطر على أبي سامر الذي سيحقق طموحاتها " يجب أن تكون المرأة متمتعة بكامل حريتها مثلما يتمتع الرجل بكامل حريته " (٤) ،لكن المؤلف لم ينسجم في تصويره لشخصيتها ، فنراه يصورها وهي مضطرة لبيع جسدها نظير تحقيق طموحها الفني أو تحقيق ربح مادي ـ كعلاقتها مع الرجل الأوروبي (٥) ـ ، وهذا يتعارض مع حبها للحرية فقد كانت عبدة لنفسها فلم تستطع التصرف بجسدها بحرية ،بل كان مسخراً لخدمة طموحها . لقد صور المرأة هكذا لأنه لا يرى فيها إلا مخلوقاً غبياً لا يفكر إلا بالمكياج والملابس "يالجهل المرأة : تفكيرها لا يشغلها غير جمالها وجاذبية مظهرها (٦) .

---

(١) طريق الى البحر ،ص ١٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١.
(٤) عطية عبد الله عطية ،المنعطف ،مطبعة التاج ،عمان ،١٩٨٠ ،ص ٥٤.
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٠٥.
(٦) المصدر نفسه ،ص ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعثر للمرأة التي تعيش في ظل هذه النظرة على وعي لحقوقها ، وهذا ما طرحته " المنعطف " فزوجة عصام على قدر عال من الوعي نتيجة دراستها الجامعية ،لكنها لم تستطع العمل بسبب الزواج الذى أعاقها عن تحقيق طموحها على الرغم من محاولتها إقناع زوجها بأن يسمح لها بممارسة العمل ، ونراها تحمل مفهوماً واعياً للعمل ،فهي تريد بذل الطاقة والجهد حتى تكون عضواً فاعلاً في مجتمعها (١) ،ويظهر وعيها في آرائها فتبدو بعيدة النظر حين تتنبأ بما سيحصل لو عمل عصام عند فواز (٢) وحين ساءت معاملته لها نجدها تتمرد عليه وتتركه ،وهذا يعود إلى إحساسها بأنها تستطيع تحقيق استقلال مالي لنفسها " أنا في بيت أبي مع أبني ، وسأعمل بشهادتي الجامعية التي حرمتني منها إذا ما عدلت عن موقفك وغيرت من سلوكك فستجدني بانتظارك " (٣) . هذا التطور في المضمون لا يقابله تطور في الفن ،ذلك أن المؤلف لا يحرز تقدما فنياً عن الروايات التي تناولها البحث سابقاً إلا في التقليل من الجمل الإنشائية والخطب الطويلة ،لكنه ما زال يعتمد السرد التقريري واستخدام بطل يسيطر على الحدث والشخصيات التي لا نتعرف عليها إلا من خلاله ،ولا تتحرك الأحداث إلا حوله ،لذا جمدت الشخصيات وتسطحت واتصفت البناء بالضعف لجمودها ،فهي لا تنمو بنمو الحدث ،لأنها رسمت ليلقي المؤلف من خلالها ،فلم يتخط الذات للبحث عن مشكلات المجتمع على الرغم من أنه كان بإمكانه استغلال عائلة عبد السلام مثلا ،ليظهر الأزمات الناتجة عن التفاوت الطبقي ومشكلات العامل في الدوائر الخاصة ،وهذا ينطبق على رواية " من أجل المال ".

---

(١) المنعطف ، ص١٢ .
(٢) المصدر نفسه ،ص٥٨ .
(٣) المصدر نفسه ،ص١٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : النظرة المحافظة التي تسمو عن النظرة السابقة في سماحها للمرأة بممارسة بعض الحقوق ،لكنها تضع الضوابط وتلتزم بالتقاليد في تعاملها مع المرأة ،التي تبقى في مكانة أقل من الرجل ضمن هذه الرؤية .

سجلت رواية " حب من الفيحاء " تطوراً في نظرة الرجل إلى المرأة يتمثل في رائد ،الذى عكس طريقة تنشئته المتزمتة ،التي تعزل الفتاة عن الرجل ،فكبر وتعلم وبقي يضطرب حين يجالس فتاه (١) ذلك أن المرأة لا تعني إلا جنساً يشتهي ويخاف منه ،وهذا نتيجة رفض المجتمع لأى شكل من العلاقة بين الجنسين " الشبان أكثر جرأة من الفتيات ،ولذلك فإن الفتاة تريد الطريق المعبد ، وهو أن تتزوج لتجد الحب " (٢) ،وهذا يعلل ظاهرة الزواج دون معرفة سابقة ،لعدم استطاعة الفتاة الاختيار ،لأنها لو فعلت ذلك لساءت سمعتها ،وقضي عليها اجتماعيا ، أما اختيار رائد لحياء منذ اللقاء الأول فهذا يعود لنشأته التي تحرمه من اكتساب الخبرة .

لكن رائد سجل تطوراً في رؤيته للمرأة هذه الرؤية التي اندمجت فيها الرغبة بالأنثى مع نظرة جديدة تمتاز بالوعي والنضج ،فهو يرفض زكية ابنة عمه لأنه يراها " مغفلة لا تجيد إلا الطهو والغسيل وبعض شغل الأبرة وقراءة الجرائد والمجلات (٣) ،ولا تستطيع التصرف باستقلال عن أمها .

---

(١) حب من الفيحاء ،ص ١٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا معيار جديد نفسه في تقييم المرأة من قبل الشباب المثقف ، الذى أصاب النور عقله ، وهذا انعكس في معاملته لزوجته ، فقد أحسن إليها ، ووفّر لها ما يسعدها " فإنك لست غريبة بل سيدة البيت الآمرة الناهية(١) ونراه يحرص على مشاعرها فحين أسقطت حملها " ملأ البيت بالهدايا ، كأنما المولود ذكر كما قالوا" (٢) ، وهو لا يهتم إذا ما كانت زوجته ولوداً " وسواء أنجبنا أم لم ننجب ، فإن ذلك لا يغيّر من تقديرى وحبي لها "(٣) فأين هذا من ذلك الزوج الذى ينقم على زوجته لأنها توقفت عن الإنجاب ، فكان يسيء معاملتها ويضربها (٤) ، لكنها أبدت تمرداً فعليا في طلبها للطلاق ، لأنها لا تريد أن تكون " آلة تفريخ " ، وهذا ما دفعها لاتخاذ عشيق لها . لكن حسني فريزي" مغامرات تائهة " لم يقف عند هذا النموذج للمرأة ، ولعل هذا عائد لندرة وجوده في المجتمع .

ظهرت هذه النظرة في روايه " الصديقان " و " اللوحة " ليوسف العزو ، ففي الرواية الأولى يضعنا المؤلف أمام مقارنة بين فتاة المدينة وفتاة الريف ، فنجد الأولى من الطبقة الوسطى تتمتع بحرية تجعل منها شخصية أكثر قوة وتطورا مثله بسعاد التي طلب والدها من فوزى أن يعلمها الرياضيات(٥) إشارة إلى أن الفتاة لا تفرض عليها العزلة عن الرجال فيسمح لها بالجلوس مع فوزى لوحدهما ووالداها خارج البيت (٦) ، وهذا ما يجعلها جريئة " حسين

---

(١) حب من الفيحاء ، ص ٨٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٧ .
(٤) مغامرات تائهة ، ص ٨١ ، ٨٤ .
(٥) الصديقان ، ص ٤٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تريد أن تقول شيئا فإنها لا تجد على لسانها وتقول شيئا آخر[١]، وهي تبادر إلى مصارحة فوزى بحبها • لكن المؤلف بالغ في تصوير تحرر الفتاة ، فليس من المعقول أن يسمح أهل سعاد لها بالانفراد مع فوزى في بيتهم ، ثم يتركوهما ويخرجوا • وقد جاءت الشخصية مسطحة لأنه أرادها نموذجاً يمثل فتيات المدينة •

أما المرأة في رواية " اللوحة " فتبدو أكثر تطوراً ،تمثلها سحر التي قدمت من المدينة مع والدها إلى القرية ، ويبدو تحررها في مظاهر: أولا : اللباس ، فهي ترتدى ملابس عادية لا تستر جسدها كله شأن ملابس المرأة في الريف [٢] •

ثانيا : علاقتها بالرجل تبدو متفتحة متجاوزة عقدة الجنس ، فهي تتحدث إلى الناس دون حرج [٣] ، تستمتع بحريتها برضى والدها الذى يمنحها حرية اختيار الزوج ، فنراها تناقش والدها حول فريد ، الذى صارحت والدها بحبها له ورغبتها بالزواج منه [٤]، وكانت نتيجة هذه الثقة شخصية واعية مثقفة تحرص على القراءة ، وتعرف كيف تحافظ على نفسها من الوقوع بالزلل •

قدمت الرواية نموذجاً آخر للمرأة في ظل هذه النظرة ممثلة بنعيمة صاحبة الفندق ، التي تهتم بالفن ، " فأدرك أن محدثته هي فعلا صاحبة عقل مستنير [٥] ، ويظهر من خلالها أن عمل المرأة في بعض المجالات ما زال مستهجناً فهي المرأة الوحيدة التي تعمل بإدارة الفنادق ، ولذا علق عليها فريد " أى سلاح تتسلح به هذه المرأة لمواجهة المجتمع [٦] •

---

(١) الصديقان ، ص ٧٢ •
(٢)، (٣) اللوحة ، ص ١٩ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١ ، ٨٢ ، ١٣٩ •
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٩ •
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦١ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : النظرة المتقدمة وهذه أقل شيوعا من السابقتين ،لا نجدها إلا في إشارتين سريعتين في روايتي " الطريق الى بلحارث " و" ساعات الصفر " . في الاولى نجد تطوراً في نظرة الرجل الى المرأة ممثلا بعماد ،الذى يرى حبيبته إنسانا مكافئا له ،فلها حق اختيار الرجل بحرية وممارسة حياتها دون ضغوط (١) ،وهذا انعكس على علاقته بها ،فقد كان لها أثر بالغ في نفسيته وتغييرها نحو الافضل (٢) ، وهو يحبها لأنها جريئة لا تجد حرجاً في التعبير عن حبها له (٣) ،لقناعتها بأن هذا من حقها ، ولثقافتها ،فهي قارئة تأخذ الثقافة معياراً لتقييم الآخرين فقد ازداد حبها لعماد عندما عرفت نوع الكتب التي كان يقرأها (٤) . تكشف الرواية أن عماداً وناديا حالتان فرديتان فهما في مجتمع لا يزال يرفض علاقة الرجل بالمرأة ، لذلك تنمو نمواً سرياً ،حيث تتحدث إليه وتخرج معه إلى الأماكن المختلفة دون علم أحد (٥) ،فتطور النظرة إلى المرأة يكمن في عماد الذى لا يريد المرأة لأنها أنثى ،بل لشخصيتها وتكوينها الاجتماعي والفكرى لذلك انتظرها عامين كاملين (٦) .

نجد في "ساعات الصفر" طرحاً جديداً مشابهاً لما سبق من خلال منيب زوج هنادى ،الذى تحرر من قيود النظرة البدائية للمرأة ،فيرى أن من حقها بناء علاقات سابقة قبل الزواج ،بدليل معرفته عن علاقة هنادى بعيسى دون أن يغضب ،بل ساعدها للخلاص من الحالة النفسية السيئة التي عانتها بعد رحيلها من عمان ،وهو يتقبل زيارة أصدقائها لها في البيت (٧) . قدم الموقف منيبا كنموذج لفئة نادرة من الرجال .

---

(١) الطريق الى بلحارث ،ص ٧٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨.
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٢.
(٤) المصدر نفسه ،ص ٦٣.
(٥) المصدر نفسه ،ص ٥٨.
(٦) المصدر نفسه ،ص ١٩.
(٧) احمد عودة ،ساعات الصفر، دار الوحدة ورابطة الكتاب الاردنيين ،ط١ ،عمان ، ١٩٨٣ ،ص ١٦٣ ، ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن المرأة لا تكون دائما على قدر مسؤولية التحرر ،فهي إن تحررت بعلمها وعملها فهذا لا يعني تحررها نفسيا ، حيث يرافقهـــا الإحساس بالنقص والحاجة للرجل كمحور لحياتها ،أو تسي" فهـــم التحرر فتتصرف بطريقة لا مسؤولة . مثل هذه المرأه نجدها فـــي رواية "ساعات الصفر " لأحمد عوده تمثلها هنادى ، الـــتي تعمل بالصحافة ،وتدعو في كتاباتها إلى تحرر المرأة ،لكـــن سلوكها يعكس فهماً زائفاً للحرية ،فهي تدخن ،وتمارس الجنس مع عيسى ، وترفض نظام الزواج ، وترى أن " إعلانها الحب يثبت تماما مع حقها كإمرأة ،ومع تلك الحقوق النسائية التي تدافع عنها " (١) ، ونجدها مدفوعة بإحساسها بالنقص تنسى ما تنادى به حين تعشق عيسى ،فتتخلى عن شخصيتها وطموحاتها أمامه ،وتصبح دميـــة في يده يحركها كما يشاء ، ويتخذ منها بوقاً لما يريد قوله (٢) ، ونراها تنسى آراءها بوجوب التحرر من الحاجة للرجل ، فتتعلـــق بعيسى الذى يخلو من أبسط مبادىء الأخلاق فيقوم بفضحها ويتحدث عن تفاصيل علاقته بها (٣) ،وهذا يدل على عجزها وقصورها عـــن معرفه الناس وسذاجتها في الحكم عليهم .

---

(١) ، (٢) ساعات الصفر ،ص ١٣١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ ـ صورة المرأة الأرستقراطية

تنوعت رؤى المؤلفين في النظرة إلى المرأة الارستقراطية ،مما نتج عنه تنوع الصورة ، فتارة جاءت مشرقة كما في رواية " زهر الزيزفون " لحسني فريزو" زمن التيه " لصلاح أحمد سعيد ،وتارة جاءت قاتمة كما في " لقاء في الخريف " ،ومن المؤلفين من لم يستطع اتخاذ موقف كعطية عبد الله عطية في " وجوه لا تراها الشمس " و " المنعطف ".

تعثر على صورة مشرقة للمرأة الأرستقراطية في رواية "زهر الزيزفون" لحسني فريز ،تمثلها ليلى المتعلمة العاملة ،التي استفادت من علمها في صقل شخصيتها ،وهي الفتاة المترفة (١) . ظهر تطورها في جوانب مختلفة : الأول:علاقتها بالرجل اتخذت شكلاً جديداً بعيداً عن عقدة الأنثى فكان لديها الجرأة للتعامل معه بعيداً عن عقد المجتمع وتقاليده ،وعدم الاكتراث بكلام الناس الذين كانوا يتناولونها وعيداً بالسوء (٢) . وهذا بالمقابل كشف تطوراً في نظرة الرجل إلى المرأة ،فعميد يتقبل ليلى بكل ما فيها من جدّة وجرأة واستقلالية ،فتعامل معها إنسان لإنسان فتراه يغبط جرأتها " ارتفعت عن النفاق والرياء ، وأسلمت نفسها للصراحة من أول الأمر قالت من غير مقدمات : إنها تريد أن تراك"(٣) ،ويؤمن بوعيها ونضجها ،فهي مستقلة من غير تبذل أو عبث وهو لا يجرؤ على تقبيلها " فذلك مردّه الخوف من تلك التي تتضوع حلاوة وطيبا ،وتتزمت إلى أبعد الحدود"(٤) ،ولا تعتمد على الرجل في وجودها ،فقد تركت خطيبها ،لأنه " أرادها أن تترك العمل وتلتزم بيتها (٥) ،فتردها عليه عائد إلى وعيها ،فهي لا تريد أن تتحوصل على

---

(١) حسني فريز ،زهر الزيزفون ،مطبعة الشرق ومكتبتها ،عمان ،١٩٧٢ ،ص١٣٥ ،١٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٣١ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٦٧ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذاتها لتقبع في البيت ، وهذا يعطينا إشارة الى أن المرأة في هذه الطبقة أجراً على التمرد من غيرها ،وهذا يعود لاستقلالها اقتصاديا ،الأمر الذى يعني عدم تبعيتها للرجل ،وقد أشارت إلى هذا رواية " الأشقياء " حين وصلت أم أديل درجة اليأس من تغيير زوجها العابث ،فتركت المنزل تعبيراً عن رفضها لما يجرى ،فاكتفاؤها مادياً مكّنها من الاستغناء عن زوجها الفاسد بالتمرد عليه ،ومن اتخاذ القرار لحماية نفسها (١) .

الثاني : مفهوم الزواج عند ليلى ،الذى يعني عندها المشاركة المطلقة بين شخصين ،لكنها مترددة في الإقدام عليه ،لأنه مسؤولية عظيمة(٢) ،فهي لا تسعى له كونها لا تعترف بأن سهمة المرأة في الحياة هي الزوجية والأمومة ، وحين تريد أن تتزوج فإنها تختار على أساس منطقي لا على أساس عاطفي ،ومظاهر زائفة ،فقد رفضت خاطباً غنياً ،لأنها ترى أن المرأة تريد القوة:قوة الخلق والمعرفة.(٣) وفي الرواية تسجيل لتغير الزواج في المجتمع بين الماضي والحاضر ،ففي الماضي كانت الفتاة أشبه بالبضاعة ،تأكل النساء وتراها ،فم تعطى رأيها للرجل . أما في الحاضر فإن ابن عم عميد حين أراد خطبة ليلى توجه إليها ،ليأخذ رأيها أولا (٤) . لكن هذا لا يعني اختفاء الطريقة القديمة ،فما زالت كثيرا من فئات المجتمع تلتزم بها ،وهذا ما أشارت إليه الرواية حين رفض عم ليلى إعطاءها حقها في الإرث إلا بعد أن تتزوج ابنه (٥) .

---

(١) الأشقياء ،ص ١٤٥- ١٤٦ .
(٢) زهر الزيزفون ،ص ١٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٦٨ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٩٦ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثالث : اهتماماتها : اختلفت عن النساء العاديات ،فنراها تهتم بالكتابة الأدبية ،وتكتب آراءها ،وتسجلها في الرجل والمرأة والبجل " عقل راجح ،مؤمن بالحياة ،بالتقدم،بالإنسانية في الإنسان ،وما لقيته وما تلقاه من العناء لم يحن قامتها أو هامتها ،إنها أبداً طافية فوق الأحداث " (١) ،ومناقشاتها مع عميد في الادب والكتابة تثبت ذلك . (٢)

قدم المؤلف ليلى نموذجاً لامرأة يتمنى وجودها ،فهذا النوع من النساء نادر وجوده ،وقد قدمها مرة واحدة خلال الصفحات الأولى ، فهي نموذج في رواية أشبه بحكاية اعتمدت على السرد والتقرير ،ولم تكترث بالغوص في الجوانب النفسية لشخصيتها ،لأنّ هدف المؤلف تقديم النمط السويّ للمرأة ،التي تمتزج بالمجتمع ،وتشارك فيه بفعالية.

في رواية "زمن التيه " صورة مشابهة لليلى تمثلها نادية الطالبة الجامعية ،التي كانت لا ترى إلاّ ضمن مجموعة من زملائها (٣) ،ولم يكن سيرها معهم تعبيراً عن ابتذال ،بل عن وعي وقناعة مع الرجل ،وهذا ما جعل أبيها باءً ، وهو الذى لا ينظر الى المرأة كأنثى وإنما إلى " ماتمتلكة المرأة من قدرات " (٤) ،

---

(١) زهر الزيزفون ،ص ١٩١.
(٢) المصدر نفسه ،ص١٣٦.
(٣) صلاح أحمد سعيد ،زمن التيه ،دار ابن رشد للنشر والتوزيع ،ط١ ،عمان ، ١٩٨٤ ، ص ٥١.
(٤) المصدر نفسه ، ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي بالمقابل لم تختره اختياراً يفتقد الوعي ، وهذا ما كان يقلق إيهاباً الذى كان يخشى أن يكون مغامرة جديدة لها (١) ، فقد كانت جريئة صريحة قوية تستطيع وضع حد لكل شيء ، وهذا ما دفع زملاءها إلى احترامها " أن نادية تبدو الإنسانة الواثقة من تصرفاتها وسلوكها ، وهي بالتالي تستطيع التحكم بمسار الأشياء واتجاهاتها ، وهذه الثقة تبعث بي الشعور بالقوة التي تتمتع بها ، وهذا يمنحها القدرة على تبسيط الأشياء "(٢) . ونجدها تتصرف بثقة ووعي نتيجة إعطائها الحرية من قبل أهلها ، وهذا صنع منها شخصية ناضجة لا تخدعها المظاهر " بالقدر الذى يعنيني به الشخص نفسه " (٣) ، ولأن حبيبها نتاج بيئة تحرم العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتنظر إليها على أنها انحراف نراه يجبن عن التصريح بحبه بينما نراها جريئة تبادر إلى مصارحته (٤) .

أعطت الرواية صورة متطورة للمرأة ليس على صعيد المضمون فحسب ، بل على صعيد الفن ، فقد اتبع المؤلف في تقديمها وسائل فنية كالتقرير والسرد ، وقدمها من خلال المواقف والأحداث التي مرت بها أثناء علاقتها مع إيهاب وزملائها (٥) ، وقدمها من خلال حوار الآخرين عنها وموقفهم منها (٦) .

---

(١) زمن التيه ، ص ٦٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٧٤، ٧٦، ١١٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٤، ٦٩، ٧٩، ٨١، ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجد في الرواية نفسها شخصية أم هيثم التي اتسمت بآراء ناضجه تعكس ثقافتها واطلاعها ، فهي تريد من أولادها أن ينشأوا نشأة استقلالية ،ليستطيعوا الاعتماد على أنفسهم ،وتعطي لهم حرية اتخاذ قرارات حياتهم وطريقة سلوكهم ،فهي تعطي ابنتها الحرية الكاملة في التصرف مع أصدقاء ابنها (١) ،وهذه سمة الطبقة الارستقراطية التي لا ترى في الاختلاط إلا " أمراً مسلماً به وعنواناً بارزاً للرقي "(٢) ، وغرض الموظف من تقديم شخصية أم هيثم - ذات الثقافة العالية ،فهي تعرف الفرنسية والانجليزية ،فتقرأ الشعر وتطلع على الادب - إجراء مقارنة بينها وبين أم اسامة الخاضعة بزوجها ،وهي تحاول دائما تطويع أولادها ليفعلوا ما يريده الاب (٣) . قدمها الموظف نموذجين مسطحين بطريقة السرد دون تعمق في دراستهما .

نلتقي في رواية " عود ثقاب " لعطية عبد الله عطية ، مع عبلة ليبرز من خلالها وعي المرأة في الطبقة الأرستقراطية ،فهي جريئه يبدو هذا في علاقتها مع الرجل التي تتسم في التفتح وتجرى برضى الأهل ومعرفتهم (٤) .

---

(١) زمن التيه ،ص ٦ ، ١٠٠ .
(٢) ساعات الصفر ،ص ٢١٩ .
(٣) زمن التيه ،ص ٣٧ .
(٤) عود ثقاب ،ص ٥٠ ، ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو وعيها في مطالبتها بحقها في الإرث " أعلنت أنها لن تتنازل لأحد عن أي جزء من حصتها " (١) ، وفي هذا يبدو الفرق بينها وبين أم عربي في " أنت منذ اليوم " التي اضطرت للسكوت - بعد أن رفعت صوتها بالمطالبة بالإرث - بضغط من والدها . فالمرأة في الطبقة الأرستقراطية يعترف الرجل بحقوقها المالية حيث أصبحت تدير أموالها بنفسها ، فهي لم تعد عالة على الرجل ، وما عادت تفكر بالزواج لتحرر نفسها . أما من الناحيه الفنية فقد جاءت مسطحة ونموذجاً يمثل فئة .

أما الرؤية القاتمة فنجدها في " لقاء في الخريف " ، التي تحتمل المرأة الأرستقراطية أهم شخصياتها وهما : نهاد وسلوى . الأولى بطلة الرواية ، امرأة جميلة تجاوزت الخامسه والثلاثين ، أرملة تدير شركة تضم عدداً كبيراً من الموظفين الرجال " كل هذا الحشد من الموظفين كان يرتجف أمام سطوتها " (٢) يحاول الرجال كسب ودّها لكنها ترفضهم ، ولم تختر رجلا من هؤلاء ، لأنها " تريد رجلا تركع له يشعرها بأنوثتها " (٣). لكن قوه الشخصية التي تتمتع بها تبدو زائفة ، وتظهر في غاية التهافت أمام ظافر - الموظف عندها الذى يصغرها بأعوام طويلة - حين تهتم برأيه فيما إذا كانت جميلة أم لا (٤).

---

(١) زمن التيه ، ص ١٣١.
(٢) لقاء في الخريف ، ص ١٠.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر فيها الازدواجيه ،فهي تبدو عفيفه نقيه :" . . . وبالرغم من جمالها الباهر ،ومركزها الاجتماعي المرموق إلا أنها لم تتهتك وبقيت سمعتها كالمسك (١) ،لكنها في جوهرها تظهر امرأه لا يهمها إلا الرجل ، لذلك تحاول إيقاع ظافر في شباكها وتدعوه إلى بيتها ،لتبرز أمام القارئ امرأة مستهترة بكل قيمة خلقية ودينية واجتماعية ،فهي تشرب الخمر وتدعو ظافراً إلى ممارسة الجنس معها ،فكانت تستقبله يوماً في الأسبوع حتى " أصبح يوم الخميس لها كإبرة المورفين التي لا يستطيع المدمن الاستغناء عنها " (٢) .

إن الموقف برويته المتخلفه أراد أن يظهر أن المرأه إذا استقلت وتحررت فهذا يعني ابتذالها وانحطاطها ،لذلك نجده يختار المواقف الشاذة ويضعها فيها ،ليعطي تحررها صفة السقوط ،فهو بعد أن بين أنها ما زالت تعيش على ذكرى حبيبها الأول ،وفية له (٣) ،ويظهرها صاحبة شخصية قويه " إنها امرأة يجب أن تحسد في عالم الرجال ،بل وتتفوق عليهم " هذا حديثها مع نفسها (٤) . بعد هذا يبرزها ساقطة انطلاقا من رأي بثه على لسان إحدى شخصياته " وقد أصبحت النساء في عصرنا هذا رجالا يأخذن ما يردن من الرجل رغم أنفه" (٥) ، ومباركتها لحب ظافر ، وسعيها لخطبة الفتاة له دليل ثالث ،فلو أنها كما صورها لما تنازلت عن ظافر بهذه السهولة ،بل لسعت إلى تحطيمه وهو الموظف عندها ،ثم لماذا تلجأ إلى ظافر وهي التي تعزف عن الزواج ،لأنها تحس أن الرجال يريدون ثروتها .

---

(١) لقاء في الخريف ،ص ٧٦ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١١١ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١١ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٢ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما سلوى فهي صورة قريبة من نهاد تظهر مستهترة ،متهافته تشمخ بطبقيتها " كان يطيب لي أن أتسلى أنا والزملاء بمداعبته " (١) فقصد ظافراً ،الذى صفعته في الجامعة،لرهان بينها وبين الطلبـــة. وهي " تعتبر الرجل سلوتها ،تغيره تماما كما تفعل بفساتينها رجل للصباح ، وآخر للمساء " (٢) . لذا تذهب إلى بيروت ،لتلهو في ملاهيها ،وتشرب الخمر ،وتقضي وقتها مع الرجال (٣) .

صورة فاقعة قدمها لتوكيد الصورة الأولى ،ليعزز فكرته من أن تحررها وبال عليها ،فهي إذا تحررت فهذا يعني السقوط ،والصورة التي قدمها تحوى مبالغة كبيرة ليس لها وجود في المجتمع وإنما اخترعها ، ليخدم فكرته.

تعرض الرواية لمايسة التي أحبها ظافر ،تمارس حريتها دون قيود ، فأخوها طلب من ظافر أن يساعدها في دروسها (٤) ،وحين اختارت ظافراً زوجا ،وافق الجميع على رغبتها ،فالفتاة في هذه الطبقة متحررة جريئة قويـــة الشخصية ،تبادر الى التعبير عن مشاعرها للرجل الذى اختارته (٥) ،وهذا لا يمكن وجوده في أى طبقة أو فئة أخرى في المجتمع

---

(١) لقاء في الخريف ،ص ٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٨٤.
(٣) المصدر نفسه ،ص ١١٦ - ١١٧ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٤٥.
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تقدم الرواية شخصية ناضجة للمرأة ،فجاءت نمطية تمثل فساد المرأة المتحرره ،انطلاقا من نظرة جزئية محافظة لا تتقبل انطلاق المرأة في الحياة بعيداً عن قيود التقاليد ،فجعل أى رجل أفضل من المرأة مهما كان مستواها ،ولذا فهي دائمة التسعى إليه ،مما نتج عنه اقتصار الرواية على جانب واحد ،فأزمة المرأة اقتصرت على الحرمان العاطفي والجنس ، وأصبح البحث عن رجل أى رجل ،وهذا سبب عزلتها عن المجتمع لا تشعر بمعاناة الناس ،ولا يسمو فكرها إلى أكثر من إشباع غريزتها ،فالجنس همّها تنتقل من رجل الى آخر كما صور سلوى (١) ،وقد انعكس هذا على صورتها فنياً فبدت جامدة ،قدمها بطريقة تقريرية ،والأحداث على قلتها مفروضة على الشخصية ،التي أراد المؤلف منها تحقيق غرض معين ،لذلك اختار الأحداث التي تثبت فكرته ،مما جعل الشخصيات تتحرك وفقاً لإرادته لا وفق ما تقتضيه طبيعتها ،ولم يحسن توظيف الحوار ،فجاء زيادة لا قيمة له ،فهو بعد أن بين أن أهل مايسه وافقوا على خطبة ظافر لها نراه يأتي بحوار بينهما حول الموضوع ذاته (٢) ،وهذا مظهر من مظاهر الحشو الذى ملأ الرواية ،كذكر التفصيلات عن اللقاءات منذ التحية إلى كلمة الوداع (٣) ،مما جعل الرواية تأخذ حيزاً لا يتناسب مع أحداثها ،وجاء امتدادها على حساب التعمق في تحليل الشخصيات ،التي اقتصر على تقديم ظاهرها دون باطنها ،مما جعلها نمطية ذات تصرفات غير مسوغة ،اعتمد في بث الحركة فيها على المصادفة القدرية ، فمصادفة أن يكون ظافر شبيهاً بحبيبها الأول ،وأن يكون زميلا لسلوى في الجامعة ، ومصادفة أن تكون سلوى ابنة المخدومين الذين تشتغل عندهم أم ظافر ،وهذا جعل الروايه تهدو مجموعه من الأحداث الغريبة لم توجد إلا بفعل الصدفة .

---

(١) لقاء في الخريف ،ص ١٢٤ ، ١١٨ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٢٩ - ١٤٠ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٩١ - ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما المؤلف الذى لم يستطع اتخاذ موقف من المرأة الأرستقراطية فهو عطية عبد الله عطية في " وجوه لا تراها الشمس " و "المنعطف" .في الأولى تتمثل في حنان التي تعرف عليها صابر في حفل ،وأول ما استرعى انتباهه فيها أمران : جمالها وشخصيتها ،فقد وصف حديثها " بشيء من الحكمة ينم عن قوة شخصيتها ووعي إدراكها " (١) ،أما هي فأعجبت بوسامته فأعجابها قائم على مظهر لا قيمة له ،ونظرا للتفاوت الطبقي الذى يفصلها عنه لم تستطع في بداية علاقتها به تحديد نوع المشاعر التي تحتفظ بها له ، فحاولت أن تتصدق عليه (٢) ،وهي جريئة تبادر إلى زيارته وتجلس معه ، ويستمر حبها له عشر سنوات دون حدوث مصارحة في جوهر علاقتهما .

لقد أخفق المؤلف في رسم هذه الشخصية ،نتيجة تخبطه بين النظرة المتحررة والنظرة المحافظة ،فقد حاول إظهارها فتاة قوية متحررة إلا أنه فشل في إثبات هذا ،لأن رؤيته المحافظة شدته إليها ،فوقع بالتناقض في رسم شخصيتها ،فهي تلاحقه وتبدى اهتمامها به لكننا نراها تمكث عشر سنوات دون أن تصارحه بحبها (٣) ،وهذا لا يتناسب مع شخصية جريئة ،وحين تقرر الخروج من حياته " من أجل أن يعود إلى بيته وزوجته " (٤) ،لا نجد تسويغا لهذا القرار ، فهي تعرف أنه كان متزوجا فلماذا أخذت قرارها بعد سنوات لتتزوج رجلا لا تعرفه ؟! ،إن هذا دليل على سلبيتها وعجزها عن مواجهة مشكلاتها .

---

(١) عطيه عبد الله عطيه ،وجوه لا تراها الشمس ،مطبعة الاتحاد ،عمان ، ١٩٧٣ ،ص ٣٩ .
(٢) وجوه لا تراها الشمس ،ص ٤٥ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١١٢ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت شخصية حمام مجردة من الإقناع في تصرفاتها وكلامها ، فجاء بكلام لا يتناسب مع عمرها " بالصبر بالعمل بالثقة بالاعتداد بالنفس ستظهر هذه الظروف ،وستجتازها وستحل جميع المشاكل المعقده " (١) ، ثم إنه من غير المعقول لفتاه تفتقد الجرأة لتصارح رجلا أحبته أن يكون لها الجرأه لتتحدث معه في الجنس (٢) ،ولم يعن المؤلف بكشف الشخصيه في أبعادها المختلفه فلجأ إلى التقرير والسرد ،مما نتج عنه تسطح الشخصية تقول ما يريده المؤلف ولا تنمو بنمو الحدث ،معزولة عن المجتمع فردية لا تعني الا بهمومها الذاتيه .

تشير الرواية إلى الزواج النفعي في المجتمع ،فالأم حين بحثت عن زوجه لابنها اختارت ابنة " أحد كبار التجار في العاصمه من أصدقاء صابر ومن هم على علاقة تجارية به "(٣) ، وحين يتزوج يسي معاملتها نجدها أقدر على التمرد من نساء الطبقات الأخرى (٤) ،وهذا ما أشارت اليه "مغامرات تائبة " إشارة عابرة حين تحدثت عن المرأة التي تحاول إغراء نبيل " فهي بحاجه إلى الانتقام من زوجها الذي لايلتفت إليها (٥) ، وتشير الرواية الى انشغال نساء الطبقة الغنية بالظاهر الزائفة والبحث عما يشهرها " فإنها لا تعمل الا ليقال إنها امرأة متمدنه راقية وأنها اجتماعية " (٦) .

---

(١) وجوه لا تراها الشمس ، ص
(٢) المصدر نفسه ،ص ٨٧ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٧٢ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٤٠ .
(٥) مغامرات تائبه ،ص ٤٣ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما رواية المنعطف " فقد وقع المؤلف في التناقض حين رسم شخصية المرأة الارستقراطية ممثلة في سمر ،قدمها فتاة متعلمة منحت الثقة من قبل أسرتها (١) ،ويبدو فهمها الزائف للحرية في حرصها على التدخين والحديث عن الجنس والحب ،والاهتمام بلباسها وجسدها ، والارتباط بعلاقات غير مشروعة مع الرجل قناعة منها بأنها " فتاة عصرية والمرأة في عصرنا تعرف كيف تعامل الرجل بالمثل ،فهي قوية مثله والفارق بسيط ،ونحن نطالب بالمساواة مع الرجل " (٢) ،لكن المؤلف لم يبق منسجماً مع هذه الرؤية ، مما نتج عنه صورة متناقضة ، فقد جعلها توافق على أن المرأة متعة للرجل ، وهذا منطق فتاة ينقصها الوعي . وفي موقف آخر نراها قوية متماسكة حين ترفض ممارسة الجنس مع وليد . ثم يظهرها المؤلف تحاول استغلال أنوثتها للسيطرة على كمال (٣) ، وهذا التناقض جعل الشخصية غير مقنعة ، نتيجة عدم قدرته على اتخاذ موقف إزاء تحرر المرأة ،فنراه تارة معه وأخرى ضده ، مما أفقد الشخصية هويتها ،وهذا ما وقع به في تسجيله لنظرة أبي سامر إلى زوجته ،فنراه يحبها ويتمسك بها " وإنك دعامتي في كل شيء أنت أصل نجاحي " (٤) ،لذلك يلجأ إليها في أموره ويتقبل النقاش معها ،لكن المؤلف يفشل في الإبقاء على الانسجام في الشخصية حين يبرز احتقار أبي سامر لها " يا لغباء النساء ،لا يفكرن الا بأقلام الطلاء وتسريحات الشعر والأزياء الباريسية (٥) .

---

(١) عطية عبد الله عطية ،المنعطف ،مطبعة الاتحاد ،عمان ،١٩٧٣ ،ص٢٨.
(٢) المصدر نفسه ،ص ٧٤.
(٣) المصدر نفسه ،ص ١١٤.
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٣.
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣ - صورة المرأة الفلسطينية

اختلف الموّلفون في إبراز موقف المرأة الفلسطينية من قضية وطنها ، فظهرت سلبية في " الدم والتراب " لعطية عبد الله عطية ، وفي رواية "الطريق إلى الجامعة " لمحمد علي أبي حمدة . وظهرت إيجابية في " الآم نازحة " لأحمد عويدى العبادى ، و " الرحيل " لمفيد نحلة .

نلتقي بالمرأة الفلسطينية وقد ملأها العجز في رواية " الدم والتراب " ، إذ بدت سلبية منكفئة على نفسها ، مشغولة بمشكلاتها الذاتية ، لهذا وقفت موقف إحباط تجاه تفكير زوجها بالقضية . لعل هذه السلبية ناتجة عن النظرة الدونية للمرأة ، من حيث أنها كائن ناقص العقل ، فهي تؤمن بالخرافة ، يظهر هذا في خشيتها على زوجها من القتل ، لأنها حلمت بديك مذبوح ، ويدعم الموّلف الخرافة فيجعل أبا محمود يقتل (١) . هذا المستوى المتدنى من الوعي في المرأة يقابله الرجل بوعي كبير ، يتمثل في إحساسه بأزمة فلسطين ، في الوقت الذى تظهر فيه المرأة بعيدة عن الهمّ الجماعي ، فهي تحاول منع زوجها من التفكير بفلسطين " لنا أولاد ولنا عيال ، ومشاكل البيت والأرض ، همومنا كثيرة على قدنا " (٢) ، ونراها تسارع في الخروج بعد النكبة ، دون أن نلحظ في نفسها وقعا خلفته النكبة . هذا نموذج نمطي لسلبية المرأة ، قدمه الموّلف ، وعجز في إبعاد التناقض عنه ، فقد صورها وهي تتذكر وثائق ونصوصا لزعماء سياسيين ، مع أنه بين أنها لا تهتم بالسياسية ، لكنه لجأ إليها ، لتكون بوقاً يعلن كلامه (٣) ، مما أظهرها شخصية غير مقنعة .

---

(١) الدم والتراب ، ص ٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
(٣) أنظر : المصدر نفسه ، ص ١٣ - ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تظهر في الروايه نساء فلسطين ،وحماسهن لتحريرها ،بطريقة يظهر فيها نوع التهويل والمبالغة الكثير . " النساء يندفعن في غير تحفظ إلى مكان المعركة : إلى جلجيل ،كل تبحث عن زوجها ،أو عن ولدها ،أو عن أخيها ،تريد أن تتحقق وتطمئن ،فيما إذا احتصل على الشهادة ،لتطلق الزغرودة الطويلة المحفوفة بالدموع والابتسامات" (١) ، فليس معقولاً ،مهما اشتدت حمية المرأة الوطنية ،أن ترغب بموت ولدها ، فالوطن غال، لكن الموت والقتل لا ترغبه النفس لأيّ إنسان ،فكيف إذا كان الولد أو الأخ أو الزوج .

في رواية " الطريق الى الجامعة " تبدو سلبية المرأة مشابهة لما جاء في الرواية السالفة . تمثلها رانية ،إذ تخرج من فلسطين بعد هزيمة ١٩٦٧ ،لتتزوج من رائد ،دون أن تجد في نفسها وقعاً للنكبة ، بل ظهرت معزولة عن المجتمع بكل ما فيه من أزمات ومصائب ،فكان " أكثر ما يقلقها أنها لم تخرج في حقل زفاف " (٢) . ظهرت شخصيتها من خلال ذكريات رائد الذى لم يصورها الا من خلال نظرته إليها ،قدمها بطريقة السرد التقريرى ،فجاءت جامدة مسطحة ،لم تنم الحدث ،ولم تعرف عنها إلا أنها جميلة وفاضلة ،وهما صفتان تنطبقان على كثير من الفتيات ، فظهرت شخصيتها بلا هوية ،فلم يعن بإعطاء صورة لنفسها ،مما جعلها نموذجاً لا قيمة له إلا بالنسبة لرائد ،الذى يشاركها حرمانها العاطفي ،فهي لا تكترث إلا بإشباع عواطفها ،ولا

---

(١) الدم والتراب ،ص٣٥ .
(٢) محمد علي أبو حمدة ،الطريق الى الجامعة ،جمعية عمال المطابع التعاونية ، ط١ ،عمان ،١٩٧٥ ،ص ١٠٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تسمو اهتماماتها عن دائرة ذاتها ،لهذا يدهش القارئ حين يسمعها تقول :
" ليت مثلك إخوتي ،دين ودنيا ،شباب يجمع إلى أصالة الإسلام وجوهر العلم ،
لاكشباب القشوروالسفائف " (١) ،فهذا ليس كلامها بل أملاه الموقف على لسانها ،
ليؤدي عرضا أخلاقيا وعظياً ،بلغة خطابية لا تتناسب مع مستوى الشخصية والحوار .

أخفق الموقف في تقديم رواية فنية ،فروايته أشبه باعترافات عيسى الناعوري ،
يتحدث فيها عن ذكرياته ،منذ أن كان طالباً في المدرسة ،الى أن انتهى
استاذاً في الخليج ،اعتمد في تقديمها على السرد التقريري ،جاءت فيها الأحداث
تبعا لتدرج حياة الراوي ،وبرزت فيها الرومانسية ،حين تحدث عن عشقه لرانية (٢) ،
ووصف مشاعره نحوها ،وذكر تفصيلات لا تخدم البناء ،هدفها بعث التشويق في الرواية ،
لهذا انعدم أثر الحدث التاريخي والأزمة السياسية فيها .

في رواية " بوصلة من أجل عباد الشمس " عرض هاشمي لمرأة آمنت بواجبها
تجاه وطنها ،لكنها عادت إلى حالة من العجز ،بعد رفض زوجها اشتراكها في
المقاومة ،لأنه يرى أن هذا من شأن الرجال وحدهم ،أما المرأة فليس لها
الحق بالمساهمة ،إيمانا منه بضعفها وعجزها ،وقد هددها بالطلاق إن اشتركت (٣) .
تمثل عجزها في سكوتها ،فلم تثر على زوجها ،الذي يمنعها من ممارسة حق لها
بل نفتقد وجود عدم الرضى في نفسها .

---

(١) الطريق الى الجامعة ،ص ١٨ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٥٦ .
(٣) بوصلة من أجل عباد الشمس ،ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الروايتان اللتان قدمتا صورة ايجابية للمرأة الفلسطينية فهما " آلام نازحة " و " الرحيل " • افتقدت الأولى عناصر الرواية الفنية ، فجاءت أشبه بخطبة مطولة ، مليئة بالتأملات والمواعظ ، جعل من المرأة بوقاً لها ، فأخفق في رسم شخصيتها ، ليس فنياً فحسب ، بل ومن حيث المضون ، فبعد أن ذكر أنها كانت تبحث عن طريقة للتخلص من المعتدين " ومن الجبن عدى — ولو أنني امرأة — أن أبقى واقفة بلا عمل " (١) ، فكانت تتوق لقيام حرب فلسطين ، لذلك حملها وعياً سياسياً أكثر مما يحتمله مستواها الفكرى ، فيجعلها تتنبأ بحرب ١٩٦٧ (٢) ، وتعد نفسها لمحاربة الأعداء " وأعمل مع غيرى من سائر النسوة المتحمسات على مؤازرة الجيش العربي ، على أرض الصمود والجهاد " (٣) بعد هذه الصورة المشرقة التي منحها للمضمون ، نراه يحطمها ، حين يذكر أنها نزحت إلى الأردن عند قيام الحرب (٤) ، ويتساءل القارئ : أين الخطب ، التي ألقتها عن التعلق بالأرض ، ومصير فلسطين ، وضرورة الصمود ؟! • فوقوع الكاتب في التناقض في تصوير المرأة أدى إلى شخصية تخلو من الإقناع •

في رواية " الرحيل " ظهرت المرأة نموذجا مسطحاً ، وضح فيه دور المرأة الفلسطينية في المقاومة ، مما جعل زوجها يلجأ اليها ، ويطلعها على خططه ، كي تساعده في التنفيذ " رأى في زينب الإنسانة التي أطاعته طويلا ، وعملت في الميناء ليالي وأياما كثيرة ، أطلعها على خطته " (٥) ، فنراها تتحرك فاعلة ، تفجر السفينة والعربات التي تنقل اليهود ، فأدركت " أن عملها الفردى في غياب الجماعة قد يفلح الى حد ما " (٦) ، وقد كشف المؤلف عن أن اشتراكها في المقاومة

---

(١) أحمد عويدى العبادى ، آلام نازحة ، مطبعة الانصاف ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص١٣ •
(٢) المصدر نفسه ، ص١٩ •
(٣) المصدر نفسه ، ص٢٥ •
(٤) المصدر نفسه ، ص
(٥) مفيد نحلة ، الرحيل ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٥ ، ص١١ •
(٦) الرحيل ، ص١٢ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نتيجة لمعاناة نفسية مريرة " لم أحتمل ذلك المنظر الغريب ، رقص وفرحة وعاريات في شوارعنا المظلمة ، شعرت أن شيئا ما في أعماقي يتحرك ... مشاعري كلها تحولت إلى الأرض والشوارع والميناء [١]. بذلك يكون نحلة قد سجل تطوراً في المضمون ، حيث أظهر فعالية المرأة ومساهمتها في التخفيف عن الوطن .

جاءت الشخصية مسطحة جامدة، نقلت من خلال التقرير السردي ، الذي طغى على جانب كبير من الرواية ، التي عنيت برصد المشاهد والأحداث في فترة زمنية طويلة ، وقد قامت الرواية على حبكة مفككة، كثرت فيها الحوادث والشخصيات ، التي تبدو منفصلة في ظاهرها ، إلا أن فكرة الرحيل توحدها ، وهذا ما جعله غير عابئ بابراز شخصيات فنية ، فجاءت مسطحة وظفها لخدمة الهدف ، لهذا قدم الشخصيات ، دون كشف عن أعماقها ونفسيتها .

نجد في رواية "المخاض" لسعادة عودة نموذجين إيجابيين للمرأة الفلسطينية تمثلها أم وزوجة مصطفى الحسن ، فنجد زوجته تشتم شمعون حين أراد دخول بيتها ، للبحث عن آثار زوجها ومذكراته ، ونجدها تزغرد وتغني غناءً ثورياً — حين استشهد زوجها — قبل أن تسقط مغشيا عليها [٢]. أما أمه فقد كانت تساعد زوجها في المقاومة ، واحتفظت البندقية بعد استشهاد زوجها لتظل رمزاً يدعو إلى الثورة والتحرير [٣] .

---

(١) الرحيل ، ص١٣ .
(٢) سعادة أبو عراق ، " المخاض " ، رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان ، ١٩٨٤ ، ص١١٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ـ الصورة غير المألوفة للمرأة

نعثر في خمس روايات على صورة غير مألوفة للمرأة ، وليس لها وجود واقعي ، ولا تختلف عن الصورة التي برزت في الفترة بين ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ، استخدم في معظمها المذهب الرومانسي ، الذى يمجد الفردية الى درجة إغراق الفرد بهمومه الذاتية ، وإبعاده عن المجتمع وما يتصل به ، فجاءت شخصيات غريبة في روايات لا تحمل قيمة فكرية ، مهلهلة البناء ، تفتقد إلى الشخصية النامية والحدث المتطور .

نلتقي في رواية " دموع " لمحمد خلف الشلول بهذه الشخصية ممثلة في أحلام ، التي تعمل في ملهى ولا همّ لها إلا ايقاع الرجال ، فوالد ليلى ينتظر موت زوجته كي يتمكن من الزواج بها لأنه يرتبط معها بعلاقات غرامية ساذجة " (١) ، فقد أسرته بجمالها حتى أنه " يغدو معها مسلوب الإرادة والفؤاد ، وبدأ يشعرها بأنها كل شيء في حياته ، وأنه على استعداد لأن يضحي بكل شيء من أجلها "(٢) ، وهي ذات نفسية غير مألوفة ، ويظهر هذا في مظهرين : ـ

الأول : حقدها وكرهها لجميع الناس ، فعلى الرغم من أنها تزوجت والد ليلى الذى وفّر لها الاستقرار ، ومعاملة ليلى الرقيقة لها ، نراها تبادلها كرها ، وتسخرها لخدمتها ، ثم أشارت على والد ليلى أن يخرجها من الجامعة ، لتمكث في البيت للخدمة (٣) ، ثم عملت على تحطيمها بتدبير المكائد التي تشكك خطيبها بها (٤) ، مما جعله يطلقها ، وكانت أحلام تكره زوجها ، فنراها تتمنى موته ، ثم يصل بها شذوذها إلى درجة القتل الجماعي ، فقد دبرت لقتل صلاح بعد اكتشافه لخيانتها ،

---

(١) محمد خلف الشلول ، دموع ، مطبعة الزرقاء الحديثة ، ط١ ، عمان ، ١٩٨١ ، ص٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتسببت في مقتل ليلى على يد رجل مخمور في شقته بحيلة منها، وقتلت زوجها وعشيقها بعد أن حاول ابتزازها بالشريط الذى يحتفظ به كدليل على قتلها لزوجها (١).

الثاني : يصور المؤلف أحلام انسانة بلا مبدأ ، ولا همّ لها الا ممارسة الجنس مع رجال كثيرين" فهي تتلهف للأيدى الملتهبة ، والأفواه المسعورة، والأقداح المملوءة بالنشوة " (٢)، لهذا تستدعي الدكتور عباس إلى بيتها وتغرية بنفسها ، فيصبح عشيقها ، وتحمل منه (٣).

تخلت أحلام عن كل قيمة دينية أو اخلاقية ، أو اجتماعية ، فبرزت مقطوعة الصلة عن مجتمعها ، وكانت طريقتها في إثبات نفسها التحرر الجنسي ، فهي لا تهتم إلا به ، ولذلك لم تحترم الزواج ، لأنه يقيدها برجل واحد . وصورة أحلام تدل على إغفال المؤلف لما حققت الفتاة من تقدم في المجالات المختلفة ، لهذا حصر نفسه في نموذج يندر وجوده في الواقع . أما من الناحية الفنية فقد جاءت غير مقنعة ، لأنه لم يقدم تعليلاً لشذوذها، ولم يعده إلى عوامل اجتماعية أو نفسية ، بل فرض عليها الحدث ولم يجعله نابعا من طبيعة شخصيتها ، يبدو هذا في أنه فرض عليها الرغبة بالتوبة والابتعاد عن حياة العبث دون تبرير لذلك (٤)، مما جعل الرواية تخلو من القيمة الفكرية ، لأنّ تصوير حياة امرأة شاذة لا يعني أحد سواها ، وتخلو من البناء الفني الناضج حيث جاءت الشخصيات نمطية معزولة موظفة لخدمة الشخصية الرئيسية التي سيطرت على الحدث ، فلا ينمو إلا من خلالها، وهي لا تتأثر به " أما الأحداث فهي عارضة في حياة الشخصية"(٥)، حين تكون الرواية رواية شخصيات .

---

(١) أنظر : دموع ، ص ٣٥ ، ٩٩ ، ٧٨ ، و ٩٦ .

(٢) دموع ، ص ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

(٥) تطور الرواية في بلاد الشام ، ص ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نلتقي بنموذج شبيه بأحلام في رواية " ساعات الصفر " لأحمد عودة تمثله جليلة ، جاء بها المؤلف لإعطاء ثنائية بينها وبين المرأة الجديدة التي تمثلها عامرة ، فجليلة طبيبة حاقدة على الرجال وعلى الفتيات الجميلات ، لكونها عانس [١] ، وهي تنظر إلى الرجل على أنه فريسة يجب امتصاص قواها الجنسية ، وهذا يتبين في علاقتها مع متروك ، فمنذ اللقاء الثاني معه نجدها تبدأ معه بداية جنسية [٢] ، ويتبدى شذوذها في حرصها على الظهور بمظهر المتدينة ، لتوهم الناس بنظافتها [٣] ، في الوقت الذى لا تدع فرصة لتمارس فيها الجنس ، سواء أكان في بيتها أو عيادتها أو حتى بالسفر كما فعلت مع متروك الذى لحقته إلى بغداد ، ولا تفهم الحياة إلا على أنها الجنس ، ولا " كيف تفهم أن التقاء رجل بفتاة لا يعني التقاء شفتي كل منهما ، والتحام جسدين ؟ ، لن تفهم هذا على الإطلاق ، ولغة الجسد والصبوات عندها هي الغالية " [٤]

تبرز رواية " العطر والتراب " لحسني فريز صورة غير مألوفة تمثلها شخصية رمزية ، التي تظهر لا همّ لها إلا الثرثرة ، وتقليد حياة الأثرياء في المأكل والملبس والأثاث وأدوات الزينة " من أجل أن يقال : إنها متمدنة ، وإنها عصرية " [٥] ، لذلك تهمل شؤون بيتها ، وتكثر من الزيارات " فصارت هي ربة البيت ورب البيت ، وتحولت أنا إلى خادم أمين " [٦] ، وقد أوقعت زوجها في ديون طائلة أدت به إلى الهرب وترك أسرته [٧] ، وهي لا تعنى بأولادها ، لذلك ماتت طفلتها " وأحست

---

(١) أحمد عودة ، ساعات الصفر ، دار الوحدة ورابطة الكتاب الأردنيين ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٣ ، ص ٣١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .
(٥) حسني فريز ، العطر والتراب ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٤ ، ص ٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٧ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنها استراحت من الرضاع والعناية والتطبيب ، لتتصرف إلى زياراتها "[١] ولا شاغل لها إلا الجنس ، ولذلك كانت تكثر الشكوى من زوجها ، ولم تضيع وقتها بعد وفاة زوجها فبحثت عن زوج آخر دون أن تنظر الى أبنائها " ويفعل بنوها ما يشاؤون لأنها لم تكتب لهم صكاً باستعبادها "[٢]؛ وهذا ما جعلها تستقبل أبا صبرى في بيتها ، وتستسلم له حين يقبلها " ولم تتغير رمزية بعد هروب زوجها ، فقد بقيت على إسرافها وتبذيرها "[٣].

كانت تحسد كل زوجين سعيدين ، وتحاول إيقاعهما في التوتر والمشكلات بتحريض أحدهما على الآخر[٤]؛ ولم تترك أحدا من شرها حتى أمها وأختها " ومضت على غير هدى ، وأخيرا رأت أن تفرغ سمها في أختها ، فإنه لابدّ لها من إنسان تخدعه "[٥]، أمضت حياتها بالبحث عن الرجل ، فبعد طلاقها من أبي صبرى عادت تبحث عن زوج جديد ، وحاولت إيقاع جعفر في شباكها ، فاظهرت له زينتها وأغرته بنفسها وعرضت عليه أن يتزوجها[٦] ، وقد بلغت الشيخوخة وهي ماتزال على تصابيها ، فتزوجت من شقيق زوجها بعد أن أوقعته في حبائلها[٧].

---

(١) المطر والعواصف ، ص ٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تكن ابنتاها بأقل منها شذوذاً ، فنجوى منذ طفولتها تسعى إلى الجنس • ، ويبدو هذا في علاقتها مع صبرى والشاب الذى كانت تخرج معه بعدا انتهاء اليوم المدرسي ، وكانت أمها تعلمها الحيل التي تستطيع من خلالها كسب صبرى زوجاً وهي ما زالت صغيرة[١]، وقد تزوجت شاباً من الذين استطاعت إيقاعهم ، فنراها تشرب الخمر ، وترقص مع الرجال ، وتلعب القمار ، وتكوّن علاقات جنسية مع الرجال [٢]• أما سلوى فقد كانت تخزن التجارب السيئة " ولم تعن نفسها بالأمور العادية ، فينبغي أن تختزن الفضائح والشذوذ والدسائس بتفصيلاتها " [٣] ، ونجدها تبحث عن زوج غني ، لذلك تكوّن علاقات مع الرجال كثيرين تأتي بهم إلى البيت [٤] •

لا تحمل الرواية أيّ قيمة فكرية ، فالحديث عن نموذج شاذ لا يستحق البحث عنه في مجتمع يكتظ بالأزمات والمشكلات التي تحتاج إلى حلول، فالمؤلف طرح هذه الصورة في رواية غير فنية اعتمدت على السرد والتقرير ، وافتقدت للشخصيات النامية فجاءت مسطحة أراد منها تقديم النصح ، ولهذا سخّر الحدث الذى توالي بطريقة تلقائية ، مما جعل البناء أشبه بحكاية كتبت لغرض وعظي ترفيهي ، كانت السيطرة فيها للشخصية التي لا تعبأ بالحدث ، بل تعبّر عن موقف المؤلف ورغبته ، فسارت لا يحكمها مبدأ السلبية ، بل تسير وفقا لمزاجه ، فهو لم يتعمق الظاهرة التي قدمها ، ولم يبحث عن

---

(١) العطر والتراب ، ص٦٤•
(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٩•
(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٨•
(٤) المصدر نفسه ، ص١١٣•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عللها ، مما أظهر الشخصيات خالية من الإقناع ، وغريبة في تصرفاتها ، فسلوك رمزية لم يكن مبرراً ، وكذلك طلاق أبي صبرى لرمزية ، وافتقد في الرواية الحوار الفني الذى يسهم في الكشف عن الشخصية ، أو يطور الحدث ، وعلا صوت المؤلف بالتعليق على الحدث والشخصيـــة " زوجة من هذا الطراز الشائع اطمأنت إلى زوجها ، فأهملت زينتهـا ، وأهملت العناية بنفسها " (١).

في رواية " الدموع الصامتة " تبرز صورة مثالية لا وجود لهـــا تمثلها عايدة ، وهي فتاة يتيمة الأبوين ، تعهدتها خالتها بالرعايـــة ، ثم وضعت في ملجأ حين رفض عمها (زوج خالتها) إبقاءها في بيته ، فعاشت معزولة عن أقاربها ، وحين بلغت العاشرة عادت الى بيت خالتها لكن عمها طردها ، مما جعلها تعمل خادمة في بيت طردتها سيدته خشية على زوجها ، وتزوجت عايدة ابن خالتها الذى كانت على علاقة معه .

تحتوى عايدة كل الصفات الجيدة والأخلاق النبيلة ، على الرغم من أنها عانت المشاق بسبب يتمها وقسوة ظروف حياتها (٢)، فهي ضحية الأقدار التي حرمتها من والديها مرة واحدة ، وضحية المحيطين في عمها وغيره ، لكن هذا لم يحرفها عن طريق الفضيلة ، فنجدها خلوقة محبوبة ، " لسلوكها الهادئ وأخلاقها الرفيعة "(٣)، مثقفة " تختلس النظر إلى الصفحات ، وتلتهم الكلمات بشراهة " (٤)، طموحة تسعى الى تحقيق مكانة في المجتمع الذى تريد إصلاحه (٥)، ناضجة ترفض الدخول مع ابن خالتها في

---

(١) العطر والتراب ، ص ٣٨ .
(٢) الدموع الصامتة ، ص ٧ ــ ٩ .
(٣) ، (٤) المصدر نفسه ، ص ١٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علاقة حب ، لأنها ترى أن الحب يجب أن ينظر إليه الإنسان بمنظار العقل اولا [١]، وهي محافظة ، فقد رفضت زيارة سعود لها في بيتها ، ورفضت أن تتزوجه خوفاً من كلام الناس على الرغم من أنها تحبه [٢] ، تمتاز بالاستقلال والقدرة على مواجهة الظروف ، وهذا يبدو في عدم بكائها ، وعزوفها عن الأكل في بيت خالتها ، ودخولها مجال العمل مبكرا [٣].

أخفق المؤلف في رسم شخصية فنية واخترع شخصية خيالية ، فبطولتها في الرواية اقترنت بمثالية صورتها التي لا نجد فيها عيباً واحداً ، وفي ذلك يقول محمود العابدي في تقديمه لها : " لقد خلق من المرأة أسطورة ملائكية في الأخلاق بكل أنواعها ومظاهرها " ، لم يلجأ في تقديمها إلا إلى السرد التقريري إضافة إلى الحوار ، ولم يعن بكشف الجوانب النفسية ، ولم يطورها من خلال الحدث الذي كثفه لتبرز عايدة من خلاله شخصية غير واقعية أو فنية ، فنجده ينسب كل مصائب الدنيا إليها ، ليلهب المشاعر ويستدر الدموع ، فقد جاء بها نمطاً يحقق من خلاله أهدافا وعظية أخلاقية ، لهذا أنطقها بما لا يتناسب مع عمرها ، فتحدثت كعالم نفسي مجيبة على سعود الذي صرح إليها بحبه " تعتقد أن كل فتاة تراها هي حبيبتك ، ولكن حبك في الحقيقة نزوة من نزوات الشباب "[٤]، فهل هذا كلام فتاة دون العشرين ؟ (، ثم نراها أستاذة في التربية وهي تقدم التوجيهات والارشادات الى سعود • بقيت عايدة مجهولة بالنسبة إلينا ، فاقتصرت معرفتنا لها على الظاهر •

---

(١) الدموع الصامتة ، ص ٢٠•
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩، ٥٧ •
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣، ٢٧ ، ٣٦ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلتقي مع الرواية السابقة في مذهبها الرومانسي وموضوعها رواية عصام عماري " وعادت الى ليل الغرباء " • تتناول الرواية علاقة حب نشأت بين أماني فتاة الملجأ اللقيطة وبين أسامه القروى المهندس في أحدى الشركات ، وكانت العلاقة قوية لم تغيرها معرفة أسامة بأن أماني لقيطة • تمثل أماني نموذجا نمطياً متكرراً عند كتاب الرومانسية ، فبطلة الرواية كاملة في جمالها وخلقها ، والحب يقع منذ أول لقاء لانه يقوم على الإعجاب بالمظهر (١) والمرأة مستلبة غريبة عن واقعها ، فلم يربطها بالظروف المسببة لازمتها ، ولم يعن بالكشف عن مشكلات المجتمع ، لهذا لم يظهر أثر العلم في شخصية أماني ، فبدت نموذجاً مسطحاً سلبياً لا تتفاعل مع الحدث ، ولا تتغير ، تعتمد في حياتها على الرجل ، لهذا تضيع بعد موت سامي ، لأن المؤلف أرادها لإبراز القيم الأخلاقية في الحب ، لهذا تركزت أزمة الرواية في الحرمان العاطفي ، فهما لا يستطيعان اللقاء بسبب المعوقات الاجتماعية الممثلة في والدايه ومديرة الملجأ •

بدت شخصية أماني غير مقنعة ، تثير فينا السخط بانحلالها ، لأن المؤلف أراد من روايته تحقيق هدفين هما: الترفيه والوعظ ، وإظهار البراعة اللغوية ، وهذا يبدو في الوصف التكرر لمشاعر العاشقين ، مما جعل الرواية أشبه برسالة غرامية طويلة (٢)• قام بناؤها على المصادفة

---

(١) وعادت الى ليل الغرباء ، ص ١٥•

(٢) أنظر : وعادت الى ليل الغرباء ، ص ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ١٢١ ، ١٣٠ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت الرواية تفتقد إلى بناء فني ، فشخصياتها مسطحة تغيرت في نوع العمل والوظيفة التي تؤديها ، لكنها بقيت كما هي في بعدها الداخلي ، أضعفت بناءها كثرة الخطب الواعية والعبارات الانشائية " لقد أحاطتها الراهبات بحنان متدفق ، فهن النسوة الجليلات اللواتي منحن أنفسهن لله وخدمة المحتاجين الذين قسا عليهم الدهر ، وأظلمت الدنيا في وجوههم الجديرات بالإجلال والتقدير والاحترام " (١) ، وملأ الرواية بوصف المواقف العاطفية، نتيجة لرومانسية المؤلف التي أظهرت الشخصيات منكفئة على ذاتها ، مسيطر عليها من قبل الشخصية الرئيسية التي جاء بها لخدمة أهدافه " وكلما نأى المؤلف عن الواقع ، وهو سام بخيالة في أجواء أثيرية ازدادت سيطرة هذه الشخصية على أحداث الرواية ، وربما تبدو أشد سيطرة إذا كانت شخصيات الرواية تعكس موقفا ذاتيا للمؤلف نفسه "(٣)، كان بوسع المؤلف اجتراء المواقف العاطفية ، وتصوير أزمات المجتمع الناتجة عن الطبقية ، لكنه مال الى الخيال ، فلم نستطع العثور على موقف المجتمع من المرأة وتطورها ، وأثر عرض شخصيات فاضلة لم تغيرها الظروف • استند المؤلف إلى المصادفة القدرية في تطوير الحدث فصدفة أن يموت والداها معا ، وصدفة أن يزوج صاحب عملها ابنة ليغني سعود بالحفل ، وصدفة أن تصدم عمها سيارة ليرجع بعدها عن غيه وجبروته (٤)، فالبناء فقد السببية كبعد أفي تيسير الحدث ، فلم تشمله منطقية تسوغ الحدث وسلوك الشخصيات •

---

(١) الدموع الصامتة ، ص ١٠ •
(٢) أنظر: الدموع الصامتة، ص٢٠ ، ٢٥ ، ٥٦ ••• •
(٣) تطور الرواية في بلاد الشام ، ص ٢٢٦
(٤) الدموع الصامتة ، ص ٧ ، ٣٥ ، ٩٣ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القدرية ، فصادفة تعطل سيارة سامي في يوم شتائي وفي مكان لا يوجد فيه إلا الملجأ ، ومصادفة أن يأتي إليه والده ونهايي عنده ، وآخر هذه المصادفات حادث السيارة الذى أودى بحياة سامي ، وهو مخرج للمؤلف بعد فشله في إيجاد حل مناسب للأزمة ، [١] ، ومما أضعف البناء ذكر جزئيات لا تخدم الخط الرئيسي ، كحكاية صديقة وأمر خطبته ، وحكاية ابنة المدير [٢] ، وقد عجز المؤلف عن توظيف الحوار فنيا ، فجاء زائداً وحشواً يمكن الاستغناء عنه •

شخصية غادة في رواية " أحزان " لحمزة الشوابكة صورة من عايدة في "الدموع الصامتة" ، فهي فتاة حرمت من أبويها ، فتبناها صديق والدها ، تتمتع بجمال وخلق كاملين ، وبثقافة ونضوج عاليين ، يظهر هذا في عدم تهوّرها في علاقتها مع الرجل ، وهي كغيرها من النساء عند الرومانسيين تتعرض لمآسي وصدمات في حياتها ، فعصام اغتصبها بعد أن استدرجها بحيلة حملت على أثرها ، وأنجبت فؤادا الذى عشق فتاة ، وحين يذهب مع والدته لخطبتها تفاجأ بأن والدها هو عصام ، مما تسبب في انهيارها ، وموت الفتاة بحادث سيارة •

---

(١) وعادت الى ليل الخريف ، ص ١٥ ، ١٥٣ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة غادة من الناحية الفنية لا تختلف عن شخصية المرأة في الروايات السالفة الذكر • وجاء البناء في مستوى فنيّ مشابه لها ، اعتمد على المصادفة القدرية ، وهدف إلى إعطاء العبرة والموعظة ، وهذا ما جعل الشخصيات تفتقد إلى التسويغ ، فلا نعرف ما الذى دفع عصاماً إلى اغتصاب غادة ، وجاءت نهاية الشخصيات مفاجئة ، وقد يعلل هذا بأن المؤلف لم يستطع بعد تشابك الخيوط في الرواية أن يخرج شخصياته من الأزمة كما أدخلها دون إرادتها فلم يجد لها حلاً أفضل من التخلص منها بالموت والانهيار والشلل ، واستغنى عنها بعد أن قالت كل المواعظ والعبر التي يريد المؤلف إيصالها •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥ — صورة المرأة الجديـــدة

يعني البحث بالمرأة الجديدة بأنها " غير المدللة ، المتنورة ، المكافحـــة في عملها ، المتحررة "[١]، المرأة التي تندمج في التنمّ الجماعي بعيداً عن عقـدة النقص المصاحبة لمفهوم الأنثى ، والتي تمارس حياتها بعيداً عن تقاليد المجتمع وعاداته •

لم تظهر هذه الصورة إلاّ في الروايات التي صدرت منذ عام ١٩٧٨، وفي هذا إشارة إلى بداية تحرر المؤلفين من رؤى المجتمع فيما يتعلق بالمرأة •

سجل محمد عيد في المتميز " تطوراً يتمثل في نظرة الرجل الى المرأة ، وفي صورة المرأة من حيث المضمون والفن ، من خلال شخصية نوال وسامي •

نوال هي الشخصية الجديدة ، فتاة متعلمة ، درست في الجامعة " وانتظمـت في الحزب ، تعلمت الاعتماد على نفسها ، وأن يكون لها الكلمة الاخيرة في اتخـــاذ القرارات المتعلقة بها " [٢]، فقد تعلمت في جامعة بعيدة عن قريتها ، فالظـروف وفّرت لها ما يجعلها قوية مستقلة ، حين اكتسبت العلم وتخلصت من البيئة الريفية ، التي كانت ستقضي على الكثير من طاقاتها لو بقيت فيها ، وهذا ما حررها من قيود القرية، فلم تخضع لها ، وهذا تعكسه طريقة زواجها ، فحين عادت إلى القرية " اكتشفت أنهـم قد أعطوها بعد ولادتها بساعة لابن عم لها ، تقدم لخطبيتها[٣]، فوافقت عليه حين وجدته

---

(١) نور شريف ، المرأة في ثلاثية نجيب محفوظ ، (دراسة) ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السابع ، العدد الاول ، ١٩٧٦ ، ص ١٣٢ •

(٢)، (٣) محمد عيد ، المتميز ، مطبعة الشرق ومكتبتها ، عمان ، ١٩٧٨، ص ٢٢ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدي اهتماماً بطريقة تفكيرها [١]، وهي مثال للمرأة المتحررة ، الواعية ، المكافحة ، يدل على هذا مشاركتها السياسية مع الرجال في الحزب " وكانت معي في الحزب من سنوات ... أصبحنا عضوين في مرتبة واحدة [١] ، ومشاركتها تعدت الجانب النظرى إلى الفعل ، " تصر على الاشتراك في الأعمال العسكرية ، وتتقن استعمال كل الأسلحة التي يمتلكهـــا الحزب " [٣] ، فساهمت في نسف مركز الاستطلاع الرئيسي للعدو [٤]، مما عرضها إلى السجن والتعذيب ، وفقد زوجها [٥] ، وتبدو قوتها في تعليقها على كلمة (عاهرة) — التي كانت تسمعها أثناء التعذيب — " ولكنني كنت أسمعها الصلبة ، الصامدة ، كانت تصلني اعترافاً بانهيارهم " [٦] .

اختفى معنى الأنوثة وعقدة النقص من نفسها ، وهذا يتضح في سلوكها ، فهي تأتي مع زوجها لزيارة سامي ، وتجلس معه وحدها ، " لم يحدث أن تكلمنا عن أنفسنا ، أن كل ما تكلمت عنه معي كان متعلقاً بالحزب" [٧] ، ويبدو إحساسها بمساواتها للرجل في شكل تعاملها معه ، فهي تتصرف معه بحرية وثقة بعيداً عن الإحساس بالتميز الجنسي بينهما ، وهذا ما جعلها تدخل الجامعة والحزب ، دون أن ترتبط برجل ، أو تشغل نفسها بعلاقة عاطفية .

---

(١) محمد عيد ، المتميز، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان ، ١٩٧٨، ص ٢٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦.
(٤) المتميز ، ص ١٣٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٤.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٣١.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تطور نظرة الرجل فهذا يتمثل في سامي ، الذى أحب نوال، وكنّ لها إجلالاً واحتراماً رفعها به من منزلة الحبيبة إلى المثل الافلاطونية، فأصبح يقيّم من خلالها أى امرأة " أن طيف نوال لم يفارقني ، نوال الزميلة، ونوال الحزب ، ونوال الجامعة ، ونوال الحبيبة ، إذا كنت قد تخلصت من إيرما، فلانّها لا تحوى شيئا من نوال " (١) ، لهذا سعى الى الزواج بها ، بعد عودته من أوروبا ومعرفته بموت زوجها • يظهر الرجل في الرواية قد تحرر من النظرة المتخلفة ، التي تحصر وظيفة المرأة في توفير المتعة للرجل ، والقيام على خدمته ، فأصبح يتطلع إلى امراة تمتلك الوعي والتحرر العقلي ، وهذا ما نجده في رواية " الابلة " لفايز محمود ، " ليس ضربة لازب أن يتفوق الرجل على المرأة في كل علاقة تتوطد بينهما ••• ليس المطلوب أن يقتصر دور المرأة في مثل علاقة كهذه على إشباع غرور الرجل " (٢) ، وهذه نظرة متقدمة ، تقوم على المساواة ، التي تنتفي بها علاقة العبد بالسيد ، وهذه الرؤية ليست واقعية بقدر ما تمثل استشرافا لمستقبل العلاقة بين الرجل والمرأة ، حيث يتم فيها التعامل على أساس انساني •

أما صورة المرأة فنياً فقد نجح للمؤلف في رسمها ، حيث جاءت واقعية ، قدمها بأساليب فنية متنوعة منها :

أولا : السرد والتقرير " أحرزت مرتبة حزبية متقدمة ، وحين عادت الى قريتها ••• " (٣) ، وكان الوصف يمزج بين خصائصها المادية والنفسية ، مع التركيز على الثاني •

ثانيا : الحوار ، ففي حوارها معه اتضح اهتمامها بأمتها ، وعملها على تخليصة من أزماتـــه (٤) .

ثالثا : الرسائل ، كشف فيها المؤلف عن معايشتها للحرب ، وكفاحها ، وسجنها ، وتعذيبها بطريقة مشوقة (٥).

---

(١) المتميز ، ص ٥٩ •
(٢) فايز محمود ، الابلة ، رابطة الكتاب الاردنيين، عمان ، ١٩٧٩، ص٢٣ •
(٣) المتميز، ص ٢٢ • (٤) المصدر نفسه ، ٢٣ــ ٢٤ • (٥) المصدر نفسه ، ص١٣٠ــ١٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا : تطور الحدث ونموه ، فتراكم الأحداث برزت الشخصية ناميةمقنعة •

خامسا : الأحلام والكوابيس ، التي كشفت عن توترها وقلقها ، بسبب معاناتها في السجن والتعذيب [١] ، وقد وصف المؤلف حالتها وكلامها أثناء الحلم بطريقة فنية بعيدة عن السرد •

لعل " المتميز " أول رواية — من الروايات التي دخلت الدراسة — تقدم صورة متقدمة على مستوى المضمون والفن •

تطرح رواية " بوصلة من أجل عباد الشمس " للمرأة الجديدة في شخصية حنان ، وهي فتاة متعلمة ، قارئة لكتب الفكر والأدب [٢] ، ثائرة على التقاليد ، فهي لا تكترث بالقيود المفروضة عليها كونها أنثى ، ناقمة على رؤية المجتمع للمرأة ، " في النهاية حقدت على جسدي الأنثوي ، رفضته ، ولم أعد ألبس إلا البنطلون الكاكي ، وعرفت موقفي عن المهمات المتتابعة ، معسكرات طلابية ، جمع تبرعات ، شرح المواد التحريضية ، ونشر المنشورات السياسية " [٣] وتتمنى لو تصبح رجلا كي تستطيع ممارسة حريتها دون رقابة من المجتمع [٤] ، تميزت حنان بالإيجابية ، فهي لا تقف من أزمة المرأة مستلبة ، بل نراها تتمرد على التقاليد ، وتتجاوز هذه الدائرة لتنخرط في قضايا شعبها ، وتساعد في حل أزمته بالطرق المتاحة ، فتشترك بالمظاهرات وتشارك في تمريض وإسعاف المقاتلين ، لذلك تتعرض للاعتقال [٥] •

---

(١) المتميز ، ص ١٤٥ — ١٤٨ •
(٢) بوصلة من أجل عباد الشمس ، ص ٥٢ ، ٩٨ •
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥١ •
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخلصت حنان من الاحساس بالنقص ، الذى حل محله احساسن بالتكافوء والمساواة مع الرجل ، وهذا يجعلها تتعامل معه دون خوف أو تـــــردد [١] ، وتشاركه وعيه وفعاليته ونضاله دون ابتذال أو سقوط • ونتيجة لمعرفتها بالرجال ، فقد اختارت رجلا (عامر) اختيارا واعيـــا ، فأفكاره قريبة من أفكارها ، وكذلك اهتماماته ، وهو يمثل تطور رؤيـــــة الرجل للمرأة ، وهذا يبدو في تعبيره عن النفاق السائد في المجتمـــــع " ولماذا يريدون أن تأتي النظرات أولا ، ثم التعارف بطريقة ملتويـــــة ، ثم يقدّمان في النهاية جثثا ملفوفة في أوراق السوليفان ، والشيكولاته، والغلافات البراقة ، فهم يقطرون حياء ، ويترددون ألف مرة ، يتمتعون في البدايـــة، ثم يقتلون ، بعد أن يلقوا أنفسهم في عقد الشرق ، والمساومات الابُديـــة المعقودة بين رجاله ونسائه " [٢] ، فرجل يقبل الارتباط بمثل حنـــــان لا بد أن يكون قد نزع من نفسه كل عقد الشرق على حد تعبيره ، فقبلـه أحبت حنان شابا ، لكنه تركها ، لانّه غير راض عن تصرفاتها مع غيره [٣] ، لكن عامراً أحبها ، لانّه يحمل رؤية متقدمة تظهر في مفهومه للزواج ، فما عاد ينظر إليه لغرض جنسي ، بل أصبح الزواج يمثل ارتباطا واعياً " قولي لهـــــم: إنك التقيت إنساناً يناسبك ، وإنك تتجاوبين معه ، وتتفاهمين عاطفيا وفكريا " [٤] •

---

(١) بوصلة من أجل ••• ، ص ٢٣•
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦•
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣•
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٩•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرض المؤلفة هذا التطور في مقابل إظهار الرؤية المتخلفة ، التي تضع القيود على المرأة ، فتحرمها من حقوقها • والتي تبحث عن المظاهر الزائفة في تزويج الفتاة ، مما يخلق شخصية خائفة مترددة ، كالتي تمثلها مثريا " ••• وولولات أمي ، وتوبيخاتها العصبية ، تصيبني بالتبلد والاضطراب ، سيعتقلونني في سجون بيوتهم ، ويخرجوني من المعهد ، لو عرفوا أني أحب شابا دون شهادة ، أو وظيفة محترمة ، يا سلام ! ستهزأ زوجة أبي الحمقاء السمينة ، وستصاب أمي بالجنون ، لأني لم أحصل عريسا غنياً ، ولائقاً ، كالذى تزوجته ابنة غريمتها " (١) •

تبدو المرأة الجديدة في شخصية شهد التي كانت تشارك في أعمال المقاومة ، ولهذا طوردت ، ومنعت من العمل في الدوائر الحكومية(٢) •

جاءت صورة المرأة فنياً مسطحة ، واقعية أرادت منها المؤلفة إعطاء نموذج يبين دور المرأة في الثورة الفلسطينية ، التي صورت المؤلفة حركتها في فلسطين والأردن وبيروت •

في رواية "ثم وحدك تموت" نموذج مسطح قدم بطريقة السرد التقريرى في شخصية هند ، التي تعي أزمة مجتمعها ، وأسبابها ، فتساهم في تخليصه منها ، وهي تبدو على قدر عظيم من الوعي يفوق وردا بطل الرواية ، لهذا تقف منه موقف المرشد " ونحن علينا أن نغرس البذور ••• أما أنت يا وردا تريد حالما تغرس أن تقطف الثمر ، وهذا ما لا يمكن أن تحدث "(٣) ، فلا بد من الصبر والوعي لماهية المقاومة حتى ينتهي الظلم ، وهذا يعكس حماسا لأنها يتسم بالوعي ،

---

(١) بوصلة من أجل ••• ، ص ٨٦ •
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٧ ، ٩٣ •
(٣) ثم وحدك تموت ، ص ٨٤ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتبدّى ايجابيتها باشتراكها الفعلي في المقاومة ، فتموت " الجسد الصغير صعد طويلا أمام العصي والهراوات وأعقاب البنادق " (١) .

قدمت رواية " المخاض " نموذجا مسطحا للمرأة الجديدة، التي التحمت في قضايا مجتمعها من خلال حنان الفتاة المثقفة ، التي خرجت من نطاق ذاتها إلى الوعي بأزمة وطنها ، الذى يظهر في موقفها حين قتل مصطفى الحسن ، فنراها تدعو النساء إلى الصبر والعمل والثورة (٢). مثل هذا النموذج نجده في رواية " وقت " لجمال ناجي ممثلا في فتحية ، وهي فتاة متعلمة ، تحي تفاصيل النشاط السياسي في المخيم " كانت تملك الكثير من المعلومات التي أعرفها أنا ، ... من أين تأتين بهذه المعلومات الخطيرة" (٣)، ويبدو وعيها في رفضها لنبيل على الرغم من مظهره وثرائه ، وتصر على مهاجمته ، لعلمها أنه من الفئة الخائنة للأمة (٤).

مما سبق نرى أن نموذج المرأة الجديدة كان ضمن دائرة المقاومة الفلسطينية ، لكن أحمد عودة في " ساعات الصفر " يطرحه خارج هذه الدائرة ممثلا في عامرة ، حيث صورها في إطار العلاقة مع الرجل ، والسلوك في الحياة ، فهي تبدو امرأة تخلصت من الشعور بالنقص ، لتتعامل مع كل ما في الحياة انطلاقا من إحساسها بإنسانيتها ، لذا نجدها لا تجد حرجا في الحديث مع متروك الذى تعرفت عليه في الطائرة ، وأعطته عنوانها ليزورها ، وفي هذا إشارة إلى أنها

---

(١) ثم وحدك تموت ، ص ٨٦ .
(٢) المخاض ، ص ٨١ .
(٣) وقت ، ص ١٤١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتصرف كما تريد هي لا كما تفرض عليها التقاليد ، تبدو واعية بوضعها كامرأة في المجتمع لا ينظر الرجل إليها إلا على أنها فريسة [١] ، لذلك نجدها واثقة بنفسها ، قادرة على وضع حد لكل شيء ، واعية للحاجز الذى يقوم بين الصداقة والحب ، فصانت نفسها عن السقوط ، وهذا يبدو في عدم استجابتها لمتروك الذى حاول ممارسة الجنس معها [٢] ، ويعيد المؤلف ثقتها بنفسها ووعيها الى نشأتها السوية ، فوالدها منحها الثقة والحرية ، ولم يضع عليها القيود • فنجده يسمح لها بالجلوس مع متروك في البيت ، وهذا ما جعل متروكا يرتبك ، لأنه لم يتصور وجود علاقة صداقة بين الرجل والمرأة [٣] ، فهو لا ينظر إليها إلا من منظار الجنس " لم تكن المرأة في خاطرى آنذاك لها عقل مميز [٤] "، لكن تجربته معها غيرت نظرته الى المرأة ، فصار يراها بمنظار مختلف ، " عامرة شيء آخر ، روعة امتلاكها في خلطها الصداقة بالحب في تلك العقيدة الراسخة بأنها ندّ للرجل تمازجه وتحاوره حتى على حدود الخطر ، دون أن يقع المخطور ، أو تخدش خدها قبله متسرعة " [٥] .

---

(١) ساعات الصفر ، ص ٢٩ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ •

(٣) المصدر نفسه ، ص •

(٤)، (٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

دراسة نقدية للرواية

١ . المضامين والشخصيات ١٤٥ - ١٦٥
٢ . الخلفية المكانية .
٣ . البناء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال معالجة صورة المرأة شكلاً وموضوعاً في الروايات التي دخلت الدراسة تكوّن تصور لديّ عن فنية الرواية ،وأجلى النتائج التي خرج بها البحث قصور فن الرواية في الاردن ،فكتابها على كثرتهم لم يمتلكوا زمام هذا الفن ،مما جعله يبدو أقرب للحكاية ،وأبعد ما يكون عن الرواية .

لكن هذا لا يعني خلو الساحة من روائيين استطاعوا النهوض بفن الرواية ، فعلى قلة عددهم إلا أنهم تمكنوا من تقديم رواية جديدة تتميز بمعمار فني أكثر تكاملاً ،ورؤى واضحة تبتعد بالرواية عن فهم ساذج لها أخذ به معظم كتابها ،فطرحت قضايا جادة ،وعنيت بالهمّ الجماعي ،وكشفت عن أسباب ماتطرقت إليه من قضايا وهموم . وهذا يعكس فهماً لمهمة الرواية الفنية ،" لأن الفن الروائي هو فن السير أو كشف الأسرار " (١)

من بين هذه الروايات وقع الاختيار على ست روايات ،لتقديم دراسة نقدية لها ،قام الاختيار على أساسين : الأول : بروز صورة المرأة فنيا فيها . * الثاني : نضج البناء ،ووضوح الرؤى فيها ." وهذه الروايات هي :" المتميز " لمحمد عيد ، و" بيت الاسرار " لهاشم غرايبه ، و" الطريق إلى بلحارث " لجمال ناجي ،و" المخاض " لسعادة عودة أبو عزاق ، و" وقت " لجمال ناجي ،و" برارى الحمّى " لابراهيم نصر الله .

---

(١) البيرس ،تاريخ الرواية الحديثة ،ترجمة جورج سالم ،منشورات عويدات ، ط١،بيروت ، ١٩٦٧ ،ص ٧ .

* استثنى البحث روايات فنية لم توظف المرأة مثل : " أنت منذ اليوم" لتيسير السبول ، و" الكابوس " لأمين شنار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المضامين والشخصيات

تنوعت المضامين التي طرحتها الروايات المختارة ،وسيتناول البحث المضمون من خلال الشخصية ،للعلاقة الوثيقة بينهما ، لذلك اختلفت الشخصيات وتعددت . سيقتصر الحديث على أبرز القضايا وهي : -

القضية الأولى : وضع العربي المغترب في الخليج : تناولتها روايتان : " الطريق إلى بلحارث " لجمال ناجي ،و" برارى الحمّى " لابراهيم نصر الله ،ولا يخفى تأثر المؤلفين بيحيى يخلف في " نجران تحت الصفر " . مثل هذه القضية شخصيات بعضها يمثل حضورا مباشرا كعماد ومحمد ، وقد جاءت الشخصيتان مدورتين ،وبعضها يمثل حضوراً غير مباشر ،ثابتة ،متعلقة بإحدى الشخصيتين السابقتين .

الرؤى في الروايتين مدرس تغرب من أجل المال ،والتقى بمغتربين آخرين ارتحلوا لهذه الغاية ،وكانت نتيجة غربتهم المرض والموت والضياع النفسي وفقدان الحياة بكل معانيها ،لاستحالة تحقيقها في أرض غريبة .

عماد في " الطريق إلى بلحارث" هو الشخصية المحورية ،يحدثنا عن نفسه وافعاله ،لا يذكر الا ما يعده مهمّا ، ولا يبرز من الشخصيات إلا التي كان لها وجود مؤثر في حياته ونفسيته . قدم إلى السعودية من مخيم في الأردن ،عاش فيه حياة فقيرة ،فوالده متوفى وأمه تعمل بالخياطة لتنفق عليهم ، لذا كان الفقر والرغبة في الزواج من حبيبته سببين جعلاه يتغلب على تردده إزاء فكرة السفر(١) .

---

(١) الطريق الى بلحارث ،ص ١٣٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرع الموقف في نقل إحساس المغترب الموزع بين حاضره المؤلم وهروبه الدائم إلى ماضيه ،الذى يمثله أهله وحبيبته ،التي تعلق بهـــا ، وطلب تعيينه في مدرسة بلحارث ليتمكن من البوح بعواطفه إلى أخيها منصور المدرس في المدرسة نفسها (١) . لا يحس بفرح حقيقي إلا حين يذكر آماله للعيش مع ناديه ،فيهرب من قسوة الغربة بتذكره لهـــا (٢) .

جاء سلوكه مقنعا ،ونتيجة لتفاعله مع الأحداث والظروف الـــتي مر بها ، فيعزف عن البقاء في الغربة ،ليعود إلى وطنه بعد معاناتـــه التمزق النفسي والمرض ، وبعد أن يترك كل شيء له حتى دفتر المذكرات الذى يمثل مرحلة مؤلمة لا يحب ذكرها (٣) ، نجح الموقف بالتمهيد لهـذا القرار من خلال موقفين :الأول : حين صور أثر موت طفل علي بعد ولادته بقليل في نفس عماد ، الذى أحس أن بينه وبين الطفل شيئا مشتركـــا هو الغربـــــة ، فالهالة العاطفية التي حطها الموقف نشأت منـــها توقعات واتجاهات لدى القارىء . الثاني : رد فعل عماد على موت منصور كان عنيفا ،أشار فيه إلى إحساسه لحقيقة حياة الغريب ،بعدها عانى مـــن حمى الاغتراب والضياع " تصارعني حمى من نوع آخر لا يعرفها سوى الغريب" (٤) .

شخصية علي ناعمة وظفت في هذه القضية .عرفناه من خلال سفره بالسيارة مع زوجته الحامل في الشهر التاسع (٥) ،التي ولدت طفلا فرح به علي ،لكن المولود مات ،لأنه ولد على تراب غير تراب وطنه ،ولقسوة الغربة التي تخلو من الرفق

---

(١) الطريق الى بلحارث ،ص ٣٩ .
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٧ .
(٣) ،(٤) المصدر نفسه ، ص ١١ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى بالأطفال [١] ، " فجر الذى أصر على الموت قبل معرفة هذه الذكريـــــات"(٢) ، ولقد رفض الطفل الحياة كما رفضته الغربـــة• كان لهذا الحدث أثر عميق في علي ، فبدأ يتغير ويبدو هـــــذا من خلال أمريـــن :

الاوّل : انقطاعه عن الإحساس بأي شيء ، ولا يكترث بالصحـف الآتية من الوطن ، دائم البحث عما هو سلّي [٣] •

الثاني : تصوبره لحياته بأنه يعيش كالكلب ، منسّي لا قيمـة له ، فالحياة في الغربة " كذبة تستهوى الانسان فيصغي لهـا جيدا ، يعيشها حتى إذا ما نظر إلى ساعته اكتشف أن أثمن أوقـات النهار قد ضاعت " [٤] • ولهذا يتخذ قراراً بالعودة •

وفي رواية " برارى الحمّى " ، نجد محمداً الراوى أبرز المؤلـف شخصيته بوضوح • ولعل قيمة الرواية تكمن في التصوير الدقيق لنفسيتـه وفي اللغة التي جاءت بهـــــا •

رسم المؤلف هذه الشخصية ببعديها الداخلي والاجتماعي وكـــان الثاني موظفا لخدمة الاوّل • أما البعد الخارجي فلم يعن به ، لانه لا يخدم دراسة نفسية محمد ، التي وظف الشخصيات والحوادث في الرواية لتلقي مزيداً من الضوء عليها ، ولهذا أجرى الرواية بضمير المتكلم ، ليتسنى له استغـــلال تيار الشعور ، والمونولوج الداخلي ، والتداعي ، وهذا تشترك فيه " الطريـــــف إلى بلحـــــارث " •

---

(١) الطريق الى بلحارث ، ص ٤١•
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٤•
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٥•
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٣•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمد مغترب، متعلق بماضيه المتمثل بأمه [١]، على علاقة جيدة بالعم مسعود صاحب البيت الذى يسكنه [٢]، وعلاقته بخيشان سيئة لخيرة الثاني منه على زوجته [٣]، يرتبط محمد بعلاقة عاطفية مع فاطمة المغتربة مثله ، وهي عنده بمنزلة أمه وأخية، فقد تخيلها حين يصل خبر موته إليها، [٤] يحب والدها ويتعاطف معه لاشتراكهما في الغربة نرى والد فاطمة يفهم محمداً حتى حين لا يتكلم [٥]. هذا في البعد الاجتماعي .

أما في البعد الداخلي فهو يعاني من الحمى والانفصام ، بسبب فقد القدرة على الانسجام مع البيئة ، فنراه يجرد من نفسه صديقا يشاركه العمل والغرفة ، نجح المؤلف في إعطاء دلائل تشير إلى أن ذلك الصديق لا وجود له إلاّ في ذهن محمد من هذه الدلائل :—

اولاً: معاناة محمد الحمى ، التي تؤدى في أقصى حالاتها إلى الهذيان ، فهو يمد أصابعه إلى أنفه ليبعد موجة البحر الباردة ، لكن يده تعود محملة بالجمر [٦].

ثانيا : حين أشار الى أن الليلة السابقة كانت تختصر تعب العمر ، فحالته حين استيقظ تدل على أنه المتكلم نفسه الذى تحدث في الجزء الاول من الرواية [٧].

ثالثا : ان باب الغرفة كان مقفلا من الداخل حين استيقظ فمن أين خرج صديقة المزعوم؟[٨].

رابعا :تعرف فاطمة عليه ودهشتها حين أخبرها باختفاء محمد [٩]. خامسا :حواره مع الضابط أظن

---

(١) ابراهيم نصرالله ، برارى الحمى، نشر مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ودار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٥، ص٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٩٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٣٩ .
(٦)،(٧) المصدر نفسه ، ص ١٠ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان صديقه يحمل الاسم نفسه والصفات عينها التي يحملها هو ،ووصول الضابط إلى قناعة بحالته المرضية بعد حديثه مع العم سعود الذى أقنعه بذلك(١) .

ونرى أن محمداً توصل إلى معرفة حالته " هل كنت مجنونا إلى هـــــذا الحد ؟ ... يقترب الصوت ،هل ما زلت تتجرع كأس الحمى ؟ " (٢) ، وهذه الإشارة ما كان ينبغي للمؤلف أن يعطيها ،لأنّ من يعاني الجنون والهذيان لا يعرف عن نفسه ،وإذا وصل إلى تشخيص حالته فهذا يعني خلوه من المرض.

وظف المؤلف الصديق الموهوم ،ليوضح الجوانب النفسية لمحمد من خـــلال التداعيات والهذيان والحوار المتخيل معه . فكل الاشياء والصفات التي أسقطهـــا على صديقه كانت له ، فهو لكرهه الغربة يرغب بالرحيل ،ويتنازعه الخوف مـــن البيئة التي يعيش فيها (٣) .

تظهر شخصية محمد منذ مطلع الرواية متميزة بالحزن ،نتيجة الإحساس بالغربة ،ولذا وصف ضحكته بأنها تقيم بين البكاء واللامبالاة ،وأن كل الاشياء سيئة سواء كان يعرفها أو يجهلها (٤) ،. لا يتوقع الا الشر ،تحتصره فكـرة الموت الذى يرى فيه مظهراً من مظاهر القهر (٥) ، وهو لا يرى في الطبيعة إلا شكلا آخر من أشكال الرعب ،فصبت شمران حرب غير معلنة بين الحياة والموت ، ووحش يأكل من يسكنها ويتركهم للحمى (٦) ،ولذا يتمنى لو ابتلعته الارض لأنه لا يشعر بالحياة " يلزمنا أن نكون موجودين في الاماكن التي تسكنها ، ونحن هنا غير موجودين في أماكن ليست موجودة " (٧) . فهو لا يرى فـــي

---

(١) براري الحمى ،ص ٨٦.
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٥٦ .
(٣) انظر: المصدر نفسه ،ص ١٩ ، ٤٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٣٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨ ، ١٠ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٦ ، ١٥ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ١٩ .
(٧) المصدر نفسه ،ص ٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غربته إلا الشوك والصبار والغربان والعقارب والقرود (١) ، ولم يقتصر إحساسه بالقهر على هذا ،بل تعداه إلى الناس فهو يكره الشرطة والشيوخ فيهما من عوامل الفساد ،لذا كره أن يعود صديقه بعد رحيله لأنه سيعود للحمى والاغتراب (٢) . ونتج عن ذلك شخصية تنكر الحقيقة التي إن وجدت فانما توجد على شكل حمى أو هذيان (٣) ،وفقده الأمل بوجود الخير ،فينصح أبا محمد أن يكف عن محاولات الزراعة" عبثا تحاول أن تجعل من هذا الرمل أرضا " (٤) . وفقد الأمان والسلام الذي كان يبحث عنه مبرزا ذلك في رغبته في امتصاص غضب العمة جراده " أما انت فكنت تبحث عن وسيلة تعيد للجو ... طبيعته تحية الصباح التي يلقيها الجار على الجار " (٥) . ونتج عن الإحساس بالغربة والضياع التصوّر الوهمي للمكان والزمان (٦) .

أما الشخصيات التي مارست حضوراً غير مباشر ،فكانت سطحية وهي " الأداة الضرورية للتعبير عن نوع واحد من رؤية الحياة" (٧) . نجدها

---

(١) براري الحمى ،ص ٥١ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٢، ١٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٥٢ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٢٠ .
(٦) سيأتي بالحديث عنهما في موضع آخر من الفصل .
(٧) ادوين موير ،بناء الرواية ،ترجمة : ابراهيم الصيرفي ،الدار المصرية ، د . ت ،ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في شخصية منصور المدرس المغترب في " الطريق الى بلحارث " ،يكره الغربة خاصة للمرأة (١) ،متعلق بالحياة التي تمثلها ظفرة ،يسعى للحصول عليها وعلى اللذات جميعها من شرب الخمر وإدمان مخدر ونساء (٢) ، فيصادق بوعيظ لاشتراكه معه في ميوله على الرغم من عدم تكافؤ العلاقة عكس الموقف من خلاله التمزق والحرمان الذى يعانيه المغترب ، لذا نجده لا يفكر في وطنه لأنه ما به من ضياع يشغله . لكنه يعجز عن التمتع بالحياةفي الغربة ،فحين جاءته ظفرة بعد جهد كان في عداد الأموات ،إشارة ناجحة من الموقف إلى أن الحياة تجانب الغربة وتقف معها على النقيض .

في "بوارى الحمى " نجد شخصية أبي محمد المغترب الذى كان عرضة للاستغلال من قبل أحمد لطفي ،وينتهي به الأمر إلى الإقامة في العراء مع ابنته ،ثم النوم في مخزن يعود إلى أبي عبد الرحمن طي" بالأفاعي (٣) . يحاول خلق الحياة في أرض غريبة فيفشل مراراً ، ذلك أن الغربة تقتل الحياة ،وهذا الموقف يقابل موت طفل علي في " الطريق الى بلحارث " .

فاطمة شخصية أخرى للغريب المستغل ،تتكرر صورتها وهي جالسة والأيادى الكثيرة تمتد إلى صدرها لتحلبها (٤) ،تعاني الحزن والاغتراب ،فتحث والدها أبا محمد على الرحيل ،وحين بلغ بها الألم مبلغاً عظيماً نراها تموت متفجرة ،لأنها لم تستطع الانسجام مع البيئة جاء انفجارها غير مبرر لم يمهد له الموقف . الذى أحسن توظيف أبي محمد وحمل شخصيته كثيراً من الدلائل الغنية .

---

(١) الطريق الى بلحارث ،ص ١٨، ١٩ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٣، ٦٢، ٧٠ .
(٣) بوارى الحمى ،ص ٧٤ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٧٠، ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القضية الثانية : الواقع الفلسطيني بعد نكبة عام ١٩٤٨ . تنوعت الرؤى فيها فنجد النظرة التشاؤمية في رواية " المتميز " لمحمد عيد ، فهيت نوال عبر عن رؤية قاتمة فيما يتعلق بالمقاومة لإعادة فلسطين ، فبقاؤها وعودتها لنشاطها يعني الأمل ،وهذا ما جعل الراوي يسعى إلى تغييرها - بعد إحباط الحرب لها -ليعيدها إلى سابق عهدها ، وقد نجح .

نجد الرؤية المتفائلة في رواية " المخاض " التي تنبئ بانتهاء الاحتلال وكل الخونة حين اختار مصير القتل لأبي علي المخاتير ونواف ، وهذا مقترن باحياء المقاومة حين جعل أحمد اليعقوب المناضل يتزوج من سعدة رمز الثورة .

أما الرؤية الضبابية فتمثلها رواية " وقت " لم يتخذ الموقف موقفا ، بل اقتصر على تناول واقع الفلسطينيين في المخيمات بعد ١٩٤٨ من خلال حركتهم الجماعية فيها ، لذا ظهر المخيم عقلية تعبر عن الجماعة .

تنوعت الشخصية الفلسطينية تبعا لتنوع الرؤى ،فنجد الشخصية المحبطة يمثلها الراوي في " وقت " و " المتميز " ،والشخصية الإيجابية الفاعلة تمثلها نوال في " المتميز " وشهاب في " وقت " ، ومصطفى الحسن وأحمد اليعقوب في " المخاض " ،ونجد الشخصية الخائنة يمثلها نهيل ووالده في " وقت " والمختار ونواف وأبو علي في " المخاض " . هذه الشخصيات جميعها يمكن العثور عليها في المخيم الذى عومل كشخصية تنبئ عن ذلك المجتمع في رواية " وقت " لجمال ناجي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نرى في المخيم المسؤولين أبعد ما يكونون عن الجماعة ،وأقل شعوراً بها ،فإمام الجامع مثل السلطة الدينية لا يكترث بما يصيب المسجد ،ولا يأتي إليه إلا يوم الجمعة (١) . ومدير المدرسة مثل السلطة الإدارية الفاسدة يحابي قوى الخيانة المتمثلة في نبيل ووالده ،يظهر هذا في موقفه من شهاب(٢).

أما جماعة الناس فهم يعانون الفقر ، لهذا يحرم الأطفال من أشياء كثيرة يحبونها ،فيجمعون النحاس والألمنيوم ... ليتمكنوا من ركوب الدراجة (٣) ، ويمارسون هوايات وضيعة لا تكلف مالاً كجمع الجنادب(٤) . تظهر الجماعة متعاونة يبدو هذا في بنائهم المتداعية ، وهو يشير من جانب آخر إلى وجود النزعة الدينية فيها . يتسم المخيم بمستوى ثقافي متدن يبرز في رؤيتهم للمرأة ،ورسوخ الخرافة في عقولهم(٥) . ويشير المؤلف إلى وجود تيارين : ديني ويمثله أبو فتحية الذى يقبل الخرافة ويعلل الأمور بلا منطق . أما الثاني فيمثله والد الراوى الذى يتجه اتجاها اشتراكيا وهو في عقليته عكس التيار الأول ، ويرى الخلاص بالتعاون مع روسيا (٦) . لكن هذا الاتجاه قليل الانتشار فالناس عموما يفتقدون الوعي والإيجابية ،ذلك أنهم يتشغلون بالوطن لكنهم لا يفعلون أكثر من المناقشات التي تظهر اهتماما عاطفيا مجرداً من الوعي ،فيحكمون على عبد الناصر أنه سياسي قدير ،لأن جسمه يدل على ذلك . وتتجلى سلبيتهم في خوفهم من أبي نبيل ،فعلى الرغم من كرههم له ،وعلمهم بفساده وخيانته إلا أنهم لا يتخذون أى إجراء ضده حتى حين يعتدى على أحدهم كأبي سليم الذى

---

(١) جمال ناجي ،وقت ،دار ابن رشد للنشر والتوزيع ،عمان ،١٩٨٤ ، ص .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٤٤ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٤٩ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ١٠١ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ٥٥ ، ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هدم سور داره ،وشهاب (١) . هذا من حيث المخيم أما الفئات الأخرى من الشخصيات : -

اولا : الشخصية السلبية المحبطة يمثلها الراوى في كل من " المتميز " و" وقت". ففي الأولى يبدو سامي مغتربا حزينا ينعكس هذا في إحساسه بالغربة عن أشيائه الخاصة ،وفي رؤيته للطبيعة التي توحي له بالعدم (٢) ،وقد رافق هذا شعور بعدم الاستقرار ، نتيجة القلق الذى يعيشه الناس في وطنه ، يعيشون الحرب التي لا ترحم حتى الاطفال " الحرب في داخلي في داخلنا جميعا ،أدركت العالم وهو يعيش حالة الحرب " (٣) ، فحياتهم رخيصة لا قيمة لها ،لذلك يستشعر ظلما جعله يرفض العالم (٤) . ويتقلب في اختياراته ،فبعد أن عمل في مصنع تراجع وقرر الالتحاق بالجامعة ثم تراجع عن ذلك (٥) وما سبق لم يصنع منه الا شخصاً سلبياً يتخذ قراراً بالسفر لتخلص من واقعه " فالناس يقتلون هنا كل يوم " (٦) . ويحس بهدوء بعد خوف حين تجاوز حدود الوطن " أحسست بهدوء مشوب بقلق غامض ،اني كجندى أخرج من ساحة المعركة " (٧) .

تبدو سلبية في عدم اشتراكه بمنافشات زملائه الأوربين عن الشرق الأوسط ، فهو يعجز عن إيجاد الطريقة التي يتحدث بها ،وإن وجد فهو يرى أن هذا لا يجدى . ويعجز عن حماية صديقه حين كان يشترك في المقاومة - الذى قتل في المكان الذى كان سامي مسؤولا عنه- ويعجز أن يكون ايجابيا" لم لا أتدخل لأغير شيئاً من الأمر" (٨)،تمثل تغييره في قرار الهرب إلى مكان لا حرب فيه ،

---

(١) وقت ،ص ٦٧ .
(٢) محمد عيد ،المتميز ،مطبعة الشرق ،عمان ، ١٩٧٨ ،ص ٨.
(٣) المصدر نفسه ،ص ١١ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٥٠ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٩٣ ، ١٤٠ .
(٦)،(٧) المصدر نفسه، ص ١٣٥ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كشفت أندرية عن سلبيتة حين ذكرت أن ما ينقصه الجرأة ،وهذا ما يقره هو " فوجودى هنا قد يبدو نابعاً من كوني لم امتلك هذه الجرأة ذات يوم " (١) .

يتخذ قراراً بالعودة إلى وطنه ليس لإيجابية فيه بقدر ما هو تقزز من حياته في الغرب بعد فقد أندرية " كل شيء حولي يبعث على التقزز ، ولا مجال لندم أو تمن أو حتى قول شيء "" (٢) ، فالوطن يبقى رحيما أكثر من الغربة ،وحين يعود لا نجد أثراً في نفسه لنبأ الحرب ونتائجها ، فلا يعلق على الأحداث بأكثر من عبارة حاول فيها أن يخرج من سلبيته فيقول لنوال:" لا أدرى في الحقيقة من منا السجين ،ومن منا الطليق ،فكل منا عاش الحرب بطريقة مختلفة " (٣) . فهو لم يستطع التخلص من أسر الضياع والغربة والخوف التي امتلكته بعد نكبة ١٩٤٨ . الحرب التي قتلت كثيراً من أصدقائه ،الذين شاروا على الذل بينما اخذ بعضهم طريق الهجرة من الوطن . وهذا يشير إلى أن عدد السلبيين زاد بعد الحرب التي كانت مدمرة . فلجأ الناس نتيجة الإحباط والقمع والمطاردة إلى المخدرات ، وتمنوا لو لم تحدث الحرب " أحمد ربك اللي ماكنتش هان "(٤) ، ولهذا نزح الفلسطينيون (٥) .

---

(١) المتميز ،ص ٤٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٧٧ .
(٣) المصدر نفسه ،ص٩٢ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٩٤ .
(٥) المصدر نفسه ،ص١٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن هذه السلبية ينبغي ألا توهم بخلو سامي من الحس الوطني ، فهو متمسك بقومية ولغته " أريد أن أتكلم بلغتي تلك التي أستطيع بها قذف نفسي في وجه العالم ،أريد أن أتكلم عن شيء محدد - أنا" (١) ، وهو دائم التفكير بفلسطين لكنه عطياً لا يفعل شيئاً حتى التعبير عنه ،فهو يجيب بلا أدرى حين تساله عاملة المطعم عن الفدائيين الذين خطفوا طائرة أمريكية " كنت أريد أن أصرخ في وجهها أنهم أناس فقدوا كل شيء ويحاولون استرداد بعضاً مما ضاع " (٢) . ويبدو تعلقه بوطنه في إحساسه الدائم بالغربة ، ومحاولة رسم صور من يعرفهم في بلاده (٣) ، وأحب أندريه لأنها تملك ملامح غربية ،وتعرف قليلاً من لغته (٤) ، ويعشق موسيقى تشايكوفسكي ،لأن فيها رنة حزينة كتلك التي في المواويل الشعبية في بلاده (٥) ،ويحب القهوة " أشعر أنها تشدني مئات السنين إلى الخلف " (٦) ،ونتيجة لتعلقه بوطنه يحرص على النظر إلى صندوق البريد علّه يجد رسالة منه ،وإحساسه الدائم بضرورة الاتصال بأصدقائه في أرض الوطن (٧) .

جدير بالملاحظة أن السلبية لم تكن صفة الراوي وحده ، بل اشترك معه فيها كثيراً من الفلسطينيين ،نتيجة رؤيه المؤلف التشاؤمية ،فهو يجعل المدينة تخلو من المقاومين ، ويهرب أبناؤها الى الخارج ،ما فتئ الإشراقة الوحيدة التي جاء بها " الغريب اننا اكتشفنا بعد ذلك أن عدد

---

(١) المتميز ،ص ١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
(٣) ، (٤) المصدر نفسه ،ص ٤٣ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٤٦ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ٤٩ .
(٧) المصدر نفسه ،ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأطفال الذين ولدوا في المخبأ أيام الحرب يفوق عدد الذين سقطوا "(١).

تبدت فاعلية الراوى وخروجه عن سلبية في قراره بالزواج من نوال المحبطة ، وتغيير نفسيتها ، فجعلها تنزع صور الأموات عن الجدران، وتغير اللون الرمادى الذى ترتديه ، لتعود إلى انطلاقها في الحياة ، وإحساسها بالحيوية ، وقد تغيّر سامي تبعاً لذلك ، لكن المؤلف مدفوعاً بنظرته القائمة جعل نوال تموت ، وسامي ينهار.

استطاع المؤلف تقديم شخصية سامي فنياً ، وظف لذلك أساليب فنية كالتداعي والمونولوج ، والرسائل ، خلا تقديمه من التناقض ، فجاءت الشخصية نامية: تصرفاتها نتيجة طبيعة لتفاعلها مع الأحداث .

وفي رواية " وقت " نلتقي بشخصية سلبية أخرى تتمثل في منير ، الذى اتسم بالجبن والخوف ويبدو هذا في خوفه من نبيل الخائن إلى درجة الرعب " تلك كانت أيام الخوف لا مفر من نبيل إلا بالسكوت عنه ، واحتمال صفعاته ، كل الأولاد يسكتون عنه إلا شهاب ، أما أنا فواحد من مئات التلاميذ الذين لا يجرؤون على التصدى له ، وكيف أعارك نبيلاً ابن أبي نبيل الجر" ؟(٢)، كان عاجزاً عن حماية نفسه وفتحية ، ولسلبية لا نراه فاعلاً إلا في أوهامه ،فيمارس مواجهة لنبيل نظرياً في ذهنه ، وحين يكبر سيقى الخوف رفيقه ، فحين اكتشف نبيلاً وهو يمارس الجنس بطريقة غير مشروعة مع أحدى فتيات المخيم هدده الاخر وأهانة، كي لا يخبر أحدا وقد التزم بذلك (٣) ، ويبدو عجزه في موقفه من خطبة نبيل لفتحية ، فلا يفعل شيئا غير البكاء والحزن ، ويسلبني الحزن والعجز قدرتي على الابتسام "(٤)، وفي عجزه عن التصريح لها بحبه .

---

(١) المتميز ،ص ٨٣.
(٢) وقت ، ص ٣٦.
(٣) المصدر نفسه ، ص١١٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاطف المؤلف معه فجعله يخوض اشتباكا مع نبيل ،ليخرج بعده منتصراً ،بطريقة تخلو من الإقناع على الرغم من محاولته التمهيد لهذا حين جعل الراوي يعزم على ذلك ،كي يحصل على تقدير فتحية ،وحين جعلـه يزداد وعياً سياسياً بفضل شهاب ومركز الشباب الذي انتسب اليه ،فصـار يشترك في المناقشات السياسية ،لكنه لم يقبل الاشتراك في المقاومة بدعوى أنه لا يحب اتخاذ القرارات السريعة ،وهو لم يأخذ قراراً حتى نهايـة الرواية (١).

لم يعن المؤلف برسم شخصية فنية لأن همه انصبّ على تصوير واقـع الفلسطينيين في المخيمات بعد نكبة ١٩٤٨ . لذا نجده في كثير مـن الأحيان يأتي بالشخصية ليبرز من خلالها صفة واحدة ثم يختفي وجودها ، كحماد العتيق وأبي خالد وأبي سليم وأبي شنب وغيرهم ،لهذا لا تعثـر على شخصية رئيسية في الرواية ،بل وزع اهتمامه على شخصيات مثّل كـل منها فئة من الفلسطينيين ،فجاءت شخصيات إنسانية تحوي صفات عامة .

ثانيا : الشخصية الإيجابية الفاعلة تمثلها نوال في " المتيز " (٢) ، ونبيل في " وقت " الذي تهدو إيجابيته في موقفين : الأول : انعدام الخـوف في نفسه من نبيل ،فتصدى له حين اعتدى عليه الأخير بالشتم،ولم يمنعه الحبس والضرب من التصدي له مرة أخرى (٣) ،لذا حاز على شعبية كبيرة بين أولاد حارته الذين أحبوه . الثاني : اهتماماته الوطنية ووعيه السياسي ،وقد كان هذا محور حياته ،فانتظم في تنظيم سري دعى اليه ،ونشره ولعب دوراً هاماً في مركز الشباب " والحرب يا شهاب عالمك ،الحرب دفقة الشباب في جسمك الصلب ،في عروقك الخضراء "(٤) .

---

(١) وقت ،ص ١٤٠ ، ١٤١ .
(٢) ورد الحديث عنها في الفصل الثاني .
(٣) وقت ،ص ٣٣ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي رواية " المخاض " تعثر على هذه الشخصية متمثلة في حنان(١)، وفي أحمد اليعقوب الذى جاء نموذجاً مسطحاً للجندى المجهول ،الواعـــي بما يدور في وطنه على الرغم من مظهره العابث ،الذى يتخذ منه ستـــاراً لنشاطاته ،يدل على هذا وعيه وهو في حالة السكر حين يعلن في طريقـة غير مباشرة عن معرفته بقاتل أبي علي ،وتنبأ بقتل بقية الخونة (٢) ،لهذا كان مثار أعجاب الناس فمصطفى الحسن يقول : " كنت أتمنى لو أصبح مثل أحمد اليعقوب " (٣). مصطفى الحسن نموذج آخر للثأر " إننا نتوارث المـــوت الحكر " (٤) . كان يقوم بتنظيم الشباب لقتال المحتلين (٥)،وكان واعياً لقضيته ظهر هذا في رفض تدخل شمعون في التحقيق في مقتل أبي علي ، وكشف عن نيته من ذلك بأنه ما جاء إلا ليمثل حكومة روفه ديمقراطية،وكانت نهاية مصطفى الاعتقال والموت تحت التعذيب (٦). جاءت الشخصية الإيجابية سطحة ،أراد المؤلف توصيل فكرة محددة من خلالها.

ثالثا : الشخصية الخائنة يمثلها نبيل ووالده في " وقت" . اتصفـت هذه الفئة بالخيانة والتواطؤ مع الأعداء ،فأبو نبيل أخبر عن حماد العتيق الذى ذهب مقاتلاً الى فلسطين (٧) ،ليقبض ثمن ذلك ويثرى ،ارتبط هو وابنه بصداقات وعلاقات مع رجال غرباء عن المخيم الذى انعزلا عنه. لا يشعران مع أبناء المخيم فنبيل يضحك لرؤية الأولاد يتألمون من الدبابير التي تهاجمهم (٨) ، لا يؤمنان

---

(١) ورد الحديث عنها في الفصل الثاني .
(٢) المخاض ،ص ٥٧ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١١٢ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٩١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ٨٠ .
(٧) وقت ،ص ١١ .
(٨) المصدر نفسه ،ص ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقضية وطنية ،ويحاولان إحباط أية مشاعر حولها ،وهذا يتضح في الحوار الذى دار بين الراوى ونبيل (١) ،فالوطن عنده ليس سوى كومة من الحجارة والصخور التي لا تستحق العناء ،وهذا يجعله يتقبل وجود إسرائيل واحتلاله لفلسطين "أخذاً بعبداً" الذى يتزوج أمي يصير عمي" (٢) .

وفق المؤلف برسم هذه الشخصية فنياً قدمها من خلال الحوار والحدث ،وحديث الشخصيات الأخرى عنها تبين سماتها بطريقة بعيدة عن التقرير السردى ،لكنها تبقى نماذج مسطحة قدمها بصفات عامة لتمثل فئة .

في رواية "المخاض" تلتقي بهذه الشخصية من خلال المختار الذى يمثل مع نواف وأبي علي فئة الخيانة ،فالمختار وأبي علي تابعان لنواف الخائن الذى لا يراعي إلا مصلحته ،مجرد من المثل والمبادئ فهو يتملق الحكام الإسرائيليين (٣) ،عدائي لشعبه ووطنه . "والله أخبث من هيك شعب ما في" (٤) ،لا يعمل إلا على نشر الفساد علّم أبا علي طرقاً جديدة لاستغلال الناس(٥) ،فالمختار وأبو علي من صنائعه ،وهذا سر خوفه حين قتل أبا علي ،فقد خشي أن يكون هذا بداية تصفية للخونة ،يخلو من الخلق يظهر هذا في علاقته مع هنادى وفي هذا يشبه نبيلا (٦) ،وكما فعل والد نبيل حين أخبر عن حماد العتيق صنع نواف حين غرر بمحمود العبد الله ،وأخبر عنه الاحتلال حين ذهب الأخير بعملية مقاومة (٧) .

---

(١) المخاض ،ص ١٦٨ - ١٧٠ .
(٢) المصدر نفسه،ص ١٧١ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٥ .
(٤) المصدر نفسه ،ص١٣ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٤٨ .
(٦) المصدر نفسه ،ص ١٠٦ ،وأنظر: وقت ،ص ١٧٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أبو علي فهو يستغل السلطة ، يأخذ الاتاوات والرشاوى ، ولتحقيق مكاسب كبيرة كان يستغل وظيفته في الشرطة فيمارس أشكالا متنوعة من التعذيب تحدث عنها مصطفى الحسن في مذكراته ، الذى شلّ النصف الأيسر منه نتيجة تعذيب أبي علي له (١) .

جاءت هذه الشخصية في الرواتيين سطحة ثابتة وظفت لتؤدى معنى محدداً . تشترك مع هذه الشخصية في دائرة الفساد ، لكنها تخرج عن نطاق القضية الفلسطينية شخصيات أخرى يمثلها مدير المدرسة في " الطريق الى بلحارث " و " برارى الحمى " ، وأحمد لطفي مدير التعليم والشيخ حجر صاحب المدرسة والضابط جابر رئيس الشرطة في الرواية الاخيرة .

ظهر مدير المدرسة مزواجا ، لاهثا وراء المال ، يسعى للحصول عليه بوسائل غير شريفة (٢) . يخلو من الخلق النبيل ، فعمل على الاستيلاء بطريقة الحيلة على زوجة بوعايظ حين أعجبه جمالها (٣) . وهو يقابل شخصية الشيخ حجر في " برارى الحمى " ، أمام المسجد وصاحب المدرسة ، فقام برشوة مدير التعليم بدعوته إلى وليمة مليئة بالخمر والجنس حتى يسمح له باقامة مدرسة بلا مقاعد (٤) ، وتوسط لعليه حتى لا يقام عليها الحد ، لأنه كان يريدها لنفسه (٥) .

---

(١) المخاض ، ص ١١٠ .
(٢) الطريق الى بلحارث ، ص ٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
(٤) برارى الحمى ، ص ٧٩ ، ٨٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضمن هذه الدائرة نجد أحمد لطفي المستغل المحتكر من خلال تاجر البيوت (١). يستند في ذلك على سلطة جابر " أسوأ من في البر وأكثرهم نفوذاً كانوا أصدقاء " (٢) . انتهازي ،مكروه من سكان القرية الذين لا يستطيعون التعرض له ،وهو كغيره ضمن هذه الفئة لا يكترث إلا بلذاته دون نظر إلى دين أو خلق ،فقد حاول اغتصاب عليّة (٣) ،لا تهمه سوى مصالحه التي تتعرض للكساد أن تحسن وضع القرية ،لذا كان ضد أي تقدم مقترح (٤) ومثله ابن عبده وغيره كأبي معيض.

أما الضابط جابر فلا يوعى واجبه ،صديق حميم لأحمد لطفي ،الذي يتعاون معه لإقامة بار (٥) ، ينقذه من كل خطر يمكن أن يتعرض له " لم تكن المرة الأولى التي ينقذه فيها" (٦) ، كذّب عليّة حين اخبرت عن محاولة لطفي لاغتصابها (٧) .

القضية الثالثة : الصراع بين القديم والحديث ،طرحت في " بيت الأسرار" التي انشغل بها المؤلف بالقضية ،مما تسبب عنه قلة الجهد الفني المبذول في بناء الشخصيات ،فجاء معظمها نماذج سطحية .

جاء بحث هذه القضية من خلال المرأة ،رمز إلى الحاضر بست الحسن ،ورمز إلى الماضي بوالدها ،الذي كون ثروته من سرقة المال ،الذي كانت تجنبه القرية خوفا" من ضرائب العثمانيين ،وهرب إلى الشام ،وهناك تزوج وتعلم القراءة (٨) ،مارس

---

(١) براري الحمى ،ص ٥٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٤.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٤.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٣.
(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٦.
(٨) هاشم غرايبة ، بيت الاسرار ،دار الافق ،عمان ، ١٩٨٤ ،ص ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التسلط على أسرته ، فهرب ابنه ،وماتت زوجته حزناً على ولدها ،ونتيجة لتعسف زوجها . ظهر الماضي منهزما في مواقف : -

الأول : هرب ابنه ،الذى لم يحتمل الظلم . الثاني : فشله في أعماله ، وتدهور صحته " ولم يعد للحياة طعم عنده ،واهتزت عقيدته من أعماقها ، وحار في أمر نفسه " (١) . واعتمد في النهاية على عمل ابنته ،التي اشتغلت بالغزل والخياطة (٢) .

أما الحاضر المثل بست الحسن ،فيبدو قويا منتصرا ظهر هذا من خلال : - أولاً : أنها أقدر على الحياة من والدها ،فهي التي استطاعت أن تسير ركب المنزل بعد كساد عمل أبيها . وهي التي استطاعت إنقاذ دحام بعد أن عجزت القرية عن ذلك (٣) . ثانياً : - تمردها على والدها وهي صغيرة ، ومواجهة بحقيقته " لقد كنت أنت أول المارقين " (٤) . وتمردها كبيرة حين خرجت لإنقاذ دحام ، ورأت في ذلك إنقاذاً لنفسها من الموت والتعفّن داخل البيت (٥) . ثالثا : تفوقها على أخيها في خلقها وعلمها ،فهو فاشل بينما هي استطاعت عمل ما عجز عنه (٦) . واعية لوضعها ولذا دائمة التطلع إلى الحرية والانطلاق من القيود التي تعيشها ،وجلوسها أمام صندوق العجب مظهر لذلك ،فهو يمثل انعتاقها من العزلة " وفرحتها ليس لما في الصندوق فحسب ،بل لرؤية الناس محتشدين ،لأنها نادراً ما

(١) بيت الاسرار ،ص ١٩ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٦٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت تراهم " (١)،ويبدو في حبها للربيع ،لأنه يعني الأمل " تحس به كشيء خارق يتفجر بشكل مباغت دون تمهيد أو إنذار ،كل شيء يتبدل " (٢) . رابعاً : يبدو صمودها في تراجع التيارات المضادة لها كوالدها ،والناس الذين أثاروا الشائعات ،وشككوا بعفتها ،ثم تراجعوا ،ليحيكوا حولها الأساطير ، " وبات الكل يتحدث عن فضائلها ،الكل يدافع عنها" (٣) . جاءت شخصية البيك مسطحة ليمثل الطبقة الغنية والجيل السابق . أما ست الحسن فهي شخصية نامية قدمها المؤلف من خلال الحوار والسرد وكشف عن صفاتها وتغيّر شخصيتها نتيجة ما واجهها من أحداث ،مارست حضوراً مباشراً فاعلاً ، ساهمت في تطوير الحدث وتبادل الأثر والتأثير مع الظروف . لكن ما يؤخذ على المؤلف أنه أنطقها بما لا يتناسب مع وضعها ،فلا يمكن لفتاة مهما بلغت أن تتمرد في ذلك الزمن ،وتخرج عن طوع والدها ذاهبة إلى حبيبها ،ولا يمكن لها أن تشتمه ،لكن المؤلف القى بكلامه هو على لسانها ما لا يتناسب معها ،ذلك أنها تخاف الناس ، ولا تستطيع مواجهتهم ،لكونها عاشت في عزلة بعد موت أمها وتسلط والدها فمن أين لها الجرأة لتتصرف هكذا ؟! .

القضية الرابعة : التفاوت الطبقي وآثاره طرحتها رواية " بيت الاسرار " ، بدا المؤلف ناقماً على الطبقة الأرستقراطية في تصويرة لها ، وفي إعطائه مصيراً قاتماً لها حين تنبأ بزوالها . مثلها البيك الذي لم يصب الغنى إلا على أكتاف أبناء قريته . الذين انسلخ عنهم ،فلم يشعر بمعاناتهم ،لأنه لم يحاول الاقتراب منهم (٤) . عاد إلى القرية

---

(١) بيت الاسرار ، ص ٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣١ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٣٣ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بسا البطربوش كدليل مادي على انفصاله عنها، وقد عاش في نعيم دون محاولة منه لمساعدة الناس للخلاص من القحط[١]. كان مجردا من أي انتماء وطني، فهو يرفض العمل في حكومة اربد، لأنه يريد أن "يجمع ثروته بصمت وتلذذ، ولا من يحاسبه ولا من التزامات المضاريف والوجاهات"[٢]، ولا يتحرك للذهاب مع الذاهبين لقتال الفرنسيين في سوريا "ولم يزر الشام طيلة تأزم الأحداث على كثرة زيارته لها في الأحوال العادية"[٣].

جاء مصيره مظلما، فنراه مهتزا من الداخل، وغير قادر على الاستمرار، تمثل ذلك في فشله في أعماله، وعدم استطاعته المحافظة على ثروته[٤]. وجاء تسلطه بعد ذلك تعويضا عن الضعف الذي يعانيه لكنه هزم حين هرب ابنه "وظهرت أولى علائم الاهتزاز في البيت الكبير"[٥]. وبطريقة تقريرية يشير المؤلف إلى أن نهايته ستكون الدمار، فقد قبع في قصره منتظرا الموت بعد تمرد ابنته وخروجها[٦].

جاء في مقابل هذا نموذج آخر من الطبقة الفقيرة يمثله دحام، الذي التحم في القرية بشدة، فساعدها في سنوات الجدب دون سؤال عن الجزاء، وتعاون مع الفلسطينيين في تهريب الأسلحة لهم[٧]، أحب الناس، "لذا كان يعمل معهم كل جهده مفضلا المشقة العضلية على المناكدة والمشاغبة"[٨]، ويبادر في دفع الأخطار عنها.

يبدو هذا النموذج أقدر على الحياة من سابقه، فقد فاز بمست الحسن التي خسرها الآخر[٩]، ولم يجرفه السيل على الرغم من عنف الفيضان وشدة تدفق الماء.

---

(١) بيت الاسرار، ص ٢٣.
(٢)، (٣) المصدر نفسه ص ١٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٦.
(٦) المصدر نفسه، ص ٦٤.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٥.
(٨) المصدر نفسه، ص ٤٢.
(٩) المصدر نفسه، ص ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلفية المكانيـــــة

لم تعن الروايات بهذا العنصر مثل " المتميز " ، في حين نجد بعض المؤلفين صور البيئة تصويراً يخدم فنية الرواية ، ويقرب الجو العام إلى القارئ من خلاله ، فظهرت بيئة المخيم والقرية والغربة ، وقد تفاوتت قدرات المؤلفـــين في توظيف المكان فنياً .

في رواية " وقت " قرب المؤلف الجو النفسي من خلال تصوير بيئـــة المخيم ، دل على الفقر الذى يعيش فيه الناس ، فالبيوت متراصة ، والعائلـة تسكن غرفة واحدة بابها عبارة عن تجميع قطع متفرقة من الأخشاب [١] ، أشـــار إلى عدم صلاحية المخيمات لإقامة الإنسان حين وصف أزقة المخيم المملـــوءة بالذباب والجراذين والروائح السيئة [٢] ، وبيّن الحرمان الذى يعانيه الناس حين وصف الملعب ، فهو قطعة أرض يمارس الاطفال لعبهم فيها بعد تنظيفها من الحجارة والمسامير ، وبعد أن يخوضوا حرباً مع أولاد الحارات الاخـــرى ، الذين يريدون الاستيلاء عليه [٣] .

أما بيئة القرية فنجدها في روايتين " بيت الأسرار " و " المخاض " . في الأولى حرص المؤلف على بث خصائص البيئة ، فقرب روحها من خلال اللوحات الدقيقة التي قدمها " هذا المساء ، قنوات لابّار لجمع المياه ، النساء يلقـــين بالقش إلى النار بكرم ، وينادين الأولاد ، الأطفال يغنون للغيث ، الأصـــوات مختلطة بتباشير المطر ، مرحة مندمجة ، متناغمة مع صوت الريح ، فتشكل خلفية رائعـــة

---

(١) وقت ، ص١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢١ ، ٣٤ ، ٤٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لصوت مزمار دحام "[١] • هذه اللوحة كثف منها المناظر الطبيعية الخاصة من خلال السلوك الذى يقترن بمجيء المطر ، كوجود النـــار والغناء للمطر ، وتفقد المواشي ، ويشير إلى خصوصية البيئة بذكـــر نباتاتها كالخبيزة والعكوب ، والأصوات المختلفة كثغاء الأغنام ، وصـوت الغناء والمزمار ، وما ينتشر في القرية من حكايات وأساطير [٢] ، وأمثال شعبية ، وجعل لغة الحوار باللهجة العامية •

يبقى نجاح الموظف في نقل روح القرية في رواية " المخاض " دون مستوى الرواية السابقة ، على الرغم من لجوئه في تقديمها الى اللهجة العامية في الحوار ، وإلى الأصوات وتداخلها كصوت الديكة وثغـــاء الأغنام ورنين أجراسها [٣] ، وإلى تميز القرية بعلاقات اجتماعية متينـــة قائمة على التعاون في كل أمر [٤] • إلا أن ذكر وجود الحديقة العامـــة في القرية كان غير مستساغ ، فقرية لا إضاءة فيها كيف توفرت لها حديقـــة عامـــة ؟ ! •

أما بيئة القرية فنجدها في رواتيين " الطريق الى بلحارث " و " برارى الحمّى " ، في الأول نجد عناية بوصف الأمكنة حسب انعكاسها في نفسية الراوى ، فظهرت مدينة جدة بتقنيتها الحديثة فاقدة لعلاقـــات اجتماعية خارج نطاق المال " والناس يتبادلون التحية وهم مسرعون ، يصلون ، يشترون ، يتلاعبون بالاسعار كيفما اتفق ، يبيعون ، ومدينة جدة دائمة البحـــث للحظة استرخاء وسكون " [٥] ، إشارة إلى افتقاد الغريب الراحة والاطمئنان فيها •

---

(١) بيت الاسرار ، ص ١٥ •
(٢) بيت الاسرار ، ص ٧ ، ٣٣ •
(٣) المخاض ، ص ٣ •
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٨ •
(٥) الطريق الى بلحارث ، ص ٦ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن المكان بمعزل عن نفسية الراوى ومعاناته ، فقد وظف كثيراً من الإشارات في وصفه ، ليعطي إيحاءات وأفكاراً راودته عن الغربة والسياسة [١] ، وعمّق من خلال التصوير احساس القارىء بما يعانيه الغريب ، يبدو هذا في وصف الطريق العودى إلى القنفذة ، ووحشة الليل الثقيل الذى يشعر بالضياع [٢] . مستعينا في وصفه بالأصوات والألوان والمناظر البشعة ، فالشاطىء مذبوح والأصوات القبيحة تملأ المكان [٣] ، ولا يرى في بلحارث إلا منظر طريق رؤوس النخيل ، والشمس الحارقة ، والمسالك الضيقة والكلاب الضالة وجشع سكان القرية كل هذا يعكس نفسية تفتقد التفاؤل والاستمتاع بأى شيء [٤] . وحين كان يحلم لا يرى المكان إلا في أبشع صورة ، فهو يحلم بعقرب كبير هرب منه ليلتقي بضبع خارج الغرفة [٥] ، حتى المطر رمز الخير رآه قاسياً شرساً .

نجح المؤلف في نقل روح المكان كما ينعكس في نفسية عماد من خلال التناقض الواضح بين رؤيته وبين رؤية بوعايظ ابن المنطقة ، الذى يراها أفضل من القنفذة ، ويعدد مزاياها وجمالها ، ليظهر الفرق بين رؤية الغريب الذى لم ير الجمال إلا في نباتات غريبة نمت حول البئر ، ولم يكن ليراه لولا تشابهها معه في الاغتراب [٦] . لكن المؤلف لم يبلغ قدرة ابراهيم نصر الله في " برارى الحمى " ، الذى وظف المكان فنياً كما لم يفعل أحد من روائينا .

---

(١) الطريق الى بلحارث ، ص ١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٨ ، ٦٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظهرت البيئة عنصراً من العناصر التي لجأ اليها المؤلف لكشف نفسية محمد ، فتمكن من خلال ذلك إيصال روح المكان ،الذى أظهره منسجما مع التركيب النفسي للشخصية ، لذلك لم يقدمه كما هو في حقيقة واقعه ، بل كما تتخيله شخصية مريضة بالفصام •

تجرى الرواية في ثريات إحدى قرى القنفذة ، التي ظهرت موحشة خالية من الجمال ، تثير الخوف والفزع ، وتوطد إحساس الغربة والقهر والإحباط واليأس في نفسية محمد ، الذى لم يستطع الانسجام مع البيئة فانفصم ، وهذا ما أبرز الإحساس الوهمي للمكان ، فكرهه للصحراء جعله يرى المسافة التي تفصل بين السريرين صحراء ومسافات متولدة من الرمال والحجارة (١) • والشعور بقبح البيئة، فرأى القنفذة جسداً أكلته الحيوانات المتوحشة التي تقيم فيها كالكلاب والقرود والثعالب والذئاب والضباع والأفاعي وأسماك القرش والبعوض (٢) ، فهو لا يرى في سبت شمران إلا الصخور السوداء والقلاع القديمة بحجارتها الحادة كالسكاكين ، التي تخترق صدور العصافير وزرقة السماء ، فالبشاعة تحيط بها ، مملوءة بالشوك والصبار ، وهما النباتات اللذان ذكرهما في تلك البيئة •

أشار في تصويره للطبيعة إلى أنها عامل من عوامل القهر ، فكان يرى في كل مظهر من مظاهره هدماً لأبناء وموتاً لا حياة ، فالحجارة سكاكين تقتل الجمال ، وسبت شمران حرب غير معلنة بين الموت والحياة، ووحش يأكل السكان ويتركهم للحمى (٣) ، فالريح أفسدت ما كان يعطيه

---

(١) برارى الحمى ، ص١١ •
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٤، ٦٥ ، ٧٧، ٤٠ •
(٣) المصدر نفسه ، ص١٩ ، ٢٠ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو محمد في زراعة الارض [١] ، التي ينهي القوى فيها الضعيف ، فالقرود أكلتها الذئاب ، والديك استولى على الدجاجتين ، والثعالب خططت لأكل الديك [٢] . فالصراع علاقة تلك البيئة ، مما جعل محمد يتساءل في النهاية : أيهما يدفن الآخر داخله كي يواصل الحياة ؟ . لذلك نراه يسقط على الطبيعة أفكاره وخواطره ، فنجده يقرن بين الصياد وأحمد لطفي ، فكلاهما يستغل الأشياء لنفسه ويحرم الآخرين منها ، فالصبار يخزن الماء ، وأحمد لطفي يأخذ أقوال الناس ، ويقرنه بالذئاب والصقور [٣] .

اتخذ المؤلف من كائنات الطبيعة ومظاهرها دلائل وإشارات موجبة أغنت الرواية ، وعمقت معالجة فكرتها ، فحين صاح الديك بعد عامين كان هذا علامة على نبض الحياة وعودة الوعي ، بدليل أن الثعالب لعنته وخططت لاكله [٤] ، والعصافير أخذت حقها بنفسها حين هاجمت عرانيس الذرة ، ولم يمنعها من ذلك رميها بالرصاص [٥] لكن العجز لازم في تلك البيئة ، والتغيير فيها مستحيل " عبثا تحاول أن تجعل من هذا الرمل أرضاً [٦] ، فالقرود عجزت عن أخذ حقها ، وصياح الديك للمرة الثانية لم توثر في أحد [٧] ، والشر قائم لا يتزحزح ، فمحاولة جعل الخفافيش تعبث في الضوء كانت مستحيلة ، لأنها

---

(١) براري الحمى ، ص ١٤٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٧، ٧٥، ١٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦، ١١٧، ١١٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمثالها من البشر اعتادوا ممارسة حياتهم في الظلام [١] .

نجح المؤلف في إيصال روح المكان من خلال معالجته الدقيقة للطبيعة ، فالصحراء والبحر والرمال والطليان الذين يستخرجون المعادن ظاهرة العفن والظلمة والحرارة الشديدة والكائنات المتوحشة ، قربت الصورة وأغنت الرواية بايحاءاتها واشاراتها حيث ربط بينهما وبين الإنسان ، لإظهار فكرة الغربة والقهر والموت والرعب .

---

(١) برارى الحمى ، ص ٧٤ ، ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البناء

تنوع البناء في الروايات التي تناولها البحث بين هرمي ومسطح ودائري ، والأول أكثرها شيوعاً ، أخذت به ثلاث روايات " الطريق الى بلحارث " و" المتميز " و" بيت الأسرار " . أما المسطح فنجده في " وقت " ،والدائري في" بسراري الحمى " . وسيتناول البحث كل رواية على حدة لدراسة بنائها .

الطريق الى بلحارث

وظف المؤلف أساليب متنوعة كالسرد المباشر والحوار والمونولوج والتداعي والرسائل ،ذلك أن الرواية تجرى بطريقة الترجمة الذاتية ، مما أتاح له توظيف التداعي والمونولوج بشكل رئيسي ،عرفنا من خلالها مدى تعلقه بحياته في بلده ،وكشف الجوانب النفسية للراوى ،وحياته الماضية .

استخدم المونولوج الداخلي في تصوير نفسية الراوىوالصراع الذى يدور فيها " ماذا لو عرف أنني ذلك الوغد ، الذى انتظرها عامين كاملين . . . لماذا لا أصطاد لحظة صفائه وأفاتحه بحبي لها ؟ . . ." (١) ،لكنه كان ينبه أحيانا إلى استخدام المونولوج والتداعي فجاءا مباشرين ،وهذا مما يؤخذ عليه " أجبت بينما تراءت لي نادية على الغور : لماذا يصر منصور على نبش ذاكرتي" (٢) ، وقد ارتبط توظيف هذين الأسلوبين بالزمن الماضي ،بينما ارتبط السرد والحوار بالحاضر ،واعتمد على السرد في تقديم الشخصيات أكثر منه على الحوار ،فكان يشرح عواطفهم ،ومشاعرهم وما يحصل معهم بهذه الطريقة ،بدل أن يعطينا ذلك من خلال مواقف نابضة بالحياة (٣) .

---

(١) الطريق الى بلحارث ،ص١٩ وأنظر : ٢٤، ٣٨ .
(٢) المصدر نفسه ،ص٢٤ .
(٣) المصدر نفسه ،ص٤١- ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظف الحوار في تقديم الشخصيات قليلا ،إلا أنه كان يفشل أحيانا في ذلك ، لأن ما يقرره بالسرد يكرره بالحوار ،فيأتي بلا فائدة ،فبعد أن سرد وصفا للطريق جاء بحوار بين الراوى ومنصور يؤكد فيه ما سبق أن تحدث عنه ،وهذا يتكرر في غير موضع (١). وأحيانا كان يتدخل المؤلف بالتعليق ،ليوضح أمراً لا يحتاج إلى ذلك ،فحين ذكر منصور بوعايظ لم نكن بحاجة إلى تنبيه الراوى " منصور كان ينسي بين اللحظة والأخرى بأنني لا أعرف شيئا عن القنفذة وأهلها ،ولم يقل شيئاً عن بوعايظ " (٢) .

لكن هذا لا يعني أن الحوار خلا من التوظيف الفني فقد استخدمه لتعريفنا على شخصيات جديدة كظفرة ،ومعلومات جديدة ، كما لحوار بين الراوى وعليّ كشف عن صفات الأخير وألمح إلى وجود علاقة غير عادية بين منصور وبوعايظ (٣) . وجاءت لغة الحوار بسيطة تتداخلها العامية أحيانا قربت نفسية المتحاورين .

أما توظيف الرسائل فكان محدوداً من خلال رسالة واحدة (٤) ، كشفت عن تفاصيل علاقة الراوى بنادية وصفاته . ولم ينجح المؤلف في استخدام الهذيان والحلم على الرغم من محاولتة ،مع أنه لو أحسن

---

(١) الطريق الى بلحارث ،ص ٢١ - ٤٠ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٢ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٤٤ - ٤٧ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٦٣- ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استغلالهما لتحقيق مزيد من التعمق في نفسية الراوى أو منصور وهما في حالة الحمى ،لكن الموظف استغله بعد التنبيه المباشر إليه في جملة واحدة " الليلة فقد سمعت كلمة الاستقالة وهي تنطلق من فمك بينما كنت تهذى " (١) .

اتبع الموظف البناء الهرمي في الرواية ،التي قسمها إلى انتقالات معنونة بالأرقام ،وكانت انتقالاته لا سوغ لها ،كأن تكون لمجرد الراحة أو تغير في الزمن أو المكان كالانتقالة الرابعه والخامسة والسادسة والثامنة . لكن بعضها كان يحمل إشارة تمثل تغيراً في الحدث أو الشخصية أو المصير الذى انتهت إليه .

بدأ بذكر السفر ووصف مدينة جدة ،ثم انطلق بتداعياته إلى نادية ووالديه ،وتقديم تقرير سردى عن والدته ، ليدلل على الحياة الفقيره التي عاشها بعد موت والده (٢) . وقد أدخل تفصيلات لا مبرر لها ولا تخدم البناء الروائي كوصفة الدقيق لمجريات عثوره على فندق (٣) . وهذا جعله يطرح شخصيات يمكن الاستغناء عنها كبعرة صاحبة المقهى ،والخادم وموظف الفندق وزوج خالة الراوى .

يتعاقب السرد مع التداعي ليأتينا بمصادفة قدرية حين يجعل الراوى يلتقي بمنصور ،الذى سافر قبله بأسبوع فماذا كان يفعل في جدة؟ (٤) .

---

(١) الطريق الى بلحارث ،ص ١٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١- ١٢ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الانتقالة الثانية سرد للرحلة الى الفنفذة و تعريف بعلي وظفرة ،تمهيد للتغيير القادم من خلال الإشارة إلى الألم الذى تعانيه المعلمة . ولا يقدم جديداً في الانتقالات التالية كالتي كانت محشوة بتفاصيل زائدة ،حين تحدث عما جرى في إداره التعليم - إلا موت علي . والتعريف بقرية بالحارث ،وتوقفت حركة الحدث في الانتقالة الثامنة التي اقتصرت على رسالة من نادية .

تعود حركة الرواية من جديد بالمواجهة التي حصلت بين منصور وعماد حول علاقة الأخير بنادية وتخلل ذلك تصوير معاناة الراوى وصراعه وتتطور الأحداث حين يتخذ علي قراراً بالاستقالة من عمله بطريقة السرد الذى يبدو فيه كأنه يلقي محاضرة ،خرج فيها عن فنية الرواية حين بدأ يخاطب القارىء مباشرة " الحقيقة أن هذه الثرثرة غير لازمة لما أتلبسا بسرده " (١) . ويغرق في ذكر تفاصيل حالته المرضية واستئذانه من المدرسة ،وذهابه إلى بيته وغير ذلك مما يغرق الرواية بشيء (٢) . وتبدأ الأحداث سيرها نحو الذروة بعد إصابته بالحمى ،وتغير نفسيته حين ربط بين الحمّى والصحراء (٣) . لكن كثرة التفصيلات تعيق حركة الحدث ،كحديثه عما يجرى داخل غرفة الصف ، وحفل عرس حربان . وتصل الأحداث القمة بمعدمرض منصور وموته ،فيقرر عماد بعدها العودة محملاً بمرضه وضياعه وتمزقه النفسي .

---

(١) الطريق الى بلحارث ، ص ٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٨٦ - ٩٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظف المؤلف الرمز في الرواية مثلا في ظفرة التي لم تمثل شخصية فنية تكافئ عظمة الرمز الذى تمثله وهو الحياة • قدمها على أنها امراة سوداء جميلة في الثلاثين من العمر ، تركت زوجها لتعيش كما يحلو لها [١] دائمة الفرح تغني وترقص • كان المؤلف واعياً لتوظيفها كرمز فهو يؤكد ذلك " من هي ؟ ومن هو ؟ غريبان حطا على شاطئ ناء ، هو يؤكد الظفر بها ، لكنها بعيدة بعيدة "[٢]، فلو كانت ظفرة امرأة حقيقية بالمواصفات السابقة فما الذى سيمنع منصوراً من الحصول عليها ؟ لكن استمتاع الغرباء بها مستحيل فهم "لا يحتذبون انتباهها " [٣] فهي الحياة التي يحرم منها الغريب " ولا تستطيع التمتع بها ، فمنصور مات قبل تحقيق رغبته منها ، وحين جاءته بعد جهد وانتظار طويل يكون قد مات • فهي رمز للحياة بكل ما فيها من جمال ، وقد سبق الى هذا الفهم سالم النحاس في تعليقة المثبت على غلاف الرواية ، فليست ظفرة رمزا للجنس كما يرى الدكتور خالد الكركي [٤] •

بيت الأسرار

تدور أحداث الرواية قبيل وبعيد تكوين الإمارة في الأردن • يسير الزمن فيها في خطين : ماضي وذلك في سرده لتاريخ الشخصيات وحاضر في سير الحدث وتطوره •

---

(١) الطريق الى بلحارث ، ص ٣٢•

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٩•

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦•

(٤) خالد الكركي ، الرواية في الاردن ، نشر الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٨٦، ص، ١٠٥ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظف المؤلف أسلوب السرد المباشر والحوار ، وغلب الأول على الرواية ، ولم يكن يخلص السرد من تعليقاته فيحلو صوته أحيانا " صحيح ان الحياة أصبحت في منتهى الصعوبة والتعقيد ، لكنها قوة العادة هي الاقوى في الحياة ، والانسان قادر على التعود حتى الحياة الصعبة " (١) . ووظف السرد لتصوير الصراع النفسي ، وهذا ما جعله فاترا ، فلم يصوره بأساليب مناسبة له كالمونولوج (٢) .

أما الحوار فعلى قلته إلا أنه نجح في استخدامه ، فكشف مزيداً من سمات الشخصية ، استعان فيه باللهجة العامية مما قرب نفسية المتحاورين (٣) ، فحوار البنت مع والدها كشف عن مدى التسلط الذى يمارسه الاب ، ومما يلاحظ أن الحوار بينهما كان باللغة الفصيحة إشارة منه إلى اغترابهم عن القرية التي كانت لغة الحوار فيها مختلفة . ووظف الحوار لتطوير الحدث ، ففي حوار الابنة مع والدها كشف عن مقدار تأزم نفسيتها ، مما جعلها تطلب النجاة لنفسها والخروج من البيت (٤) . لكن الحوار كان يأتي أحيانا زيادة يمكن الاستغناء عنها ، ذلك لأنه يكون قد قرر ما فيه سابقا عن طريق السرد ، كالحوار الذى يبين سطوة البيك أو الذى يدلل على مكانة دحام عند النساء (٥) . وأحيانا يقطع الحوار ليعلق (٦) .

---

(١) بيت الاسرار ، ص ٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ ، ٦٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ ، ٤٦ ، ٤٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨ ، ٥٠ — ٥١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خضعت أحداث الرواية لمبدأ السببية ، فالأحداث فيها معلله غير متروكة لتوهمات القارى ، وإن وجدت مصادفة فيها فهي مقبولة فنياً كجرف السيل لدحام ، ومعرفة ست الحسن للسباحة ، التي تمكنت بها من حمايته • والانتقالات كانت سوغة فكل انتقاله كانت تحمل تعريفا أكبر للشخصية ، أو تحمل معها تطوراً بالحدث ، وقد سارت حركة الرواية دون معوقات ، فجاء بناؤها متماسكا فلم يذكر حكايات جزئية لا تخدم البناء ، واختار ما تحدث عنه اختياراً يخدم الخط الروائي •

بدأت الرواية بالمفتتح وأغنية يرددها الأطفال لفتاة البيت الكبير ، الغامضة بالنسبة إليهم غوضا بعث في أذهانهم الأسطورة والأسرار التي تعترى أبطالها ، فقرنوا بين البيت ومن فيه وبين الحكاية الشعبية ، التي تكون فيها بنت الغول سجينة (١) • وبطريقة تقريرية يضرح المؤلف ، بأن الاطفال حوّروا الاغنية بما يتناسب مع وضع بنت البيك ، الذى اتخذ في أذهانهم شخصية الغول ، مع أن هذا كان واضحاً ، ولم يكن بحاجة لتقرير المؤلف •

قسم الرواية إلى أربعة أقسام تحدث في كل قسم عن شخصية البيك وست الحسن ودحام على التوالي ثم وصول الرواية إلى الذروة والحل

---

(١) بيت الاسرار ، ص ٧ ، ٨ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الفصل الرابع " طوفان " • في القسم الأول تحدث عن البيـــــك، ووازن بينه وبين سكان القرية ، ويتناول تاريخ البيك وحادثة السرقة ، ومصير أسرته ، وفي الفصل تقديم للشخصيات بطريقة عفوية ، وإشارة إلى حركـــة الحدث في تمرد ست الحسن حين واجهته بحقيقة ، لكن صوت المؤلـــف يبرز في تعليقه " هل اهتزت الموازين في دماغه حتى يفكر هكذا ، لا غـــرو فاهتزاز هذه الموازين ••• هو بداية الزلزال ، وعلى ميزان الخاص لا يهـــم أكان الزلزال مفاجئاً عنيفاً أم هادئاً متلطفاً وممتداً ، لأنه في النهاية الدمار"(١)، وفي الفصل كرر ذكر سطوة البيك واستبداده • لينتقل لست الحسن فيعرفنا بمعاناتها ونشأتها وحديث الناس عنها ، وفي هذا تكرار لما سبـــق أن ذكره في القسم الأول ، نتيجة حديثه عن كل شخصية على انفراد ، لكـــن هذا لم يخل في وحدة البناء حيث كانت كل شخصية على صلة بالاخرى • جـــاء هذا الفصل ممهداً للحديث عن دحام وعلاقته بست الحسن •

رتب المؤلف في الأقسام الثلاثة الأولى الأحداث وتراكماتهـــــا التي أدت للأزمة في القسم الرابع ، الذى يتطور فيه الحدث بضيـــــاع ثور خليل وذهاب دحام للبحث عنه ، وينمو الحدث حين يأتي السيل ويجرف دحاما ، وتصاعد الحدث حين تعرف ست الحسن ما حصل معه من خـــــلال الأصوات التي وصلتها (٢) ، وتحركها لإنقاذة ، وتصوير الصراع الذى دار في نفسها بطريقة السرد ، واستخدام الحوار بينها وبين والدها لتطوير الحدث ، الـــذى انتهى بخروجها وتمردها طلبا للحياة (٣) وانتهاء الحدث بلقاء دائم مع دحام(٤).

---

(١) بيت الاسرار ، ص ٧٠
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٣٠
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤٠
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المخاض

وظف المؤلف أساليب متنوعة كالسرد المباشر ، والوثائق ، والمذكرات والتداعي والحوار • غلب السرد المباشر على الرواية ، التي كان الحديث فيها من خلال وعي الشخصيات ، ووظف الوثائق ليعرفنا على تفصيلات أكثر عن أبي علي [١] ، واستخدم مذكرات مصطفى الحسن لتقديم تحليل للشخصيات لكنه فشل في توظيفها ، فزيادة على الملل الذى اتسمت به فقد لجأ اليها بعد أن عجز عن تقديم الشخصيات بطريقة فنية [٢]، وفي هذا الجزء من الرواية يتوقف الفعل والحركة ، وتظهر المذكرات كتقرير سردى تجاوز فيها المؤلف شخصية مصطفى ليحل محله • ووظف تيار الوعي ليكشف عن أبي علي من خلال المختار وحديث عثمان [٣] • أما الحوار فقد نجح المؤلف في استخدامه فنيا ، كشف من خلاله نفسيات الشخصيات المتحاورة ، فمن خلال حوار نواف وأبي عامر تتضح كثيراً من الصفات الخاصة بكل منهما " أبو عامر : كل البلد عارفة بالموضوع ، لكن لو سألت أى واحد راح يعمل نفسه لا يعرف شيء • هيك اتعودوا ما يحكوا إلا مع الضرب • فرد نواف بغيظ : والله أخبث من هيك شعب ما في " [٤] • جاء الحوار بلغة تتناسب مع الشخصيات فلم يخرج عن وعيها ، بل انسجم مع مستواها ونفسيتها •

مما يلحظ في الرواية أن المؤلف كان يخرج أحيانا عن إطار الشخصية ، فيتحدث على لسانها بحديث لا يتناسب مع مستواها الفكرى والثقافي ، فجعل الناس تعلق على أحمد اليعقوب وابنته " أيهما صنع الآخر " [٥]• فهذه العبارة الغنية بدلالاتها يقصر عنها ابناء القرية البسطاء •

---

(١) المخاض، ص ٢١•
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٠ ــ ١١٢•
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥•
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢ ــ ١٣ •
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٦ وأنظر : ص ٧ ، ٩•

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظف المؤلف الرمز ، فالبندقية رمز للمقاومة ، وامتناع أحمد اليعقوب عن الخمر دليل على انبعاث الروح في الثورة التي رمز إليها بشخصية سعدة ، التي تزوجها أحمد اليعقوب في نهاية الرواية •

سار الزمن في الرواية في اتجاهين : ماضي متمثل في المذكرات والتداعيات ، وحاضر يتمثل في حركة الأحداث والحوار •

تقوم الرواية بالتركيز على فكرة ، ولذلك لا نجد عناية بالتصوير الفني للشخصيات ، التي وظفها لخدمة الفكرة ، فجاءت مسطحة • وظف المؤلف كل عناصر القصة ، كي يصل بالقارئ إلى فكرة المخاض والحياة في زمن التحولات وبث المقاومة من جديد •

قسم الرواية — ذات البناء الهرمي — إلى ثلاثة فصول ، بدأت بحادثة مقتل أبي علي واكتشاف الشيخ عثمان للحادثة ، لنتعرف من خلال ذلك على زمرة الفساد في القرية ممثلة في المختار ونواف ، ثم مجيء الحاكم الإسرائيلي للتحقيق مع الناس ، لمعرفة القاتل ، ويجرى التحقيق في المقهى ، ليكون وسيلة للتعريف بالشخصيات ، وتتوقف حركة الرواية في الانتقالة الرابعة من الفصل الأول ، التي يعرفنا فيها على محمود لعبد الله ، والشيخ عثمان ، الذى انتقل إليه انتقالا لا تمهيد له ، ثم يدعه لذكرياته ، ليضيء جوانب أخرى من ابي علي •

في الفصل الثاني يعرفنا المؤلف بذكريات المختار وعلاقته بأبي علي ، وتعود حركة الرواية من جديد يطلب شمعون عليا للتحقيق ، وتعريف بأحمد اليعقوب ، لينتقل بعدها إلى ابنته حنان ومكانتها في القرية ، بعد هذا التوقف تعود مسيرة الرواية من جديد في الانتقالة الثالثة ، التي يعتقل فيها علي ، ويحقق معه ، فيعترف عن التنظيم الذى يقوده مصطفى الحسن ، مما نتج عنه اعتقال الأخير وتعذيبه وموته ، لتصل الرواية بهذا إلى الذروة ، فيظهر من خلالها ردود فعل الناس تجاه ذلك ، وخشية المختار ونواف ، التي تبدو في حوار بينهما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكشف عن التوتر النفسي الذى يعانيه كل منهما ، ويبرز الصراع بين القرية والمختار بعد انكشافه لها •

في الفصل الثالث تصفية للخونة تتمثل في مقتل نواف والمخاتير في وقت متقارب ، وتيقظ أحمد اليعقوب لجمال مسعدة وزواجه منهـــا ، لكن قراءة شمعون للتوراه تبقى حركة الرواية في هذا الفصل بطريقة خطه •

كان تقسيم المؤلف للفصول إلى انتقالات ناجحا ، فقد كان تحمـــل دلالات عميقة كالتغير الذى يصيب الشخصيات والمصائر التي تنتهي إليها ، لكن انتقالاته أحيانا لا تحمل معنى فنياً ، فقد كانت تتم للراحة، والتغير في الزمن، ويحكمه الحجم كالانتقالة السابعة من الفصل الثالث وغيرها •

نجح المؤلف بالتمهيد للأحداث والتنبؤ لها ، ففي حديث أحمـــد اليعقوب للمختار أدرك القارئ أن الموت سيتناول الخونة ، ودلنا الخوف الذى أبداه نواف لمقتل أبي علي على أمرين : أن القتل يهدف إلى تصفية الخونة، وأن نوافا وأبا علي والمخاتير يربطهم خيطٌ واحدٌ (١) ، وقد حكم مبدأ السببية الحدث الذى خضع للمنطق ، مما جعل الرواية تخلو من المصادفات ، واشتركت الشخصيات جميعا في تسيير حركة الحدث والتفاعل معه .

المتمـــــيز

سارت الرواية بطريقة الترجمة الذاتية ، مما أتاح للمؤلف استخدام أساليب فنية متنوعة كالسرد المباشر والحوار الداخلي والتداعي والمونولوج ووظف الحكاية الجانبية ، وقد أحسن استغلال هذه الأساليب فنياً حيث كشف بوساطتهـــا نفسية الشخصيتين الرئيسيتين ، وطورت الأحداث من خلالها ، واستخدم أساليب أخرى كالرسائل والكوابيس •

---

(١) المخاض ، ص ١٢ ، ٥٧ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما بنيت الأحداث خاضعة للمنطق ، لانطلاق المؤلف من تبادل الأثر بين الفرد والمجتمع ، مما جعل الرواية تقوم على " التوازن بين الحدث والشخصية ، وبين الشخصية والوسط الاجتماعي الذى تكون فيه "(١) .

تقوم الرواية على دعامتين ١ • غربة سامي وضياعة وإحساسه الدائم بالقلق • ٢• حب سامي لنوال •

تبدأ الرواية بتصوير نفسية سامي واغترابها عما حولها ، فقد خرج من نكبة ١٩٤٨ مهدماً خائفاً مذهولاً ، لذا يتخذ قراراً بالسفر الى أرض لا حرب فيها ، فيسافر الى المانيا ، ومن خلال مونولوج داخلي يكشف عن عظمة ما يواجهه الفلسطينيون ، وما يعانونه بعد الاحتلال • ويعود ليسرد عن إقامته في المانيا ، وقراراته المتقلبة من العمل إلى الدراسة ، تخلل ذلك التداعيات التي كشفت عن ماضي الشخصية إلى سنوات طويلة تصل إلى الطفولة ، مبرزاً من خلال الحوار الداخلي علاقته بنوال ومدى تعلقه بها • يتعاقب السرد والمونولوج والتداعي الرواية ، ليكشف من خلال علاقاته مع النساء في ألمانيا ومناقشات زملائه وغير ذلك عن التمزق الذى يعيشه • ويقف طويلاً عند أندرية التي تعلق بها موظفاً أسلوب الرسائل ، ليخبرنا بتفاصيل علاقته بها • ويتعاقب السرد والمونولوج والتداعي الرواية ، ليكشف من خلال علاقاته مع النساء في المانيا ومناقشات زملائه وغير ذلك عن التمزق الذى يعيشه ويقف طويلا عند أندرية التي تعلق بها موظفا أسلوب الرسائل ، ليخبرنا بتفاصيل علاقته بها • ويعيدنا إلى نشأته وتطور حياته • تتحرك أحداث الرواية بقراره بترك الدراسة وقطع أندرية علاقتها به فيقرر العودة لوطنه ، ومن خلال الحوار مع أهله واصدقائه في الوطن نتعرف على الحرب وما آلت إليه ، وما عاناه

---

(١) عبد المحسن طه بدر، الرومية والأداة : نجيب محفوظ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٢٧ •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفلسطينيون من التشريد والإحباط . وترتبط خيوط الرواية من جديد بقراره بالزواج من نوال ،التي وظف السرد والحوار والرسائل والكوابيس للكشف عن شخصيتها والإحباط النفسي الذى تعانيه . ويقرر تغيير نفسية نوال وقد نجح في ذلك ،وتتأزم الأحداث بمجيء ساعة المخاض ،لتدخل نوال المستشفى وتموت ،ليعود هو إلى حالة من الضياع . والانهيار طيها .

وظف المؤلف الحكاية الجزئية ،ليكشف من خلالها مزيداً من الصفات ، كحكايته حين كان ينتقل صغيراً إلى المدرسة ،التي تبعد أميالاً عن بيته ، فبللة المطر ،مما استدعى جلوسه في غرفة المدير قرب المدفأة ،فلم تجف ملابسه إلا بانتهاء اليوم الدراسي . وحكاية دخوله البرج ليكتشف أنه كان فارغاً ،ليعمق إحساسنا بنفسيته التي نرى أن لا جدوى في أي شيء غير ذلك من الحكايات (١) . التي لم تكن بمعزل عن الخط العام للرواية بل وظفت لتؤدى دلالات معينة .

على تماسك البناء الفني في الرواية إلا أنه كان يخرج عن إطارها أحيانا ،بذكر تفاصيل لا تخدم البناء ،كالتي جاءت عن أندرية وبيتها في الانتقالة الخامسة ،والتي جاءت عن والده في الانتقالة الثامنة . لكن هذا لا ينتقص من قيمة الرواية شيئاً التي يقول الدكتور خالد الكركي عنها "إن المتميز عمل جيد ،ويمكن الإشارة إليه في إطار الروايات التي قدمت جديداً في حركة الرواية في الأردن " (٢)

---

(١) الرواية في الاردن ،ص ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقـــت

تصور الرواية واقع الفلسطينيين في المخيمات بعد ١٩٤٨ ،لذا لم يعن المؤلف بتقديم تصوير نفسية الشخصية ،بل تعرض لها بمقدار ما تخدم الهدف الذى توخاه ،فكان يقدم الشخصيات أحيانا ببعدها الخارجي أو الاجتماعي ،فجاءت ذات سمات إنسانية عامة تنطبق على فئة من الفلسطينيين ،ليرصد التغير الذى أصاب الحارة بطريقة تقريرية ويهتم بظاهر التغير كالعمل ولا يبحث عن علل هذا التغير.

كان الزمن في الرواية ماضياً ،امتد منذ طفولة الراوى الـــذى ولد سنة ١٩٤٨ الى بلوغه التاسعة عشرة سنة ١٩٦٧ .

بدأت الرواية بمقدمة موحية لما سيأتي ، بغرض تشويق القارئ لمتابعتها ،بدأها تبداع عن ماضيه وخوفه من نبيل ،الذى نقله للحديث عن فتحية وشهاب ،ومن خلال ذلك انطلق تبداعياته إلى أبي عباد العجوز وقصة حماد العتيق ،التي نقلته إلى الحديث عن أم فتحية ،لينطلق الى طفولته ورحلته اليومية إلى المدرسة ،فصور المخيم تصويراً دقيقاً في الجزء الأول من الرواية المعنون بـ" الرحيل من الأصفر الفاقع" ،فقد قســـم روايته إلى عشرة أقسام تضمن كل منها حديثاً وحكاية خاصة ،فالجـــزء الثاني خصصه للحديث عن أبي نبيل وموقف المخيم منه ،والجزء الثالـــث " الشتاء أيضا " وصف فيه الحارة في فصل الشتاء ،وفي الرابع " لكن أم فتحية " تحدث عن غرقها في الحفرة شتاء ،وفي الخامس " السابعـــة عشرة " ذكريات عن حياة الراوى وما طرأ عليه حين بلغ سن المراهقة ،وفي الجزء السادس " الصوت " ينقل التغير الذى حصل في فئة الشباب ،وفـي السابع " اشتباك " صور اهتمامات المخيم السياسية ،وفي الثامن " ذلـك الوقت " صور وضع الجماعة قبل قيام الحرب ،وفي التاسع حديث عن الجماعة وخبر الحرب ،ومواجهة الراوى مع نبيل الجسر ،وردود فعل الناس في المخيم ،وفي الجزء العاشر تحدث عن قيام الحرب سنة ١٩٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما سبق يتضح قيام بناء الرواية على حبكة مفككة تداخلت فيها الحكايات ، التي تبدو كل واحدة منها منفصلة عن الاخرى ،لكن المؤلف وحد بينها عن طريق البيئة المكانية ، ومواجهة الناس لحدث النكبة ،ووجود الشخصيات البارزة التي لم يكن ينسى ذكرها في أي جزء من عوامل الوحدة . فجاءت العلاقة بين عناصر الرواية بعيدة عن الافتعال ،لانبثاقها من الداخل ولم يكن التغيير مفروضا .

فرض البناء الأساليب التي استند إليها كالمونولوج الداخلي والحوار والتداعي ،والأخير سيطر على الرواية وكان يسير بطريقة متسلسلة في كل جزء من الأجزاء ، لكن المؤلف حين ينتقل الى جزء آخر لم يلتزم بالتسلسل،وقد يسرع في استخدام التداعي . أما المونولوج فقد استعان به المؤلف في تصوير الصراع الداخلي في شخصية الراوى حول عجزه عن مواجهة نبيل ،أو تردده في التصريح لفتحية بحبه (١) ،مما يؤخذ عليه أنه كان يقدم التداعي أحيانا بطريقة تقريرية مباشرة ، وحين استخدم المونولوج كان يفعل ذلك ولا يترك للقارئ استنتاجه " قلت في نفسي " وأنا أفكر من جديد" (٢) .

أما الحوار فقد وظفه في الكشف عن الشخصيات ،أو تقديم أخبار جديدة ،أو تطوير للحدث (٣) . نكشف من خلاله عن عقلية المخيم حول المرأة ،وبيان صفات أبي نبيل (٤) ،وقد جاء بلغة قريبة من العامية ،وأحيانا كان يستخدم بعض مفرداتها ،مما يجعل الشخصية أكثر قرباً من القارئ . لكن الحوار كان يأتي أحيانا زيادة لا سوغ لها ،حين يأتي بعد تقرير سابق لما

---

(١) وقت ، ص ٨٦ ، ٨٤ ، ٤٢ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٣) انظر : وقت ،ص ١٩ ، ٦٧ ، ٢٠٣ ، ١٩٦ ، ١٨٥ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٦٨ - ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه ،كالحوار الذى يجرى بين الراوى وشهاب (١). وتنوع أساليب السرد يمكن إرجاعها إلى طريقة المؤلف ،فهو يكتب روايته دون اتباع خطة معينة ، فلا ينتظمها خط يدل على وجود هيكل سابق لكتابتها ،مما جعله يذكر تفاصيل لا ضرورة لها ،كالتفصيل في وصف نبيل مع المرأة في الحفرة ،وفي تخيلات الأولاد عن الرياح ،وغرق أم فتحية ومحاولات إنقاذها وطريقة إخراجها ،ومما يتبع هذا التكرار الذى برز كثيراً في أجزاء الرواية ، كتكراره لمشهد المخيم ليلا ومنظر أبي عياد ،وخوفه من نبيل وكرهه له (٢).

براءى الحمّى

سارت الرواية تبعاً للبناء الدائرى ،فالجزء الأول والأخير حدثا في اللحظة الزمنية نفسها ويبينان الموت النفسي والغياب الروحي للشخصية تمثل بالفصام. استطاع المؤلف تجاوز محدودية الزمن عن طريق الارتدادات إلى الماضي ،وتعثر على زمن لا يخضع للتسلسل الظاهرى ، بل يخضع لغوص نفسية ومشاعر متعبة كما صورها عالم اللا شعور والحلم والهذيان " تلك الكتلة الضخمة من الحوادث النفسية المختلفة ،التي لا يحيط بها التركيب الشعورى ،ولا تكون تحت تصرف الشعور المباشر " (٣) ،ومن سماتها أنها لا تخضع للزمن (٤). فيضعا

---

(١) أنظر : وقت ،ص ١٣٩،٦٥ - ١٤٠.
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٦٥، ١٦٧، ١٧٩، ٨، ٣٩ ...
(٣) نعيم الرفاعي ،الصحة النفسية ؟ ،ط٥ ،دمشق ،١٩٧٥ ،ص ٨٠.
(٤) الصحة النفسية ،ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تارة أمام ماضيه ،مما يعود إلى حاضره ،ثم إلى الماضي القريب ، وهكذا دون ترتيب منطقي ، وهذا ينطبق على المكان وترتيب الحدث ، فتركها كما يتخيلها الراوى ،وهذا ما سيتضح في التحليل .

فرض موضوع الرواية الأساليب التي لجأ إليها المؤلف ،فالتعبير عن أزمة نفسية لا يناسب السرد والحديث بضمير الغائب ،لذا استخدم ضمير المتكلم ،ليتسنى له فتح تيار الشعور والمونولوج الداخلي والتداعي، فتمكن من خلالها إيضاح الأسباب التي أدت بالشخصية المحورية إلى تلك النهاية ،وإلى تعريفنا بالشخصيات التي لم يتطرق اليها إلا بمقدار ما يخدم فكرته ،ولا يتحدث عنها إلا من خلال علاقتها بالراوى فتأتي من خلال تداعياته ، لكن بعضها جاء حشواً يمكن الاستغناء عنها كمعيضة ، وسائق السيارة وحركان الشمراني ، وسالم الشمراني ،والعمة جرادة(١) ، فيمكن أن تقوم بدورها اى شخصية أخرى في الرواية .

نجد في المقابل توظيفاً لشخصيات ثانوية أدت معانى بطريقة فنية بعيدة عن السرد كالقحم ، الذى أفاض في وصف قبح صوته " فهو من نسل الحجارة والغربان والصقور والذئاب كلها تزاوجت فأنجبته "(٢) ، واتخذ من الأم شخصية رمز بها إلى الماضي (٣) ، وغيشان صاحب العشة الذى شكل بداية حلقات الخوف والرعب في نفسية الراوى(٤) ، وسعود وعلي والعمة صالحة وعليّة (٥) .

---

(١) براري الحمى ،ص ١٣ ، ٧٦ ، ٢٦ ، ٦٠ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٩ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٩٥ .
(٥) المصدر نفسه ،ص ٢٣ ، ٩٧ ، ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الشخصية المحورية فعبرت عن نفسها بأحاديثها وتعليقاتها وتصرفاتها ،فتركها تكشف عن نفسها بالبوح والتداعي وتيار الشعور والمونولوج " إن المونولوج الداخلي ككل مونولوج هو حديث شخصية معينة ،الغرض منه أن ينقلنا مباشرة إلى الحياة الداخلية لتلك الشخصية دون تدخل من المؤلف إما بالشرح أو بالتعليق " (١) استخدم تيار الشعور حين ذكر الموت والدمار ،وفي إضاءة البيئة المكانية من خلال أفكار محمد ،ورؤيته للأشياء متناقضة زائفة ،وفي وصف القمع والقهر (٢) ، واستخدم التداعي الذى يكون من خلال اقتران حادثتين أو شخصيتين أو حادثة وشخص يثيران ذكرى أو حادثة (٣) ـ لإضاءة ماضي الشخصية حين جاء إلى سبت شمران وعلاقاته الاجتماعية (٤) . وظف الحوار في كشف شخصيته في حواره مع صديقه المزعوم ،واتضحت بعض جوانب نفسية من خلال تعليقاته على ما كان يجرى " عبثا تحاول أن تجعل من هذا الرمل أرضا " " ومن يستطيع القبض على رئيس الشرطة " (٥) . استخدم الحوار الداخلي لتصوير أفكار محمد وما في نفسه من خواطر وأهواء (٦) .

---

(١) ليون ايدل ،القصة السيكولوجية ،ترجمة الدكتور محمود السمرة ،المكتبة الاهلية ، بيروت ،١٩٥٩ ،ص ١١١ .

(٢) براري الحمى ،ص ٤٩ ،٥٤ - ٥٥ ،١٥٥- ١٥٦ .

(٣) أنظر: نسيب النشاوى : حول التجربة الغنية في الرواية الجزائرية ، (دراسة) ، مجلة الكاتب العربي ،العدد التاسع ،١٩٨٤ .

(٤) براري الحمى ،ص ٨ ،٧ ،١٣ ،٦٠ ،٦٢ ...

(٥) المصدر نفسه ،ص٧٢ ،١١٤ .

(٦) المصدر نفسه ،ص٩ ،٢٠ ،٢١ ،٤٢ ،٨٤ ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الشخصيات الأخرى فقد استخدم الطريقة التحليلية لإضاءة جوانبها من خلال عرض الحدث وتصوير ردود الفعل النفسية ،ووظف الطريقة التمثيلية حين جعل الشخصيات تعلق على بعضها ويتحدث عن تصرفاتها ،والراوى حل محل المؤلف في التعليق على بعض الشخصيات كأحمد لطفي " أسوأ من في البر كانوا أصدقاءه " وجابر وسعود والشيخ حجر عرفنا جانبا منهم بهذه الطريقة . " (١) إن المؤلف استخدم الأساليب السابقة دون إيثار لأحدها على الآخر ،بل كان يجنح وتوظيف كل أسلوب في الموقف الذى يستدعيه .

الحوار واللغة

وظف الحوار في تقديم الشخصيات وكشف نفسياتها وأفكارها ، وفي تطوير الحدث ،نجح المؤلف في ذلك فجاء الحوار قصيراً موحياً بعيداً عن الحشو الزائد يمثله الحوار الذى دار بين أحمد لطفي وجابر هذا : -

- متى ستعود يا أستاذ أحمد ؟ .
- سأعود في نهاية هذا العام ،لقد شبعت .
- لا لن أستطيع العودة هذا العام ، سأعود في العالم القادم .
- وعروسك لمن تتركها هناك يا أستاذ ،عد إليها واتمم ليلتك ،ليلة عرسك

ولماذا لا تتركني أذهب اليها وأفعل هذا الشيء عنك ،قال جابر وهو يضحك .

صاعقة حرقت كل أثر للخمر أوردة أحمد لطفي .

قال جابر: لا يا أحمد إنني أمازحك يا رجل ،أمازحك ،ويبتعد عن اليدين المتشنجتين ، يجلس أحمد لطفي ويبكي ،وفيهدده جابر كطفل " (٢)

---

(١) براري الحمى ، ص٧٣، ٧٦، ٩٧، ...

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحوار قصير غني ،فكل كلمة أضافت بعداً جديداً ،كشفت فيه عن أحمد ، وكم كانت شبعت ذات دلالات غنية ،فهو جشع ستغل . . . ،لكن تعليق المؤلف جاء حشوا زائدا حين قال : " كان يقولها هكذا ببسر غريب ،كانت مهمته كلها تكمن في أن يشبع ويجيء آخر العام " ، ونجح المؤلف في تجاوز الزمن في الحوار ،الذى بدأ في أول العام وانتهى في آخره ، وكشف في الحوار عن معاناة أحمد العجز الجنسي(١) . فالحوار طريقة حية تعيد الحدث إلى الوقت الذى حصل فيه بعيداً عن السرد المل (٢) . وظفه في تصوير البيئة ، فحين أراد إظهار حرارة المكان ،جاء بحوار وضح فيه ذلك (٣) . لكن ما يؤخذ على المؤلف أنه جاء بالشعر على لسان بعض الشخصيات ،فجاء غريباً غير منسجم مقحما ، افتعل المؤلف مكاناً له (٤) .

أما اللغة فقد جاءت خادمة لفكر وحوادث الرواية ،بعيدة عن الابتذال والتقعر ، لإيمان المؤلف بـ" أن مهمة الكاتب هي أن يجعل الكلمة تطابق الفكر ، كيما تتجانس مع لغة الذهن ولو اقتضى ذلك أن يخلق لغة جديدة " (٥) جاءت أشبه بلغة شعرية عبرت كل كلمة فيها عن معنى ،تبين هذا في لغة الوصف الذى لم يأت به ليصور براعته البيانية ،بل جاء بها ليستبطن نفسية الشخصية ،وقد جمع في لغته بين جمال البيان والوظيفة الفنية للغة ،أحال بها الرواية إلى لوحات حية ناطقة " سبت شمران . . . أحيانا يسرقك هذا الخراب ،ويوزعك في نزيف الوقت البطيء حزنا لا يمحي على الرغم من أنك لا تميل للحزن ،هذا

---

(١) براري الحمى ،ص ١١٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٦٠ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٢١ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٣٦ ، ٣٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .
(٥) القصة السيكولوجية ،ص ٢٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المخلوق الضامر الذى أكلته كل أمراض العالم من الرشح وحتى السرطان مرورا بالسل والانفلونزا " (١) .

بدأ المؤلف روايته بالعقدة وهذه طريقة حديثة تتلخص في إطلاق الحدث من الوسط عبر انفجار أزمة ،ثم تمضي الرواية لكشف البداية من خلال التداعي النفسي وتيار الشعور ،وغالبا ما يستخدم في مثل هذا النوع من البناء الترجمة الذاتية (٢) ، فالرواية بدأت وانتهت في اللحظة الزمنية نفسها والمشاهد الأخرى قدم فيها المؤلف تسويغا للازمة ووضح أسبابها ، جاءت الحبكة مفككة بنيت على سلسلة من الحوادث توحدها البيئة والأزمة التي تعيشها الشخصية الأولى . انسجم بناء الرواية مع نفسية الراوى المريض ،فافتقد الربط المنطقي الظاهرى بين الأحداث ،التي لم تشكل سلسلة متصلة ،بل كان ينتقل من حدث إلى آخر دون وجود سبب ظاهرى ،فغلبت عليها الفوضى وهذا ما جعل المؤلف لا يعنون أقسام الرواية بأرقام وعناوين ،لأنها غير خاضعة للتسلسل الظاهرى ،وفي رأي أخطأ المؤلف حين عنون بعض الأجزاء "بمشهد" أو "ستار" ،فعلى مافي هذه التسمية من خلط بين الأنواع الادبية ،إلا أنها جاءت غير مسوغة .

وظف المؤلف الرمز في الرواية ممثلاً في ابنة سعد ،التي اتخذها رمزاً للحياة ،وهي تقابل ظفرة في " الطريق الى بلحارث" ،فقد وصفها بأنها تمارس غوايتها على الحجر والبشر ،لا تستطيع يد أن تلمسها وما زال صوتها فتياً عذباً يشتعل بالشهوة على الرغم من أنها شاخت ،وحين يعلو صوتها تتدفق السيول وتمطر السماء ،يحبها كل الناس لكن الحصول عليها مستحيل بالنسبة للغرباء ،فالأستاذ وليد يحبها وبقي يبحث عنها سبع سنوات ، وحين لمسها أصابة الجنون (٣) ،إشارة إلى استحالة تمتع الغريب فيها .

---

(١) برارى الحمى ،ص ١٩ .
(٢) حول التجربة الغنية في الرواية الجزائرية
(٣) برارى الحمى ،ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــة

من خلال دراستي لصورة المرأة في الرواية من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٨٥ خلصت الى النتائج التالية :ـ

١. لم يبتعد الفن البدائي الروائي في الأردن في تصويـــره للمرأة عن الواقع ، ولم يسجل تطوراً كبيرا في رؤية المرأة، فما زالت النظرة اليها متخلفة في معظم فئات المجتمـــع، وما زال الذين يأخذون بالنظرة المتقدمة قلة ، ولعـــل ما جعل التغير الذى طرأ على جوهر النظرة الى المـرأة طفيفا يعود الى أن الأردن لم يتعرض لتغيرات جذريـــة في بنيتـــه .

٢. ان الروايات المنشورة تشكل مادة يستفيد منها المؤرخ وعالم الاجتماع في اثناء دراسته لواقع المجتمع الأردني ، وما طرأ عليه من تغيرات اجتماعية واقتصادية وفكرية .

٣. ان الفن الروائي في الأردن ما زال قاصرا من الناحيـــة الفنية ، علما بأن فترة الثمانينات حملت تطورا في البنـــاء الفني، ووضوحا في الرؤى .

٤. كشفت الدراسة عن رواية لم تتنبه إليها جميع الدراسات الـتي تناولت الرواية في الأردن وهي " دموع لا تجف " لنبيـــل فخرى الانشاصي .

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــادر والمراجـــع

المصـــادر

١- ابراهيم نصرالله :
براري الحمّى ، نشر مؤسسة الابحاث العربية بيروت ، ودار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٥ .

٢- أحمد عـــوده :
ساعات الصفر ، دار الوحدة ورابطة الكتاب الاردنيين ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٣ .

٣- أحمد عويدى العبادى :
الآم نازحـــة ، مطبعة الانصاف ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٤- أمين شنـــار :
الكابـــوس ، دار النهار للنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٨ .

٥- تيسير سبول :
الأعمال الكاملة ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٠ .

٦- تيسير ظبيـان :
أين حماة الفضيلة ، منشورات دار الجزيرة ، مطابع الشركة الصناعيـة عمان ، ١٩٥٨ .

٧- جمـال ناجي :
الطريق الى بلحارث ، رابطة الكتاب الاردنيين ، عمان ، ١٩٨٢ .

٨- جمال ناجـي :
وقـــــت ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩ـ جمعه حماد :
بدوى في أوروبا ، المؤسسة الصحفية الأردنية ، عمان ، ١٩٧٧ .

١٠ـ جوليا صوالحة :
سلـــوى ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٦ .

١١ـ جوليا صوالحة :
النشمـــي ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٩ .

١٢ـ جوليا صوالحة :
هل ترجعين ، د . ن ، عمان ، ١٩٧٩ .

١٣ـ حسني فريـــز :
حب من الفيحاء ، مطبعة الشرق ومكتبتها ، عمان ، ١٩٧٢ .

١٤ـ حسني فريـــز :
زهر الزيزفون ، مطبعة الشرق ومكتبتها ، عمان ، ١٩٧٢ .

١٥ـ حسني فريـــز :
العطر والتراب ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٧٤ .

١٦ـ حسني فريـــز :
مغامرات تائبة ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٤ .

١٧ـ سامي محريـــز :
لقاء في الخريف ، دار فيلادلفيا ، عمان ، ١٩٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨ـ سعادة عودة أبو عراق :
المخـــــاض ، رابطة الكتاب الاردنيين ، عمان ، ١٩٨٤ .

١٩ـ سليمان توابعـــــة :
جرح على الرمال ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٦٩ .

٢٠ـ شكرى شعشاعـــة :
ذكريـــــات ، مطبعة الاستقلال ، عمان ، ١٩٤٥ .

٢١ـ شكرى شعشاعـــة :
في طريق الزمـان ، دار النشر والتوزيع والتعهدات ، عمان ، ١٩٥٧ .

٢٢ـ صالح صلاح شبانـة :
الدموع الصامتـه ، دار الشعب ، عمان ، ١٩٧٦ .

٢٣ـ صبحـي المصـرى :
القبلة المحرمـة ، دار مكتبة الحياة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٥٩ .

٢٤ـ صلاح أحمد سعيد :
زمـن التيـه ، دار ابن رشد للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٤ .

٢٥ـ عبد الحليم عبـاس :
فتاه من فلسطين ، نشر مكتبة الاستقلال عمان ، طبع دار الكتاب العربي مصر ، ١٩٤٨ .

٢٦ـ عبد الحميد الانشاصي :
من أجل المال ، منشورات رابطة الكتاب الاردنيين ، عمان ، ١٩٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٧- عصام عساري :
وعادت الى ليل الغرباء ، مطابع دار الشعب ، عمان ، ١٩٧٧ .

٢٨- عطية عبدالله عطية :
الدم والتراب ، ؟ ، عمان ، ١٩٧١ .

٢٩- عطية عبدالله عطية :
عسود ثقاب ج١ ، مطبعة التاج ، عمان ، ١٩٨٣ .

٣٠- عطية عبدالله عطية :
متى تورق الأشجار ، المطبعة العصرية ، ط١ ، عمان ، ١٩٧٠ .

٣١- عطية عبدالله عطية :
المنعطف ، مطبعة التاج ، عمان ، ١٩٨٠ .

٣٢- عطية عبدالله عطية :
وجوه لا تراها الشمس ، مطبعة الاتحاد ، عمان ، ١٩٧٣ .

٣٣- علي حسين خلف :
عصافير الشمال ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٣٤- عيسى الناعوري :
بيت وراء الحدود ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٥ـ عيسى الناعـورى :
جراح جديـدة ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٦٧ .

٣٦ـ عيسى الناعـورى :
الشريـط الاسـود ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٣ .

٣٧ـ عيسى الناعـورى :
ليلة في القطار ، دار فيلادلفيا ، عمان ، ١٩٧٤ .

٣٨ـ فاروق وادى :
طريق الى البحر ، دار ابن رشد ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٣٩ـ فايـز محمـود :
الابُلـــه ، رابطة الكتاب الأُردنيين ، عمان ، ١٩٧٩ .

٤٠ـ فؤاد القسـوس :
العودة الى الشمال ، ؟ ، عمان ، ١٩٧٧ .

٤١ـ كامل حامد الملكاوى :
من زوايا العدم ، الشركة الصناعية للوراقة والقرطاسية ، عمان ، ١٩٦٠ .

٤٢ـ ليانـه بـدر :
بوصلة من أجل عباد الشمس ، دار ابن رشد ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٣ــ محمد خلف الشلول :
دمـــــوع ، مطبعة الزرقاء الحديثة ، ط١ ، عمان ، ١٩٨١ .

٤٤ــ محمد سعيد الجنيدى :
الأشقيـــــاء ، مكتبة الأندلس ، ط١ ، القدس، ١٩٥٣ .

٤٥ــ محمد سعيد الجنيدى :
شمس الغـــروب ، منشورات الرواد ، عمان ، ١٩٥٧ .

٤٦ــ محمد عبدالله القواسمه :
الكنزة الخضـراء ، دار الطباعة والنشر ، د . ت .

٤٧ــ محمد عبده فريحات :
أجنحة الأمـل ، مطابع الشركة الصناعية ، ط١ ، عمان ، ١٩٦٠ .

٤٨ــ محمد على أبو حمدة :
الطريق الى الجامعة ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ط١ ، عمان ، ١٩٧٥ .

٤٩ــ محمـد عيـد :
المتمـــيز ، مطبعة الشرق ومكتبتها ، عمان ، ١٩٧٨ .

٥٠ــ مفيـد نحلـة :
الرحيـــل ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥١ــ مؤيد عتيلـي :
ثم وحدك تموت ، رابطة الكتاب الأردنيين ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٠ .

٥٢ــ نبيل فخرى الانشاصي :
دموع لا تجـف ، دار التضامن الأدبي ، مطابع الشركة الصناعيـة ، ط١ ، عمان ، ١٩٥٨ .

٥٣ــ هاشم غرايبـــة :
بيت الأسـرار ، دار الأفق ، عمان ، ١٩٨٤ .

٥٤ــ يوسف الغزو :
الصديقـان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٧٦ .

٥٥ــ يوسف الغزو :
اللوحـــة ، رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان ، ١٩٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــــــع

١ــ ابراهيم السعافين :

تطور الرواية في بلاد الشام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٠ .

٢ــ أسامة شهـــــاب:

صحيفة الجزيرة الأردنيـــة : دورها في الحرية الأدبيـــــة (١٩٣٩ ــ ١٩٥٤) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية ، عمـــان ، ١٩٨٥ .

٣ــ خالد الكركـــــي :

الرواية في الأردن ، نشر الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٦ .

٤ــ دائرة المطبوعات ودائرة شؤون المرأة :

المرأة الأردنية ، عمان ، د . ت .

٥ــ رابطة الكتاب الاردنيين :

الملف الثقافي ، عمان ، ١٩٨٠ .

٦ــ سمير قطامي :

الحركة الادبية في شرقي الأردن منذ عام ١٩٢١ حتى عـــــام ١٩٦٧ ، وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٨١ .

٧ــ عبد الله رضوان :

النوذج وقضايا أخرى ، نشر رابطة الكتاب الأردنيين ، عمان ، ١٩٨٣ .

٨ــ عبد المحسن طه بدر :

الروءية والاداة : نجيب محفوظ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- محمد العطيات:
القصة الطويلة في الأدب الأردني ، دائرة الثقافة والفنون، عمان ، ١٩٨٥ .

١٠- مركز الأبحاث / المجلس الوطني الفلسطيني :
نضال المرأة الفلسطينية ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٥ .

١١- المهرجان السنوى الثالث لرابطة الكتاب الأردنيين / الدراسات عمان ، ١٩٨٠ .

١٢- المؤتمر الوطني للمرأة الأردنية ١٩٨٥ ، البحوث المقدمة للمؤتمر :

٠١ بثينة جردانة: صورة المرأة في وسائل الاعلام.
٠٢ بثينة جردانة: المرأة الاردنية العاملة.
٠٣ تريز حداد : واقع المرأة في وسائل الاعلام الاردنية .
٠٤ حسني عايش: تساؤلات ثقافية متواضعة والاجابة عليها .
٠٥ حلمي السأرى: المرأة كما تصورها وسائل الاعلام .
٠٦ حلوة ملحس : المرأة الاردنية الريفية .
٠٧ خالد الزعبي : المرأة والحقوق السياسية .
٠٨ خولة يحيي : المرأة والاسرة .
٠٩ خولة يحيي : المرأة والمشاركة السياسية .
١٠٠ رابحة دباس : المرأة القيادية .
١١٠ ريما الضامن : المرأة والتنمية الاقتصادية .
١٢٠ سالم الكسواني : المرأة الاردنية بين اكتساب الحقوق السياسية وممارستها .
١٣٠ سهيلة الريماوى: تاريخ الحركة النسوية في فلسطين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤. سهيلة الريماوى : وضع المرأة في الاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧.
١٥. عبد الكريم العمني: المرأة وبرامج التعليم غير النظامي .
١٦. محمد شريم : المرأة والصحـــــة .
١٧. منور خريس : تاريخ الحركة التطوعية في الضفة الشرقية.
١٨. نائلة الرشدان : المرأة والتشريعات القانونية .
١٩. هيام الشريدة : وعادل لطفي : المرأة العاملة في الاردن .
٢٠. هيام الشريدة وهيفاء ابو غزالة : تعليم وتدريب الاناث في الاردن.
٢١. هيفاء البشير : أهمية التنظيم في دفع الحركة النسوية .

١٣- ناصر الدين الاسد :

اتجاهات الادبية في فلسطين والاردن ، معهد الدراسات العربية ، مصر ، ١٩٥٧ .

١٤- نخبة من اساتذة كليات الطب :

أسرار الحياة الزوجية ، دار المعرفة ، ط٥ ، بـــــيروت ، ١٩٨٥ .

١٥- نعيم الرفاعي :

الصحة النفسية : دراسة في سيكولوجية التكيف ، ط٥ ، دمشق ، ١٩٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع المترجمـــــــة

١• ادوين موير :

بناء الرواية ، ترجمة ابراهيم الصيرفي ، الدار المصرية ، د • ت•

٢• البيرس :

تاريخ الرواية الحديثة ، ترجمة جورج جورج سالم ، منشـــــــورات عويدات ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٧ •

٣• ليون ايدل :

القصة السيكولوجية ، ترجمة محمود السمرة ، المكتبة الاهلية ، بـــيروت ، ١٩٥٩ •

الصحـــــف

١• صحيفة الجزيرة ، أعداد عـــــام ١٩٤٥ •

المجـــــــلات

١• مجلة عالم الفكر ، المجلد السابع ، العدد الاول ، ١٩٧٦ •

٢• مجلة الكاتب العربي ، العدد التاســـــــع ، ١٩٨٤ •

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكتبة الجامعة الأردنية
جرد ٢٠٠٤

ABSTRACT

The Jordanian Woman's Image in the
Jordanian Novel
1948 - 1985

This research in primarily concerned with Jordanian Woman's image in the Jordanian novel, of a topic which has not for been considered by research students.

The corpus of material was based on a number of reference works such as novels, letrary studies, works on criticism and other books concerned with the novel in Jordan and in purticular the woman's position in the Jordanian socity.

I have not been committed to any purticular critial methodology but I have shown some interest to the litrury and aesthetic approaches, because I am Covinced that literature literature is part of society . In the analysis throughout, I have followd the inductive and histurical methods.

There are three chapters:

An introduction whiche dealt with the woman's imago befor 1848.

Chapter 1 is concerned with the woman's status in society .

Chaper 2 deals with the woman's inage in the novel, its treatment in terms of form and substunce. This chapter jalls into two pustos:

(a) The woman's image since 1948 - 1967

(b) The woman's image since 1968 - 1985.

Chapter 3 deals with the artistic level for the novels.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit